TOURS DU MONDE EN QUATRE-VINGT JOU[RS]

رواية

الطواف

حول الارض في ثمانين يوماً

للمصنف الشهير والعالم النحرير جول فيرن الفرنساوي



عربت من الفرنساوية بقلم الفقير يوسف اصاف

وكيل البوسطة المصرية بالعطف



طبعت في مطبعة المحروسة بالاسكندرية في ٦ مايو (ايار) سنة ١٨٨٥

اصلاح خطاء

الصحيفة	العمود	السطر	خطاء	صواب
٠٣	٢	١٣	لايفارق	لايلازم
١٦	٢	٢١	يقد	يفقد
١٩	٢	٠٦	الحطوط	القطارات
٣٦	١	١٣	اليو	الى
٤٣	١	٠٦	كان	كانوا
٤٦	٢	١٠	المطر	الماطر
٣٨	١	١٦	الى وقع	الى ان وقع
٣٨	٢	٢٠	لا	له
٤٦	٢	٠٣	نقص	تنقص
٤٦	٢	١٤	الارتحاج	الارتجاج
٤٨	٢	٠٣	سائتا	سايتا
٤٨	٢	٣٣	لبث	لبثت
٥٣	١	٠٤	فقص	فقصت
٥٣	٢	٢٠	يحسب	يحشب
٥٤	٢	١٥	حراء	احراء
٥٦	٢	٠٦	والا نعام	والانعام
٥٦	٢	١١	الصحنة	الصحية
٥٩	١	١٧	عدالما	عسالما
٥٩	١	١٩	انق	القى
٦٠	٢	١٩	رفيقو	رفيقيو
٦٣	١	١	وحربكَ	وحزبكَ
٦٣	٢	١٨	وتثيتا	وشيتا
٦٤	٢	١٠	٣٠	٣٠٠
٦٥	١	١٣	ومألم	وسألم
٧٠	٢	٢٢	السالة	الساعة
٧٠	٢	٢٣	محال	محال
٧٢	٢	١٥	اقماء	اقتناء
٨١	٢	١٧	ناحرة	ساحرة
٨٣	١	٨	ايام	اميال

الصحيفة	العمود	السطر	خطاء	صواب
٠٨٣	٢	٣٠	مثلها	مثلها من
٠٨٤	٢	٠٥	الت	التمت
٠٨٧	١	١١	الفقة	السفة
٠٨٧	٢	٣	كان يعتقد	كانوا يعتقدون
٠٨٧	٢	٠٣	ويشدها	ويشدونها
٠٨٧	٢	٣	ويعرض	ويعرضون
٠٨٨	٢	١٩	للسمة	للسفينة
٠٩٥	١	١٩	امعات	يامعات
٠٩٦	٢	٥	الله	الاله
٠٩٩	٢	١٦	ويعقدون	ويقعدون
١١١	٢	١٤	العدالات	الاعدنة

تم

هذا اهم ما وقع في هذه الرواية من اغلاط الطبع اكتفي بالاشارة اليه واترك ما سواه لفطنة الناقد البصير

يوسف اصاف

مقدمة المترجم

شغفت زمناً طويلاً بمطالعة الروايات الادبية ونحوها من المصنفات المثقفة للعقول المهذبة
للاخلاق فلم يحلُ لذوقي منها الا ما جاد به واجاد يراع العالم الحاذق النحرير .
والمؤلف الشهير الموسيو جول فرن الفرنسوي فاخترت من جملتها هذه الرواية
المفيدة واقدمت على ترجمتها وطبعها علماً بانها حرية بان تتداولها ايادي
الحسين خليقة بمطالعة اهل العلم قمينة بان تترتب عليها الفوائد الجمة
ولا تجعل سبيلاً لشكوى اهل الاطلاع من قلة الفائدة وامتناع
العائدة . وقد عُنيت في الترجمة بتطبيقها على الاصل مع مراعاة
اسلوب الانشاء العربي وايراد ما وصل اليه امكاني من المصطلحات
المألوفة في لغة العرب مما يرادف مصطلحات الافرنج
وذلك مخافة ان تمج اذواق الناطقين
بالضاد فان كنت اخطأت المرمى
فالعفو لا تجعل

[illegible]

الفصل الاول

(كيف ان باسارتو تقيد بخدمة)

(المستر فيلاس فوج)

قال المؤلف لا نعرف للمستر فيلاس فوج تاريخ ولادةٍ ولا نعلم لهُ حسبًا ونسبًا ولا مهنةً او صناعةً فهو ليس من ذوي التجارة او ارباب الفلاحة او اصحاب الزوارق او من ربانيّ السفن والبواخر ولم يرهُ احد من الناس في قاعة البورصة او في بوركة المملكة او المدينة ولم يدع ذكره بين خدمة الدوائر او في مصاف المحامين امام المجالس ولم يذكر لهُ اسم بين اعضاء مجلس السلاء او بين نصراء الاديان ولم ينتظم في سلك جمعية من الجمعيات العديدة المنشأة في لندره ومنها جمعية بريطانيا العظمى التهذيبية وجمعية لندره وجمعية الحِرَف والفصاحة الغربية والفقه والصنائع والعلوم المستظلة بظل جلالة الملكة وجمعية الموسيقى وجمعية اعدام الحشرات المضرة بني الانسان وجل ما علمناه من امره انهُ انكليزي النشأة حاصل على مكانةٍ علياء بين رجال الهيأة الاجتماعية من قوم الانكليز محرر من الاداب والعلوم والمعارف والفنون ما رفع منزلته في عالم الانسان حتى طارت بذكره الركبان في كل نادٍ ومكان الاّ انهُ كان يبذل قصارى جهده في مواراة شهرته وكيف توارى نارٌ على علم او يستتر نور تحت حجب ظلام وكان كريم الخلق سليم النية حسن الطية حاد الذهن نزيهًا ابيًا ثابت الجنان لا تأخذه الحدة عند الغضب ولا يتولاه العجب عند نيل الارب فكأنني به يشبه بيرون في طباعه فاذا عاش مئات من السنين لا يعبث البياض بلمته وفي عام ١٨٧٢ كان يسكن في شارع سافيل المودي الى حدائق بورلينجتون دارًا رقم فوق بابها عدد (٧) وفيها قضى عام ١٨١٤ سريدان احد خطباء الانكليز المفلقين ورجالهم المحنكين

ولقد احصى المستر فيلاس فوج في عداد اعضاء الجمعية التهذيبية بلندره التي لم يكن يقبل فيها الاّ من كان من اشراف الناس واعيان البلاد بمقتضى توصية خصوصية من الخواجات بارين اخوان اصحاب الغنى الوافر والذكر الطيب العاطر واصحاب البنك المشهور في مدينة

لندره وقد كان ذا علاقةٍ باعاظم التجرية
جعلت لهُ بين اهل الثروة مقامًا رفيعًا
وكان في معيشته لازمًا حد الاعتدال
وفي دنياه غنيًا ولا نعلم كيف حشد
الاموال ولكنه كان لا يبذل الدينار في
غير حين اللزوم والاضطرار ولا يبخل
ببذل الدرهم سخاءً اعانةً للاعمال الخيرية
وكان قليل العلاقات والتداخل لا يتكلم
الاَّ عند الاقتضاء ولا يتحدث بما لا يجدي
نفعًا وكان ذا المام تام وباعٍ طولى في
علم الجغرافية ومعرفة خصوصية باقصى
اماكن الارض وعندما كان يقع احيانًا
بين رفاقه اعضاء الجمعية حديث او
جدال في مواضيع جغرافية متعلقة بموت
السواح وتيههم في الفدافد والقفار كان
يصحح آراءهم ويصلح فاسدها ويقوم معوجها
ويفصل بينهم ذات البين بالحجج
القويمة والبراهين الدامغة والادلة الساطعة
كانها صادرة عن رأي العين وذلك
بكلام وجيز وعباراتٍ بليغة توهم السامع
انهُ جاب انحاء البسيطة واستقرى غورها
ونجدها وطوى سباسبها وبطاحها مع انهُ
لم يبارح من عدة سنوات مدينة لندره
ولم يكن بالطبع ميالاً الى الاغتراب ومعاناة
الاسفار ولم يكن يسلك غير الطريق المؤدية
من داره الى قاعة الكلوب حيثما كان
يقضي اكثر الاوقات في مطالعة صحف
الاخبار ولعب «الويست» وكان لهواً يحلو
لهُ ويطيب لذوقه وفي غالب الاحيان
كان يربح شيئًا من النقود فيضيفه الى
مخصصات الصدقات لاصطناع المبرات

وما عرفنا لهُ امرأةً وبنين وهذا من
دأب الادباء ولا اقارب وانسباء وهذا
من خوارق الحالات وكان منفردًا
بسكناه مصطحبًا خادمًا وكان لا يفارق
منزله الاَّ حينًا يسيرًا من النهار وبيانٍ
اجلى انهُ كان يقضي فيه عشر ساعات نائمًا
تارةً ومشتغلاً طورًا اما منزله فلم يكن فيه
شيءٌ من الاثاث الفاخر بداعية انهُ لم يتخذ
ليلج بابه ضيف او يدخله زائر وكان
يتناول الطعام في الظهر والمساء على مائدة
«الكلوب» في اوقاتٍ معينة وفي حجرة
منفردة وما من مرةٍ دعا احدا غريبًا كان
او قريبًا لتناول الطعام او شرب كأس مدام
وكان اذا جلس على المائدة قدم لهُ خدمة
«الكلوب» فوطًا بديعة الصنع من

منسوجات ساكسونيا واتوه بالطعام في آنية صينية وسكبوا له الخمر الجيد من اباريق صينية في اقداح من البلور الشفّاف ممزوجًا بالثلج الامركاني فبعد ان ياكل مريئًا ويشرب هنيئًا ينهض ويخطر خطرات الغيد اما في قاعة الاستقبال واما في الايوان المربّع حيث تقوم من فوقه قبة مستديرة مصنوعة من زجاج ازرق يحملها عشرون عمودًا رخاميًا — وعلى هذا النمط من العزلة والتأنق كان سير معيشته الصافية وشأن حالته الراضية

وكان القائمون بخدمتهِ شديدي الارتياح الى قصائها بالنظر الى اخلاقه المروّضة وما الفهُ من مثل هذه العادات ولم يكن يطلب من خادمه سوى النهوض بواجبه في وقته المعين وفي احد الايام من شهر اوكطوبر اتاه خادمه المدعو جامس فورستر بماء لغسل لحيته في درجة ٨٤ من الحرارة بدلاً من ان تكون في درجة ٨٦ فسخط عليه وطرده من الخدمة

وبينما كان في عرشه تائهًا في اودية التأمل بعد طرده للخادم ورجلاه متحاديتان ويداه مسترجيتان ورأسه مستلقٍ الى الوراء وعيناه شاخصتان الى عقرب الساعة الكبيرة البديعة الاختراع المتقنة الصنع الدالة على الساعات والايام والشهور والاعوام اذا بالباب يقرع ثم فتح ودخل الخادم المطرود مستصحبًا شابًا بالغًا من العمر حد الثلاثين عامًا مخاطب المستر فوج بقوله :

هوذ حلّفي يا مولاي

فاجابه لا بأس ثم التفت الى الخادم الجديد وقال له مستفهمًا :

افرنسويٌّ انت وما اسمك

فقال الخادم :

نعم انا فرنسوي يا مولاي وأُدعى «جان» والقب «باسبارتو» وقد مارست المهن العديدة والحرف الكثيرة فكنت فيها من النابغين المفلحين . وكنت من منشدي الاغاني على قارعة الطرق فاطربت برخيم صوتي وشنفت الآذان بشجي اغاني وكنت سائسًا في احد الاسطبلات فرضت الخيول بالاعتناء وسستها بحذقٍ وذكاء وكنت مشعوذًا فابدعت واغربت وخلبت الالباب بغرائب الالعاب . واصطنعت لي اجنحة فطرت بها في الفضاء مثل

ليوتار. ورقصت على الحبال مثل بلوندن، وكنت استاذاً لفن التمرين البدني (الجمناستيك) في فرنسا واخيراً كنت قائداً لفرقة المطافئ في الجيش الفرنسوي فكم اطفأت من حريقٍ هائل وانقذت من ابنيةٍ فاخرة وقصورٍ شاهقة وقد بارحت باريس منذ خمس سنوات فاتيت مدينة لوندره التماس الخدمة في بلاد بريطانيا العظمى لاني ملت بعد ذلك العناء الى التمتع بعيشٍ هني في حجر كريم غني ولكن الطالع لا ازال الى الآن خالياً من مثل هذه الخدمة وقد علمت ان مولاي يطلب خادماً اميناً معروفاً بمراعاة الدقة في اتمام اعماله لا يروم ابتعاداً بعد اقتراب ولا يتسنم في اي الاحوال غارب اغتراب فهرولت اليك وها انا على قدم الاحترام بين يديك متوقعاً بلوغ امنيتي قبل ان تدركني منيتي

ـ اراك يا باسارتو موافقاً لمشربي ملائماً لمذهبي ولي علم تام بحالك وسير احوالك وقد اوصاني بك بعض الخلان فهل تعرف شروط خدمتي

ـ أجل يا مولاي

ـ كم الساعة الان

ـ ١١ والدقيقة ٣٠

ـ واخرج من جيبه ساعة ضخمة من الفضة

فقال المستر فوج

ان ساعتك توخر اربع دقائق فتأمل الفرق وتدبر وانت منذ اليوم مقيد في خدمتي ـ من الساعة الحادية عشرة والدقيقة ٢٩ من صباح الاربعاء الواقع في ٢ اكتوبر عام ١٨٧٢

وبعد ان اتم كلامهُ تناول بيده اليسرى قبعتهُ فوضعها على رأسه وخرج من غرفته بدون ان يفوه ببنت شفة ثم خرج الخادم السابق وراءهُ وبقي الخلف في المنزل

الفصل الثاني

كيف ان باسارتو تحقق بلوغ امانيه

كان الناس في لوندره يقصدون منزل مادام تيسو فرادى وازواجاً قصد التفرج على التماثيل المصنوعة من الشمع المحكمة الصنع الكثيرة الاتقان بحيث ان الناظر اليها يكاد لا يفرق بينها وبين

الادميين . وكان باسبارتو قد شاهدها فلما رأى مولاه تذكرها وقال في نفسه لعمري ان تلك التماثيل شديدة الشبه لمولاي فلا احاله الا منها ولا ارى الا انه تقمص منها ثوب التكوّن ثم تأمله واحدق بصره فيه فراه رجلاً جاوز حد الاربعين من العمر تبدو على وجهه ملامح احراره للفضيلة التي يعرفها علماء الهيئة بفضيلة (السكينة في العمل) حسن الرواء ذا لحيةٍ شقراء وجبهةٍ بارزة خالية من التجعد مائلة الى الصفرة لونًا واسنان كالبرد وقوام رشيق وسية معتدلة وطبع هادئ يدل على كونه انكليزي الدم محضًا كابناء جلدته القاطنين في الولايات المتحدة الذين رسمت هيئتهم بقلم الحيليكا كوفمان المصورة الشهيرة . ورأى من ثمّ ان جميع تصرفاته دائرة على محور الحكمة والكمال وتبين من اعضاء جسده تناسبًا يماثل كرونومتر . لروا في الدقة والتعادل فكان رشيق الحركة دقيق الخطى في التخطر والسير وسيانٍ آحرانه لم يكن يخطو خطوةً على غير لزوم او يسلك غير الطريق القريب او يضيع لمحة بصر من غير فائدة او يبدي اشارةً في غير موقعها

اما جان باسبارتو فكان فرنسوي النزعة باريزي النشأة حميد الخصال حسن الصفات اديبًا مهذبًا سليم الذوق كريم الخلق صافي النية طاهر السريرة ذا رأسٍ مستدير يتمنى كل امرءٍ ان يراه بين كتفي حبيبه وشعورٍ سوداء مسترسلة الى الوراء يكفي لاصلاحها مرور المشط عليها بخلاف شعور مينرفا التي اخترع الراسمون لجمالها ثمانية عشر طرازًا وكان مفترّ الثغر ناضر المحيا يرى بفلتيه ورد وجنتيه واسع الصدر قوي البنية شديد العزم عالي الهمة ذا قوة هرقلية وكان فتىً بعد ان قضى زمن الشباب في اللهو ولم يجده اللهو نفعًا عض اصابع الندم وساق الى انكلترة القدم بعد ان سمع بما للانكليز من التأني في السير والحزم في العمل فقصد بلادهم ابتغاء الاثراء بتعاطي الخدمة وقد طالما بحث عن مولى يشد به ازره ويستعين به على جور الزمان فجرت احكام القدر على عكس امانيه ولم يتسنَّ له ان يستمر على الخدمة في منزلٍ من العشرة المنازل التي دخلها فان بعضها دهمتها صروف

الحدثان وتتابعت عليها مصائب الزمان فدرستها وجعلتها اطلالاً بالية وبعضها الاخر سطا على اهلها الطيش فمالوا الى الاسفار والتسوح في القفار ومرَّت عليه هذه الاحوال على هذا المنوال الى ان استخدمه اخيرًا اللورد لوحسبيري احد اعضاء مجلس الامة فلما رآه اللورد فضوليًا طرده من خدمته وكان اللورد اذ ذاك في شرخ شبابهِ يصبو الى اللهو والطرب ويقضي جميع لياليه في الحانات يعاقر بنت الدنان ويجالس بنات الغرام الى ان تتلاعب الخمرة بلبه وتذهب بصوابه فيؤخذ الى منزله محمولاً على اكتاف الشرط ففي احد الايام خطر لباسبارتوان بمحضهُ النصح لعله يرعوي عن غيه ويرتد عن ضلاله فيكافئه على نصحه وغيرته ففعل ولكن ساءت العقبى ورجع بالحنين بان طرده اللورد من الخدمة فخرج يلتمسها لدى غيره ولما علم باحتياج المستر فيلاس فوج الى خادم طفق يستقصي عن احواله ويستطلع طلع سيره فانتهى اليه من اخباره انهُ رصين رزين مستقيم الاطوار كريم الاخلاق لا يهوى الاسفار ولا التغيب عن الدار فسارع اليه ووقف بين يديه ثم تقيد بخدمته على ما مرَّ بنا من الكلام

تقدم القول ان باسبارتو لبث وحده في المنزل بعد خروج سيده في طلب بعض الحاجات فلما رأى نفسه وحيدًا في المنزل جعل يطوف غرفه واحدةً بعد اخرى حتى انهُ لم يدع فيه حجرة او مخدعاً الا زاره فالفى ما زار في تمام الانتظام وكمال الاتقان

ولما وصل الى الطبقة الثانية عثر بالغرفة المعدة لهُ فعرفها بداهةً فاعجبتهُ وقد رآها متصلة بسائر غرف الدار بواسطة اجراس كهربائية وانابيب تردد الصدى ثم التفت الى الحائط فرأى ساعة تسير في الدقة سير ساعة مولاه المعلقة في غرفته وكلتاهما تسيران الثانية في آن واحد فسر بذلك وابتسم فرحًا وقال في نفسه : لقد زال النحس عني الى حيث . وبلغت ما كنت اتمني والله رحوم شفوق . ثم عاود النظر الى الساعة فرأى بالقرب منها لائحة الخدمة فهش وبش وطاب نفسًا وقر عينًا ثم طفق يقرأها فاذا هي مشتملة على ما يأتي

ينهض فيلاس فوج من النوم في

الساعة الثامنة ويمكث في البيت حتى
الساعة الحادية عشرة ونصف
يُقدم لهُ الساي واللحم المقلي في الساعة
الثامنة والدقيقة ٢٣
يؤتى لهُ بالماء لغسل لحيته في الساعة
التاسعة والدقيقة ٣٧
يلبس اثوابه في الساعة التاسعة
والدقيقة ٤٠
ومن الساعة الحادية عشرة ونصف
صباحًا الى منتصف الليل يمكث في
الكلوب
والنتيجة ان تلك اللائحة كانت
جامعة لجميع ما يحتاج الخادم الى معرفته
اما خزينة الملابس فكانت الملابس
فيها مرتبة على شكلٍ عجيب فان كل
قطعة منها كانت معينة بنمرة متسلسلة
ومقيدة في دفتر "صادر" ودفتر "وارد"
ذكر فيها الزمن والفصل اللذين تلبس
فيها وكان للاحذية ترتيب آخر ليس
بأقل غرابة من هذا الترتيب
وفي الجملة ان تلك الدار كانت
مرآة الترتيب ونموذج الانتظام ليس فيها
شيء عديم الفائدة وكان فيها للمستر فوج
مكتبة جزيلة المنفعة تحتوي على المؤلفات
وكان لهُ غيرها ايضًا ثنتان في الكلوب
اودعت احداها كتب الفقه والثانية كتب
السياسة وكان في داخل غرفتهِ خزانة
حديدية غير قابلة الاحتراق امنةً غدر
اللصوص ولم يكن في المنزل اسلحة نارية
او سيوف بتارة او آلات صارعة فانهُ كان
رجلاً ميالاً الى السلم والسكينة
وبعد ان طاف باسارتو جميع غرف
الدار ورآها على ما يروم وبتمنى سرسرورًا
لا مزيد عليهِ فرقص فرحًا وطربًا وحمد
التقادير التي ساقتهُ الي مولاه المحب للضبط
الملازم للراحة الماقت للاسفار

فالها غير مستحيل ولكن
دونه في سبيلنا عقباتُ

الفصل الثالث

في جدال تكبد المستر فيلاس فوج
من اجله نفقات

بارح فيلاس داره ذات يوم في
وقته المعين فبعد ان نقل قدمه اليمنى
خمسمائة وخمسًا وسبعين مرة واليسرى
خمسمائة وستًا وسبعين خطوة وصل الى
الكلوب : البناية الشاهقة التي أُنفق على

بابها قدر وافر من الدنانير لا ينقص عن ثلثة ملايين من الفرنكات فدخل غرفة فيها ذات تسع منافذ تشرف على حديقة نضرة يكسوها الربيع ساطاً سندسياً مزيناً بالازهار والرياحين وكانت هذه الغرفة معدة لتناول الطعام فجلس على المائدة المعتادة ومد له السماط فتناول الغذاء وفي الساعة الثانية عشرة والدقيقة ٤٧ نهض عن المائدة ودخل قاعة الجلوس فناوله الخادم جريدة التيمس فتناولها من يده واخذ يقرأ فصولها بالامعان واستمر كذلك الى الساعة الثالثة والدقيقة ٤٥ وبعدها تناول جريدة الستاندرد وقضى في مطالعتها وقتاً طويلاً

وبعد ان فرغ من المطالعة وفد عليه زملاؤه الكلفون مثله بلعب الويست فجرت بينهم المحاورة الآتية

توما فلاناجان · ما عندك ياصاحبي من العلم بامر السرقة التي نكب بها البنك

اندراوس ستوار · سيقوم البنك باداءها من عين ماله

جوتيه رولف · قد ارسلنا الى جميع مرافئ اوربا وامركا وثغور الارض جواسيس ماهرين من دهاة رجال الشرطة ليبحثوا عن اللصوص الذين ارتكبوا هذه الجناية ولنا ملء الامل بنجاحهم

اندراوس ستوار · هل يعرف الباحثون شبه اللص

جوتيه رولف · هل تظنن أن مرتكب هذه السرقة لص لا وابيك

اندراوس ستوار · الا تطلق لقب لص على من سرق مثل هذا القدر العظيم من المال اي خمسة وخمسين الف ليرة أو مليون و٠٠ ٣٧٥ فرنك

جان سيليفان · من كان مرتكباً مثل هذه السرقة يدعى محترفاً لا لصاً

فيلاس فوج · ان صحيفة الحوادث اليومية ترعم ان الجاني يعد من اشراف الانكليز وأن هذه السرقة حدثت في ٢٦ سبتمبر على هذا المنوال كما تقول جميع جرائد الولايات المتحدة وذلك ان امين الصندوق بينما كان يقيد في الدفاتر دخل ثلثة شلينات وبنسين وعلى مكتبه عدد من السفاتج بقيمة خمسة وخمسين الف ليرة اداغتالتها يد اللص من غير ان يشعر به احد

جوتيه رولف . من المستحيل ان ينتبه المرء لامرين في وقت واحد فقد روى احد المتقدمين على العادات الانكليزية انهُ مرَّ يومًا ما ببنك لوندره فرأى على مكتب امين الصندوق سبيكة من الذهب تزن من سبعة الى ثمانية ليبرات فتناولتها بيدي لاتفرَّج عليها ثم تناولها رجل كان بالقرب مني للقصد ذاته وهذا دفعها لذاك وذاك لآخر وهكذا اخذت تنتقل من يدٍ الى اخرى حتى وصلت الى يد من كان في منتهى دهليز البنك ولم تعد الى محلها الاصلي الا بعد نصف ساعة وذلك بدون ان يشعر امين الصندوق باخذها وتنقلها على اكف المتفرجين او برجوعها الى مكانها فبناء على ما تقدم لا يصعب التصديق بحدوث السرقة التي نحن بصددها فان مستخدمي البنك يحسنون الظن بكل انسان وليس لديهِ حمراء يراقبون ما يجري حولهُ والذهب والفضة كما لا يخفى مطمح انظار اللصوص فتأمل

وقد انتشر خبر هذه السرقة في جميع انحاء لوندره فتحدث بامرها القوم واهتمت الحكومة بالبحث عن مرتكبها فبعثت بالعدد العديد من دهاة الجواسيس والمفتشين الى اهم المرافئ كليفربول وجلاسكو وهافر والسويس وبرندزي ونيويورك وغيرها ليراقبوا المسافرين دهابًا وايابًا ويقيموا فيها الى ان يتلقوا الايضاحات اللازمة عن شبه السارق وقد رسمت لمن يقبض عليه بجائزة قدرها الفا ليرة وخمسة في المائة مما يضبط من المال المسروق وقد قالت جريدة الحوادث اليومية ان الحكومة اتصلت بعد عناء الاستقصاء الى حصر الشبهة في مرتكب السرقة وكان رجلاً من الاعيان نظر يوم حادث السرقة في قاعة بيت المال يخطر الهوينا وقد اخذت رسمهُ وارسلتهُ الى جميع الجواسيس الباحثين الذين ارسلتهم الى جميع الولايات المتحدة وغيرها من اهم ثغور الارض

وبالنظر الى هذه الاحتياطات حرم الناس في لوندره بوقوع السارق في قبضة الحكومة ثم حصل لهذه الحادثة بينهم اهمية كبرى حتى صارت موضوع احاديثهم اناء الليل واطراف النهار

ولاسيما بين اعضاء الكلوب الذين يهمهم الوقوف على الخبر اكثر من غيرهم لان المستر حوتيه رولف وكيل البنك المسروق من رجال هيئتهم فلا عجب ادن اذا طال بينهم الجدال واختلفت منهم الاراء ومن جملة ما ذهبوا اليه الاقوال الاتية

المستر رولف لا بد من وقوع السارق في قبضة الجواسيس لان الجائزة التي وعدناهم بها تقوي عزائمهم وتنهض هممهم

ستوار . ان ظنك ضعيفة واراءك غير سديدة

رولف . اين يذهب السارق وقد شيبا من حوله العيون والارصاد

ستوار ان الارض واسعة وانحاءها شاسعة

فيلاس فوج كانت كذلك يوما ما

وقد طال الجدال بين هولاء الاعيان وهم جلوس امام طاولة الويست على هذا المنوال وقد تخلله العنف والحدة في نهاية كل دور من ادوار اللعب وبعد برهة عاد القوم الى الجدال فقال المستر ستوار . كيف ان الارض كانت واسعة واصبحت اليوم حرجة

رولف حرجة بمعنى ان الانسان يقدر ان يجوبها باسرع وقتًا عن ذي قبل بعشر مرات

فوج وهذا ما يمهد للسارق سبل الفرار ثم قال . تفضل والعب يامستر ستوار ولم ينتهِ دور اللعب الاول حتى علت ضوضاء الجدال فقال ستوار

ستوار . لله درك يا مستر رولف هل يصح ان تقول ان الارض صارت حرجة اذا كانت تطاف اليوم في مدة ثلثة شهور

فوج . في ثمانين يومًا فقط

جان سيليمان . في الحقيقة ان الارض قد امست تطاف اليوم في ثمانين يومًا لان المرحلة التي كانت بين روتال والله اباد لم يعد لها من اثر اليوم بسبب امتداد السكك الحديدية في اقطار الهند وهاك التقويم المأخوذ عن جريدة الحوادث اليومية للطواف حول الارض

ايام

٧ من لوندره الى السويس بطريق جبل شينيس وبرنديزي على السفن

البخارية والخطوط الحديدية

١٣ من السويس الى بومباي على السفن البخارية

٣ من بومباي الى كلكوتا على الخطوط الحديدية

١٣ من كلكوتا الى كونكون (الصين) على السفن البخارية

٦ من كونكون الى يوكوهاما (اليابان) على السفن البخارية

٢٢ من يوكوهاما الى سان فرنسيسكو على السفن البخارية

٧ من سان فرنسيسكو الى نيويورك على الخطوط الحديدية

٩ من نيويورك الى لوندره على الباخرة ثم الخطوط الحديدية

٨٠

والمجموع ثمانون يومًا

اندراوس ستوار . اجل تُطاف الدنيا في ثمانين يومًا اذا لم يحدث في البحار انواء ولم تثر في الجو رياح ولم يطرأ على الخطوط الحديدية ما يؤخر السير عليها ولم تتعطل القطارات . قال ذلك متهكمًا (وبينما هو آخذٌ في الكلام قطع على غير انتباه ورقة في اللعب تعرف بالدام)

فيلاس فوج . نعم تطاف بالرغم عن هذه الموانع (وهنا قَطَعَ الجدال اللعب)

اندراوس ستوار نعم تطاف ولو اقتلع الهنود القضبان الحديدية واوقفوا القطارات واختطفوا المجلات ورجموا الركاب حسبما تعودوا

فيلاس فوج . ولو لو . . (ورمى الى الارض بورقتين من ورق اللعب)

اندراوس ستوار من يقول شيئًا يجب ان يقرن قوله بالعمل واستغفر الله عن قولٍ بلا عمل

فيلاس فوج قطعت جهيزة قول كل خطيب فاني على اجابة ما تسألني قدير وما عليك سوى اعداد لوازم السفر فنرحل سويةً وترى كل ذلك رأي العين وما راءٍ كمن سمع

اندراوس ستوار معاذ الله ان انقاد للطيش واركب الاخطار واقتحم الاسفار وانا في غنىً عنها ولكني اعقد صكوك الرهان مع ايٍ كان يريد ان يمحص الامر ويرحل هذه الرحلة التي لا تستطاع في تلك المدة المعينة واني مستعد

ان ادفع اربعة الاف ليرة انكليزية اي مائة الف فرنك قيمة الرهن

فيلاس فوج يمكن ذلك بسهولة وانا اقوم بهذه الرحلة ولكن على مصاريفك

اندراوس ستوار. قاتل الله العناد والاستقلال بالرأي فتقدم للعب فان اللعب في هذه الجلسة خير من ضياع الوقت سدىً

ثم تناول ستوار الورق بيده واعاده الى المستر فوج قائلاً لهُ

دع الهزل جانباً فانا شئت عقدت معك رهاناً على اربعة الاف ليرة

فالتبين لِمَ حركما الجدال الى هذه الحال مع ان الكلام كان في بادئ الامر من قبيل المسامرة

ستوار. لا ارجع عن كلامي

فوج. لي في بنك بارتن اخوان مبلغ عشرين الف ليرة فانا مستعد لان اعقد عليه رهاناً مع كل من يطلب ان اطوف حول الارض في ثمانين يوماً

سيليفان. تروَّ في الامر يا مستر فوج فان العجلة يعقبها الندم ولذلك يجب ان يسبق العمل التروي والامعان وليس من الحكمة ان يخاطر بمثل هذا القدر من المال ويخاطر ايضاً بالحياة في مثل هذه الرحلة فربما لقيت في سفرك ما ليس في الحسبان

فوج. مهما حال دون عزمي فاني واثق بنجاح هذه المهمة

سيليفان ان هذه المدة التي تحددها للطواف حول الارض جريدة الحوادث اليومية قليلة جداً

فوج ان القليل مع حسن استعماله كثير

سيليفان حذرِ حذارِ من ضياع الزمان واعتبر انهُ يجب عليك ان تنتقل من السفن التجارية الى قطارات السكك الحديدية ومن هذه الى تلك من غير استراحة فيصعب عليك تكبد هذه المشاق وما اغنى فوادك عنها

فوج. ان ربَّ البيت ادرى بالذي فيه

سليفان دع الهزل فاني اراك تمزح

فوج بين الهزل والجد بونٌ عظيم وما الهزل من دأب الانكليز فاني قد عقدت العزم على الطواف حول الارض

في ثمانين يومًا اعني في تسع عشرة مائة وعشرين ساعة او مائة وخمسة عشر الفًا ومائتي دقيقة

ولما تاكد اعضاء الكلوب ذلك العزم قالوا قبلنا فاجابهم المستر فوج اني والحالة هذه سارکب القطار الذي يقوم من محطة دوفر في الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ من هذه الليلة ليلة الاربعاء الواقع في ٢ اوكتوبر وستكون عودتي الى لوندرة يوم السبت الموافق ٢١ دسمبر فادخل هذه القاعة قاعة الكلوب التي نحن فيها الان واذا اخلفت الوعد فاكون قد خسرت قيمة الرهن ومبلغ العشرين الف ليرة المطلوبة لي من بارين احوال ثم كتب صك الرهان ووقع عليه المتراهنون وكانوا ستة اشخاص وبعد التوقيع لبث المستر فوج على جاري عادته ثابت الجنان غير مضطرب البال او خائف على ماله ان يفقد لانهُ عزم ان ينفق في رحلته العشرين الف ليرة واذا خسر الرهان يكون في الواقع قد فقد مثل هذا القدر ايضاً من المال فان ثروته كانت لا تزيد عن اربعين الف ليرة

اما بقية المتراهنين فقد اخذ الاضطراب منهم كل مأخذ وعلت وجوههم سمات الحيرة لا خوفاً من خسارة قيمة الرهن بل مما عساه ان يرشقهم به سكان لوندرة من سهام اللوم ونبال التعنيف انقياداً منهم لكلمةٍ تكون نتيجة الطيش واستقلال الرأي

وبعد التوقيع استأنفوا اللعب ثم امسكوا عنه بحلول الساعة السابعة ليتمكن المستر فوج من التأهب للسفر اما هو فالتفت اليهم قائلاً اني في استعدادٍ تام ولا شيء يعوقني ثم رمى ورقة « ديناري » وقال العب يا مستر ستوار

الفصل الرابع

في تعجب باسبارتو من سيده فيلاس فوج

استأذن فيلاس فوج رفاقه بالانصراف في الساعة السابعة والدقيقة ٢٥ فافترق عنهم بعد ان وضع في جيبه ما ربحه في اللعب وقدره ٢ جنيهاً وعند الساعة السابعة والدقيقة ٥ دخل داره واستدعى خادمه مثنى وثلاث ورباع فلم يجبهُ وذلك لفرط ما استولى عليه من العجب والاندهال عندما رأى مولاه آئباً قبل منتصف الليل

على غير مـا جرت عليه العادة وولجا
باب صومعته على عجل ثم بعد ان
سكن جأش الخادم هرع الى غرفة مولاه
وامتثل بين يديه منتظرًا امرًا يقصيه
فابتدره اذ ذاك بالسؤال قائلاً ناديتك
كثيرًا ولم تجبني فقال له ـ لم يجئ
يا سيدي الوقت الذي تعود فيه الى
البيت على جاري العادة اذ لم يحل
منتصف الليل بعد قال هذا واخرج من
جيبه ساعة فضية صحيحة الحجم

فوج طب نفسًا وسكن روعك
فاني لم اسق اليك الكلام من قبيل الملام
بل لامهد لك الخبر تمهيدًا وانبئك اني
قد عزمت على السفر فتهيأ لنرحل اولاً
الى دوفر ثم الى كاليه بعد عشر دقائق
من الزمان ومن كاليه نسير على قصد
الطواف حول الارض في ثمانين يومًا
واعلم ان ليس لنا من الوقت دقيقة او
ثانية نصرفها سدىً فاذهب واعدد حقيبة
السفر وضع لي فيها قميصين من المنسوجات
الصوفية وثلاثة ازواج من الجوارب
ولك مثلها ولا تنسَ غطاء تي وغطاء النوم
وما يلزمنا غير ذلك نبتاعه اثناء الطريق

فلما سمع الخادم بذكر السفر حار في
امر سيده ثم وقف موقف التعجب فضرب
اخماسًا لاسداس وهم ان يعارض مولاه
لولا ان تجذبه جاذبة الاحترام له فلزم
السكون بالنظر الى ما رأى من رغبة
مولاه في سرعة السفر فخرج من لدنه
واهن القوى لا يبدي حراكًا قلق البال
مضطرب الفكر ثم دخل اوضته وانطرح
على كرسي كان فيها فتأوه وتنفس الصعداء
حتى كاد يخنقهُ البكاء ثم ردد في نفسه
قوله : طالما رغبت في الراحة ولم ابلغ
منها المراد كرهت سالف ايامي التي
قضيتها بتعليل الامال والان اصبحت
ابكي عليها

ربَّ يومٍ بكيت منهُ فلما
صرت في غيره بكيت عليهِ

قال . ولقد عللت النفس باللذة
المستمرة والتمتع برغد العيش ولكن
ما كل ما يتمنى المرء يدركهُ
تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ

ثم نهض يغالب الغم والكمد ويحاول
الاستمساك بعرى الصبر ويسأل الله
المعونة ويهيئ لوازم السفر والافكار

تتلاعب في رأسهِ تلاعب الهواء في اوراق الشجر فكان تارةً يذهب الى امكان عدم تحقق المقال وطورًا يجزم بصحة الخبر

وكانت تمر برأسه هذه الافكار ولا يهتدي الى حقيقة الامر سبيلاً

وبينما كان مفكرًا فيما طرأ على عادات مولاهُ مبدلها وعلى اخلاقه مغيرها وكيف كان محبًا للعزلة يجنح الى الاسفار اذا به هش وبش واصبح باسم الثغر بعد ان كان مقطب الوجه وذلك اثر علمهِ بانهُ سيمر على دوفر فيدوس ارض الوطن العزيز ويمتع العين بمرأى باريس عاصمة بلاده التي كان يأمل ان يمر بها ويجلو بمشاهدتها عن فوأده صدأ الكمد وعن قلبه غياهب الغم

وعند الساعة الثامنة احتمل جعبة السفر وذهب للقاء مولاه فوجده قائمًا على قدم الاستعداد للمسير متأبطًا كتابًا مرشدًا الى مواعيد سفر القطارات والبواخر في انحاء البسيطة وريثما دنا منهُ تناول فوج الجعبة ففتحها واودعها قدرًا من السفاتج المتداولة في جميع سوكة الارض ثم اعادها اليه واوصاه بزيادة الاحتراس عليها والانتباه لها لان من داخلها اوراقًا ذات قيمة ٥ فرنك وبعد ذلك استعلم منهُ عما اذا كان اعد كلما اشار اليه باعداده فتناول الخادم الجعبة بيدين مرتجفتين من ثقلها كأنهُ تصور ان القيمة التي فيها ذهب رنان وما كانت الا اوراقًا لا تزيد في الثقل عن مثقال درة

ثم خرج فوج وخادمه من الدار وغادراها وشأنها معلقة الابواب فانطلقا الى اخر شارع سافيل حيث توجد محطة للعربات فركبا عربةً واتجها عليها الى المحطة المعروفة بمحطة شارين كروس التي يتفرع منها الخط الحديدي المعروف بالخط الجنوبي الشرقي وعند وصولهما اعلن جرس الساعة الكبيرة ان الوقت بالغ اذ ذاك حد الساعة الثامنة والدقيقة ٢٠ وريثما وقفت بها العربة نزل الخادم منها قبل مولاه

وكان سبب نزول الخادم قبل سيده ان المستر فوج (مولاه) بينما كان ينقد سائق العربة اجرته تقدمت نحوه امرأة فقيرة عليها علائم الفاقة تقود بيدها اليمنى طفلاً وتبسط يدها اليسرى لطلب

الاحسان ملتحفة بملابس رثة فعندما وقع نظره عليها تحركت فيه عواطف الشفقة فاخرج من جيبه العشرين جنيهاً التي كان قد ربحها في لعب (الويست) ودفعهُ اليها قائلاً لها. خذي يا امرأة هذه النقود وسدي عوزك بها واحمدي ربك على كل حال

قال هذا وانطلق الى قاعة الاستراحة فتبعهُ خادمه مسروراً بما كان فرحاً بميل مولاه الى عمل الاحسان وصنع المبرات وعندما استقر بالسيد المقام نقد خادمه بعض الدراهم فاخذ بها تذكرتين للمرور على مقتضاها في قطارات السكة الحديدية بالدرجة الاولى الى مدينة باريس

وكان عند المحطة رفاق المسترفوج المتراهنون معهُ فتبادلوا النظرات والتحيات ثم وجه المسترفوج اليهم الخطاب فقال

انا ذاهب كما علمتم لانجاز ما وعدتكم به وقد أخذت معي تذكرة سفري التي ساسجلها في قنصلية دولتي في كل بلدةٍ امرُّ بها لتكونوا على اقتناع بواقع رحلتي

فقال المستر ستوار لا يخفاك ان رجوعك سيكون يوم السبت الواقع في ٢١ دسمبر من السنة الجارية (١٨٧٢) (في الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ من المساء

فقال نعم واستودعكم الله الى يوم اللقاء

ثم ركب القطار مع خادمه في الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ مساءً تحت جنح ليلٍ اقبل عليه بجيوش ظلام ضارباً في الآفاق خيام القتام

وكان الجوُّ قد دكن والسحائب اسودت فتدفق منها المطر وهبت العواصف وثارت الانواء وجلجلت الرعود القواصف ولمعت سيوف البرق على صفحات الفضاء وكان فيلاس فوج متوكئاً على كتفيه منزوياً في احدى زوايا العربة لا يفوه ببنت شفة وبالقرب منه خادمه قابضاً على الحقيبة بيديه يضمها اليه حرصاً على ما تحتوي عليه من الاوراق الثمينة ثم ان القطار لم يجاوز • سيدنهام • حتى صرخ الخادم صراخ الآيس وبكى بكاء البائس فسأله مولاه عن السبب فلزم الصمت واجماً فاعاد عليه السؤال فاجاب واجماً . . . قال

بالنظر الى العجلة . سيت ...

فقال فوج وماذا سيت ...

ــ سيت المصباح موقداً في اوضتي

فقال المستر فوج وسيبقى موقداً على حسابك

الفصل الخامس

في اذاعة خبر حديث في انحاء لوندرة

لم يكن المستر فوج يجهل قبل مبارحته للوندرة ان الالسن العادلة ستتداول خبر رحلته وتتناول المنتديات الحافلة حديث سفرته وتلهج الجرائد بذكرها وتناقل اسماءها وتصبح مداولات النهار وتمسي سمر الليل في جميع الممالك المتحدة بالنظر الى اختلاف الطبقات والاجناس واشتغاف الناس في تلك الاقطار بعلم الجيوغرافيا واقبالهم عليه اقبال الظماء على موارد الماء وتداعيهم اليه تداعي الجياع الى القصاع

وكان الامر بعد سفر المستر فوج ان نهض كتاب الجرائد يقدحون زناد الفكرة ويشحذون القريحة في كتابة الفصول المطولة والمقالات المسهبة باثبين اراءهم مبدين افكارهم فكان كل من طالعها حكم بتوارد خواطر كتابها واجماعها على تخطئة المستر فوج لتحمله تبعة تلك الرحلة واحتمال مشاقها لكونها ليست بممكنة السوال على مثل هذا السوال بل تعد ضرباً من المحال ومن اشهر تلك الجرائد التيمس والستاندارد والافنين ستارد والمورنين كرونيكل وغيرها بما يبلغ مجموعه العشرين عداً ولم تصوب رأيه الا جريدة الدايلي تلغراف فانها حكمت بامكان ظهور ذلك التصور الى عالم الفعل

وقد كثر في تلك الفرصة المتشوقون لمطالعة الجرائد فلم يبقَ كبيرٌ او صغير عظيم او حقير الا انكبَّ على قرأة الصحف وامعان النظر في منشوراتها المتعلقة بطواف فيلاس فوج حول الارض وبما كانت ترويه عن السنة المتحدثين في مجلس القوم بتصويب اسهم اللوم نحو فيلاس فوج بحيث لم يبقَ احد من كبار اهالي العاصمة الانكليزية الا سلقه بالسنة حداد وانزله منزلة الجهلة الاغبياء الذين استولى عليهم الحمق وتولاهم الجنون

ولقد حدث في بعض الايام الاوائل من سفر فيلاس فوج ان جريدة الايلوستراتد لندن نشرت فصلاً طويلاً

فصيح العبارة وذيلته بصورة فيلاس وضمنته الاسانيد الدامغة على نجاح مشروعه وافبل الناس على قرأته من كلا الجنسين فمنهم من اخذ ساصرفوج راعمين انهم سمعوا بما هو اشد منه غرابةً وقائلين ان ليس في الكون شيئ غير ممكن مما هو خاضع لاحكام الطبيعة

وقد شفع هذا الفصل بفصلٍ اخر نشرته جريدة الدالي تلغراف باحثةً في ارجحية الامر من حيث امكان حدوثه فاصغت اليه الاذان ولم رسخ في الاذهان

والطير قد يسوقهُ للموتِ

اصغاؤُ الى حنين الصوتِ

ولكن لنكد الطالع ما لبثت جريدة الدالي تلغراف ان وهت قواها وكلت عزائمها وغيرت رأيها وبدلت مشربها

وقد نشرت جريدة الجمعية الجيوغرافية الملكية فصلاً طويلاً في تاريخ ٧ اوكتوبر تحاملت فيه على المسترفوج ورمتهُ بضعف العقل والحمق واختلال الشعور لتحديده ميعاداً قصيراً ورمناً يسيراً لاتمام رحلتهِ المهمة فقالت ان القدر يعمي البصر . ثم قالت . يا للعجب كيف امال المستر فوج نظره عن الموانع الطبيعية والعوائق المادية التي تحول دونهُ لانجاز الوعد وبلوغ القصد . كيف انهُ جهل ما يلزم ان يكون نصب العين من طوارق الحدثان على الخطوط الحديدية التي لا تسلم من العطب باجتيازها الهند في مدى ثلثة ايام والولايات المتحدة في مدى سبعة ايام اخرى فتتأخر عن الوصول في مواعيدها الى اماكنها المقصودة وذلك على افتراض ان تخرج في المسير عن الخطوط او تثور عليها العواصف ويتساقط الثلج عليها كثيفاً واذا كان في اوربا لا يعتمد على قطارات السكك الحديدية ان تصل في مواعيدها المعينة فكيف بالهند وشتان بين اوربا والهند

قالت الم يعِ المستر فوج انهُ يحتاج ان يركب البحار على اجنحة البخار فاذا ركبها وازبد البحر وهاج وتلاطمت فيه الامواج تميل به الباخرة مع الهواء ذات اليمين وذات اليسار وتلقى ما يلجئها الى التأخر اربعة او خمسة ايام عن الوصول الى المرافئ التي تقصدها ويكون اذ ذاك

قد انقطع خط الوابورات عن اطراد المواصلات ويحتاج رجل الرحلة الى الانتظار مدةً لينما يأتي البريد الثاني فيحمله الى حيث يريد وهذا يكفي لحوق الخلل بحسابه انتهى

وقد كان لنشر هذا الفصل وقع حسن في نفوس القراء فنقلته جميع الصحف وشفعته بالشروح والزيادات

اما سكان لوندرة فطفقوا يتراهنون على نجاح رجل الرحلة او عدمه حتى اصبحت اشغال الاكتساب محصورة في صكوك الرهان

ولا اكتم عن القراء الكرام ان الانكليز تميل بهم فطرتهم الغريزية الى الرهان فجعلوا لذلك اوراقاً لفيلاس فوج تتداولها الايدي كاوراق البورصة فكانت اسعارها ترتفع تارةً وتهبط طورًا من غير ان تستقر على حال

كريشةٍ في مهب الريح طائرة
لا تستقر على حالٍ من القلقِ

وقد استمرت هذه الاوراق على هذه الحال بين هبوطٍ وارتفاع الى ما بعد نشر ذلك الفصل في جريدة الجمعية الجيوغرافية بخمسة ايام وعند ذلك هبطت اوراق المستر فوج هبوطاً فاحشاً اذ رسخ في عقول القوم انه يستحيل عليه انجاز رحلته وايقنوا ان آمالهم لا تتحقق بعد ان كانوا آملين بالنجاح

وكان بين هولاء المشتغلين بامر المستر فيلاس رجل طاعن في السن يدعى اللورد الرمال فهذا اللورد كان يود ان يهب كل ماله لمن يطوف به الدنيا ولو بعشر سنين ولذلك لبث وحده متشيعاً لمستر فيلاس وضامناً له النجاح وقد تراهن مع آخر على ذلك فعرض ان يدفع خمسة الاف ليره اذا لم يصدق في حسابه ولما كان خلاسه يتجادلون معه اطراف الجدال ويوردون له جميع الاقوال الجازمة بخيبة الامال كان يجيبهم قائلاً . اذا لم تأتِ المهمة التي اتخذ فيلاس تبعتها على نفسه بالفائدة المقصودة فحسبنا افتخارًا ان رجلاً انكليزيًا قام بقضائها

وحدث انه في الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم تلقى رئيس الشرطة في لوندرة تلغرافاً هذا تعريبه

(انا سائر وراء لص البنك فيلاس

فوج . لرسل حالاً امرًا الى بومباي بالقاء القبض عليه)

(الامضاء)

فيكس

فكان لورود هذا التلغراف تأثير عظيم في سكان لوندرة . وكان فيلاس في الواقع يشبه بوجهه واعتدال قوامه ذاك الرجل الذي اعطيت جميع صفاته لرجال البوليس ليقبضوا عليه

وعندما علم الناس بهذا التلغراف هاجت فيهم سواكن الظنون واخذوا بالغيب يرجمون ويكرون على المستر فيلاس رحلته بحجة الطواف حول الارض في ثمانين يومًا وانه لا بد ان يكون للامر سرٌ عظيم بخالف الظاهر والله اعلم بالسرائر

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى
حتى يُراقَ على جوانبه الدمُ

الفصل السادس

كيف ان فيكس اصاب في قلة الاصطبار

ان الفرص التي سمحت لفيكس وبعثته على ارسال التلغراف الذي تقدم عليهِ الكلام في الفصل السابق كانت على نحو ما يأتي :

حدث انهُ في الساعة الحادية عشرة من صبيحة يوم الاربعاء الموافق ٩ اوكتوبر تقاطرت الجموع في مدينة السويس الى الرصيف لانتظار وصول الباخرة موجوليه من بواخر الشركة الشرقية في البحر المتوسط المصفحة بالحديد والتي محمولها الفان وثمانمائة طن وقوتها خمسمائة حصان وخطة سيرها واقعة ما بين برندزي وبومباي بطريق السويس وهي من افضل بواخر الشركة واسرعها سيرًا ومعدل سيرها بين برندزي والسويس عشرة اميال وبين السويس وبومباي تسعة اميال ونصف ميل

وكان يدمج بين اولئك الجموع المختلفي الاجناس المنتظرين وصول الباخرة الى مرفاه السويس (وهي المدينة التي احيا الموسيو دي لسبس رسمها وهيأ لها مستقبلاً سعيدًا) رجلان يمشيان على رصيف البحر احدهما وكيل قنصلية حكومة الولايات المتحدة وكان ينظر بعين الفكر الى مرور السفن الانكليزية بترعة السويس وذهابها الى الهند بمسافة نصف المدة التي

كانت تقضيها في الذهاب اليها عندما كانت تحذ راس الرجاء الصالح طريقًا لها فكان يهيج فيهِ هذا التأمل عامل الحسد ويثور عليهِ الانفعال النفسي والغيظ من حكومته لعدم قيامها بهذا العمل الخطير دون سواها

والثاني رجل قصير القامة نحيف الجسم تلوح عليه مخايل الحنانة والذكاء دو عينين ر رقاوين تنعذ اشعتها من بين اهدابها المسترسلة على الوجنتين وكان يلوح عليه انهُ مصاب بداء الاعصاب وكان يتمشى بعجلةٍ في الدهاب وقلة صبرٍ في الاياب وكان اسمهُ فيكس وهو احد رجال الشرطة الانكليزية الذي جاء من قبل حكومته ميناء السويس بصفة جاسوس يراقب جميع الداهبين الى الاقطار الهندية بغية الاكتشاف على اللص سارق بنك المملكة ويكبله بالقيود وينال على القبض عليه الجزاء المعهود والمبلغ الموعود . وكان مند يومين قد تلقى رسم شبه السارق من قبل مدير عموم البوليس في لوندرة وكان لذلك في انتظار وصول الباخرة بفروغ صبر بحيث كان كلما مرت دقيقة خالها ساعةً ومن فرط ما كان مستحوذا عليه من القلق اخذ بالاستعلام من حضرة القنصل عما اذا كان من المحتمل ان تبطئ الباخرة عن مواعيد حضورها فاجابه لا لكونها من اسرع السفن سيرًا وقد حازت قصب السبق في سباق البواخر الذي تجريه الحكومة في كل سنة وجائزة خمسة وعشرين جنيهًا ومع هذا وذاك فانها وصلت بالامس الى بورسعيد وقد بقي عليها ان تقطع مائة وستين كيلو مترًا لتصل الى هنا فقال ــ ألعلها تصل من برندزي رأسًا فاجاب ــ أجل فانها بارحت برندزي يوم السبت في نحو الساعة الخامسة بعد الظهر حاملةً بريد الهند وستصل الينا عاجلاً فغالب اذًا ما بك من قلة الصبر ولكن قل لي كيف يمكنك ان تعرف من التعليمات التي تلقيتها شخص اللص اذا لم يكن على ظهر السفينة فاجاب بالدهاة وحسن التفرس كما عرفت غيره من قبله فقبضت عليهِ واذا لم يكن اللص على ظهر الباخرة فلا يفلتنَّ من يدي اينما كان ــ فقال لهُ القنصل اتمنى لك ان تصيب المرمى وتنجح في مهمتك لان

السرقة مهمة . قال وليس اهم من سرقة خمسة وخمسين الف ليرة قلما سمعنا بمثلها فقال القنصل اسأل لك النجاح ولكن ارى دلك صعبًا عليك فالتعليمات التي وردت اليك تدل على ان اللص شخص دو هيئةٍ تدل على كونه من خيار الناس وعظماء القوم

فقال فيكس ان كبار اللصوص يرتدون من الملابس افخرها ويتظاهرون من الاخلاق بافضلها فيتقمصون ثوب الكرامة وما هم بكرام ليدفعوا عنهم الشبهات ولا يكونوا عرضةً للقيل والقال وهدفًا لملام العدال بل يمارسون مهنتهم بمزيد الحذق والدهاء فلا يمشون في الارض مرحًا او يتصرفون بغير تأنٍ وتدبير ودلك خشية ان يكشف امرهم ويعلن سرهم

ولما اقبل زمن وصول الباخرة اخذ الناس يتقاطرون افواجًا حتى غصت بهم الارصفة وحتى كاد الزحام يمنعهم من الحركة فمنهم نوتيون من جميع الاجناس ومنهم تجار وسماسرة وحمالون وفلاحون وكان الوقت رائقًا والجو صافيًا والهواء لطيفًا منعشًا والمنظر مبهجًا وفسحات المدينة تنفياء ظلال المآدن وكانت الزوارق تشق عباب المياه فتطرح الشباك لصيد الاسماك وكان منها ما ينطلق الى الباخرة فينقل ركابها الى البر

وكان فيكس يجول بين الجموع ويحدق بصره بكلٍ منهم فلما حلت الساعة العاشرة ونصف ولم تقبل السفينة على المرفاء هاج فيه القلق فدنا من القنصل وسأله قائلاً

الم تصل الباخرة بعد

ليست بعيدة من المينا

كم من الزمان تمكث هنا

اربع ساعات متتابعة اي الى ان يتم تفريغ شحنها ثم تذهب الى عدن قاطعة الف وثلثمائة وعشرة اميال وهناك تذخر الفحم وسائر ما تحتاج اليه وبعد دلك تتوجه الى بومباي رأسًا

ادا لم يكن اللص راكبًا السفينة فلا بد له ان ينزل منها الى السويس ليركب سفينةً اخرى تكون قاصدة مستعمرات هولانده او فرنسا حيث يتسنى له الفرار فانه لا مفر له من القبض عليه في الهند الانكليزية هذا ادا لم يكن اللص من زمرة

الاشقياء فانهُ يفضل المكوث في لوندره والبقاء فيها

وبينما كان فيكس يقلب اوجه المسألة ويتأملها اذ تركه القنصل وتوجه الى مكتب القنصلية الذي لا يبعد عن المحطة فبقي فيكس يرقب وصول الباخرة بقلة اصطبار كانهُ واثق بوجود اللص فيهـا فانهُ ادرك سهولة فراره من هذه الطريق وصعوبة هربه من طريق بحر الاتلانتيك وفيما كان غائصاً في بحار الافكار تائهاً في مغاور التأمل اذا بضوضاء قامت تحت السماء وصفير يطرق الاذان وطائفة الحمالين تتسابق الى الرصيف لتحمل امتعة الركاب فتنبه فيكس من غفلته واجال نظره فرأى الاصابع تشير الى السفينة التي رست في الميناء في نحو الساعة الحادية عشرة اما الركاب الذين كانوا فيها فكانوا عديدين واكثرهم لبثوا على ظهرها يبصرون عن بعدٍ موقع المدينة ورونقها

وكان فيكس يتوسم اوجه الخارجين من البحر ويقلب فيهم الطرف فرأى رجلاً بيده تذكرة مرور يتخلل الجموع فدنا منه وسأله عن مركز قنصلية انكلترة فتناول فيكس التذكرة من يده وقرأ بعجلةٍ العلامات المعتادة الدالة على هيئة صاحبها فاذا بها مطابقة تماماً للعلامات التي تلقى العلم بها من مدير عموم البوليس فسر بذلك واخذت يده ترتجف ارتجاف الفرح وفواده يرقص طرباً ثم سأل سائله بقوله

هل تخصك هذه التذكرة

لا بل هي لمولاي

واين هو

لم يزل في السفينة

يجب ان يحضر بذاته الى مكتب القنصلية

وهل هذا الامر ضروري

نعم ولا يتم شيءٌ الا باتمامه

واين مكتب القنصلية

في منتهى هذا الشارع

(واشار الى منزلٍ لا يبعد عن محلهما سوى مائتي قدم)

انا عائد لانادي مولاي ولا شك ان هذه المتعة لا ترضيه . ثم حيي فيكس وذهب

الفصل السابع

في ان تسجيل تذكرة المرور ليس الزامياً

بارح فيكس الرصيف وانطلق الى مكتب القنصلية وما لبث ان وصل اليه وبالرغم عن معارضة الحجاب ولج الباب بلا استئذان وقبل ان يعدر القنصل بالسلام ساق اليه الكلام فقال

بالادلة الكافية والعلائم الوافية ظهر اللص على ظهر الباخرة مونحوليه وقد خرج خادمه الى البر وقصد الحضور اليك لتسجيل تذكرة المرور

ثم قص عليه ما توقع له وبعد استيفاء الحديث اجابه القنصل

كل لص او سارق يبذل جهده في سبيل مواراة خبره ومحو اثره ولا يبحث عن حتفه بظلفه ولذلك تراني مرتاباً فيمن وقع عليه ظنك بل غير مصدق ان يكون هو اللص المقصود فان اللص لا يجسر على الحضور الى دار القنصلية ليسجل تذكرة سفره في حالة كونه ليس بالامر الالزامي

ان اللصوص يستعيبون احياناً تسجيل تذاكر سفرهم ليسهل عليهم الفرار واني لعلى وطيد امل ان مولاي يأبى عليه التسجيل اذا لم يتمثل بين يديه

ليس لي وجه للاباءة اذا لم تكن تذكرته قانونية

في عزمي ان القي القبض عليه هنا لبينما تصلني التعليمات بشأنه من لوندره

انت ادرى بواجباتك من غيرك اما انا فلا استطيع ان ..

ولم يتم كلامه حتى قرع الباب ودخل عليه احد الحجاب برجلين غريبين وكان احدهما المستر فوج والثاني خادمه وبعد السلام قدم المستر فوج للقنصل تذكرة سفره راجياً تسجيلها فاخذها القنصل وقلبها ظهراً لبطن ثم قرأها معيناً فيها النظر وبعد ان قرأها سأل صاحبها ·

هل انت المستر فوج

نعم يا مولاي

وهل هذا الرجل هو خادمك

(واشار الى باسبارتو)

اجل وهو فرنسوي يدعى باسبارتو

وانت آتٍ من لندن

نعم

والى اين انت ذاهب

الى بوماسي
اعلم ان تسجيل التذاكر ليس امرًا الزاميًا
اعلم ذلك ولكن اطلب اليك تسجيلها لمآرب لي
فليكن كقولك
وللحال تناول القنصل ختم القنصلية فختمها به وخط فوقها تاريخ التسجيل ثم اعادها اليه فاخذها ونقد القنصل الرسم ثم حياه وخرج من لدنه عائدًا الى الباخرة
واتفق انهُ بعد خروجه ظهر فيكس من خبائه ووجه اليه القنصل الخطاب الآتي
ماذا رأيت فيه
علامات الاستقامة والشرف
الم ترَ فيه علامات اللص واحدةً بعد اخرى
ربما تكون فيه بعض العلامات التي تشير اليها لا جميعها
بل جميعها يا مولاي وتحقيقًا للظنون ها انا ذاهب لالقى خادمه الذي يلزم ان يكون مهذارًا وسليم الطوية لكونه فرنسويًا فلا يخفي خافيةً على سائليه

ثم خرج من لدن القنصل يبحث عن باسبارتو
اما فيلاس فوج فبعد خروجه من دار القنصلية قصد جهة الميناء ومنها ركب قاربًا فاوصله الى الباخرة فصعد اليها ودخل فيها حجرته واخذ دفترًا مخصصًا للاشتمال على الايضاحات الآتية
بارحنا لندن في الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ من صباح الاربعاء الواقع في ٢ اوكتوبر ووصلنا الى باريس في الساعة السابعة والدقيقة ٢٠ من صباح يوم الخميس الواقع في ٣ اوكتوبر
خرجنا من باريس في الساعة الثامنة والدقيقة ٤٠ من صباح الخميس الواقع في ٣ اوكتوبر ووصلنا الى تورينو من طريق جبل سينيس في الساعة السادسة والدقيقة ٣٥ من صباح يوم الجمعة (٤ اوكتوبر)
بارحنا تورينو في نحو الساعة السابعة والدقيقة ٢ من صباح اليوم ذاته فوصلنا الى برنديزي في الساعة الرابعة من مساء يوم السبت الواقع في ٥ اوكتوبر
وفي الساعة الخامسة من اليوم المذكور

ركبنا الباخرة مونجليه قاصدين السويس فوصلنا اليها في الساعة الحادية عشرة من صباح الاربعاء تاسع اوكتوبر فيكون مجموع ساعات سفرنا مائة وثماني وخمسين ساعة وخمس وعشرين دقيقة اي ستة ايام ونصف يوم

وكان المستر فوج يرقم هذه التواريخ في دفتر حصصه لرحلته يبتدئ من ثاني اوكتوبر وينتهي في الحادي والعشرين من دسمبر وقد اتخذه لبيان الاشهر والاسابيع والايام ومواقيت الوصول الاعتيادية الى كلٍ من المدن الاتية اسماؤها

باريس
برندزي
السويس
بومباي
كلكوتا
سنغافور
كون كون
يوكاهاما
سان فرنسيسكو
نيويورك
ليفربول
لوندره

وقد قصد بذلك ان يتبين الساعات المكتسبة في السفر فيعلم اذا كان متقدمًا او متأخرًا عن المواعيد المقررة لرحلته ٠ وكان وصوله الى السويس في الميعاد المضروب له من غير تقديم او تأخير

الفصل الثامن

الحلم زينٌ والسكوت سلامةٌ
فاذا نطقت فلا تكن مكثارا
ما ان ندمتُ على سكوتي مرةً
الا ندمت على الكلام مرارا

بينما كان باسبارتو يمشي على رصيف الميناء ويقلب الطرف في مناظر لم تخطر له بخاطر اذا بفيكس وفد عليه واقترب منه واخذ يكلمه بما يأتي :

لعلك تكون قد انهيت تسجيل تذكرة المرور ٠٠ فاني اراك طافح الفؤاد بالسرور تجيل طرفك في منظر هذه المدينة البهج

اهلاً بك ومرحبًا ايها الصديق ٠ نعم قد انجزنا اعمالنا ولم يبقَ مانع يحول دون سفرنا سوى سير الباخرة ولا اخفي عليك

اذهالي من سيرنا السريع فاني آكاد لا اصدق بوصولنا الى مدينة السويس المصرية والبقعة الافريقية واوشك ألّا اتيقن ببارحتنا لباريس عاصمة الفرنسيس التي تحلو عن القلوب صداء الكروب واني لاسف كثيراً على عدم تمكني من الاقامة فيها مدة طويلة فاني مررت بها مرور الخيال ولم انظر اليها الا من نوافذ العربة التي ركبناها بين المحطة الشمالية ومحطة ليون

يظهر من كلامك انك في حاجةٍ كلية الى الاسراع في السفر

ان مولاي مضطرٌ الى الاسراع في المسير ومن غريب هذا الاضطرار ان سفره كان على حين بغتة فلم نتمكن بسبب ذلك من استحضار ما يلزمنا في سفرنا ولذلك امرني اليوم ان ابتاع ما هو في حاجةٍ اليه من الجوارب والقمصان فهل لي بحسن ولائك وكرم اخلاقك ان ترشدني الى السوق لابتاع لوازمنا قبل فوات الوقت

حباً وكرامةً اما الوقت فلا تخشَ فواته فانا الان في اوان الظهر لا لم يحل وقت الظهر بعد وما الساعة الان الا ٩ والدقيقة ٥٢ (قال ذلك واخرج ساعة ضخمة من جيبه) .

الان حل وقت الظهر تماماً وساعتك تؤخر ساعتين في الدلالة على الوقت وربما كان هذا التأخير ناشئاً عن تطبيقها على ساعة لوندره فحصل الفرق لذلك فعليك بضبطها على ساعة السويس لتتمكن من معرفة سير الارض حول الشمس

سيان عندي وقفت على معرفة الاوقات او لم اقف فعلى الوقت ان يسير على مقتضى سير ساعتي التي ورثتها عن اجدادي ولا تؤخر في السنة خمس دقائق

العلكم قادمين من لوندره رأساً

نعم وقد بارحناها من يوم الاربعاء

والى اين مولاك ذاهب

ليطوف الكون في ثمانين يوماً وقد عقد رهاناً على ذلك زاعماً انه يتم الامر الذي لا اخاله ممكن الحصول وانا اطلب اليك الاّ تبوح بالخبر لاحدٍ من البشر ماعرفهُ واحفظهُ في زوايا الصدور

ـ وانا لا اخال ذلك محتمل الحدوث ايضاً ولا بد ان يكون من طي الامر امور

لم ادركها ومقاصد لم اعرفها فاخبرني حماك الله هل ان مولاك غني وهل انت مقيد بخدمته منذ زمنٍ طويل

انهُ ذو ثروة وإمرة وهو الان يجمع قدرًا عظيمًا من سفاتج البانكات وقد سمعتهُ اليوم يعد مهندس الباخرة موتجوليه بجائزة عظيمة اذا بلغنا بومباي قبل الميعاد المعين واعلم اني لم اعرفهُ الا في اليوم الذي بارحنا فيه لوندره وكان اليوم الاول من دخولي في خدمته

وكانت هذه الايضاحات تزيد طوبى فيكس تحقيقًا واعتقاده بما توهمه صحيحًا وبعد ان القى باسبارتو اليه هذا البيان طفق يفكر في الامر ثم ساقهُ التفكر الى التبصر بسفر المستر فوج الذي اعقب حادث السرقة بايام قليلة وعمد اليه بحجة ضعيفة موه به على الناس بغير برهانٍ وقياس وقد ايد رأيه قول باسارتو لهُ انهُ لم يكن يعرف مولاه ولا سبب ثروته وغيابه

وبينما كان فكس نشوانًا بخمرة الاماني مبددًا ظلمات الارتياب اذ سأله باسارتو قائلاً

ــ ابعيدة بومباي من هنا وفي ايه ارضٍ هي

ــ تبعد من هنا نحو عشرة ايام وهي من ارض الهند

هل هي من ضمن قارة اسيا

نعم

آه قصت عليَّ العجلة يوم سفري ان اترك في حجرتي مصباح الغاز موقدًا ولما ابلغت مولاي ذلك قال لي انهُ سيبقى موقدًا على حسابي وقد عدلت الخسارة فعلمت ان ثمن الغاز الذي يحرق في مدى اربع وعشرين ساعة يبلغ عشرة شلينات وهو ما يتجاوز راتبي اليومي بستة بسات ومدة السفر كما تعلم طويلة فما العمل

ولما سمع فيكس هذا الكلام لزم السكوت مرجحًا احتمال وقوع الامر ثم استمرا سائرين ولما وصلا الى السوق غادر فيكس رفيقه باسارتو وقد ودعه واوصاه بعدم التأخر حذرًا من سفر الباخرة قبل ان يعود اليها ثم انطلق الى مكتب القنصلية فلقي القنصل جالسًا على كرسيه فابتدره بالكلام قائلاً

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلاً
ويأتيك بالاخبار من لم تزودِ

لقد وقفت على الحقيقة ولم يعد محال للريب فاللص في قبضة يدي وساتبعة الى الهند الى ان يرد لي الامر بالقبض عليه فاسوقهُ دليلاً

ثم نهض وتوجه الى مكتب التلغراف وارسل تلك الافادة التلغرافية التي تقدم الكلام عليها في الفصل الخامس

وبعد ذلك اعد لوازم السفر من ملبس ودينار ثم ركب البحر على ظهر الباخرة موبجوليه التي ما لبثت ان سافرت تشق عباب البحر الاحمر سائرة الى حيث تقصد

الفصل التاسع

كيف ان البحر الاحمر وبحر الهند اعانا فيلاس فوج على بلوغ امانيه

سارت الباخرة تقطع المسافة الكائنة بين السويس وعدن سير الاطيار وتجد في المسير حذر التأخر عن الوصول الى بومباي في الميقات المعين وكان اغلب ركابها قاصدين الهند فمنهم من كان متوجهاً الى بومباي ومنهم من كان ذاهباً الى كلكوتا من طريق بومباي التي اصبحت الطريق الاقرب بعد ان مدت خطوط السكك الحديدية في جميع اراضي شبه الجزيرة الانكليزية ولم تعد ضرورة هناك للمرور من رأس جزيرة سيلان

وكان بين ركاب السفينة جمع غفير من الموظفين الملكيين ومن امراء العسكرية في جيش الاحتلال الانكليزي وفي جيش سيبايس الوطني وكلهم يتمتعون برواتب فادحة فوكيل الفريق منهم في العسكرية يتناول راتباً يبلغ ٧٠٠٠ من الفرنكات ورئيس الفرقة ٦٠٠٠ فرنك والقائد ١٠٠٠٠ فرنك (١)

وكان على ظهر الباخرة ايضاً قوم من الشبان الانكليز ذاهبين الى الهند بالقناطير

---

(١) اما رواتب الخدمة الملكيين فكانت لا تتجاوز رواتب امراء العسكرية مقداراً فان كانت رواتب المساعدين في الادارات من الدرجة الاولى ١٢٠٠٠ فرنك ورواتب القضاة ٦٠٠٠٠ فرنك ورواتب قضاة مجلس الاستئناف ٢٥٠٠٠٠ ورواتب المديرين ٣٠٠٠٠٠ ورواتب الحكمدار العام نيفاً و ٦٠٠٠٠٠ فرنك

المقطرة من الذهب الرنان لينشئوا
بها البوكـة والحلات التجارية وقد
امتزجوا بسائر الركاب امتزاج الماء بالراح
واختلطوا بهم اختلاط الروح بالجسد
فعندما كان يهدأ البحر وتسكن فيه
حركات المد والجزر كانوا يقضون
الاوقات بالمسرات فيرقصون ويعزفون
بآلات الطرب ويتمايلون بفعل الخمرة
تمايل الاغصان ويسمعون الاذان
ضروب الالحان ولا يمسكون عن
اللهو والطرب الا عند ازباد البحر
وتلاطم الامواج واهتزاز السفينة فيدخل
كل منهم حجرته ويتوسد فراشه فتهدأ
ضوضاء الاصوات وتعقبها اصوات الزوابع
ودمدمة الرعود ومخر السفينة السائرة
نحو باب المندب ·

وكانت الخدمة في تلك الباخرة
غايةً في الاتقان فالسماط يمد للركاب
اربع دفعات في اليوم ويقدم لهم من
الخمر المشروبات والذ المأكولات فيأكلون
مريئًا ويشربون هنيئًا

اما فيلاس فوج فماذا كان يقضي
الاوقات ·أ بشخوصه في اضطراب الماء
واشتداد الانواء ام كان مستسلمًا الى
هبوب العواصف القواصف وتتابع
الزوابع شأن الخائف من توقف
السفينة عن المسير والتجائها الى احدى
المرافئ القريبة اثناء جسامة الاضطراب
وخشية ان يكون ذلك داعيًا الى تأخير
سفره · ام كان ينظر بعين بصير الى
المصاعب المحدقة به وبالباخرة فيشتد
عليه القلق وتظلم الدنيا في عينيه . —
لا وابيك بل كان جالسًا في حجرته
غير مبالٍ بموقع البحر الاحمر الذي
حصل على المقام الاول في تاريخ
المعجزات البشرية وغير ملتفتٍ الى المدن
العديدة التي كان يراها الناظرون
على شواطئ البحر وغير مكترث
بالخطر الذي كان يتوعد السفينة في
ذلك الموغار الذي قلما اجتازته باخرة
(على قول الواصفين) من غير ان
يلحق بها ضرر ولا تتعطل آلاتها ـ
فهو الرجل الذي عرف بالرصانة والتجلد
والحكيم العاقل الذي بات لا يستطيع
احد استطلاع خفاياه وامسى لا شيء
يؤثر فيه

وكان يقتل الاوقات في كل يوم بتناول ما كان يقدم له من الطعام اربع دفعات في اليوم ويلهو بلعب الويست مع من الفاه في السفينة على شاكلته وكان الذين عرفهم في الباخرة ممن كان على طرازه احد مأموري جباية الاموال الاميرية الذي كان داهبًا الى مركزه في كوا وحضرة الوزير ديسمويس سميث الذي كان عائداً الى بومباي والقائد العام للحملة الانكليزية في الهند الذي كان داهبًا ليلحق باركان حربه ببارس.

اما باسبارتو فكان منزويًا في حجرة قائمة عند مقدم السفينة غير منزعج من الم البحر شديد القابلية للطعام وكان في عزلته يتأمل هذه السياحة التي توفر له فيها لذيذ الطعام وطيب المنام وشهي المدام ومشاهدة بلادٍ غريبة فكان لذلك رافلاً في حلل الصفاء ذاكرًا مع ذلك ان هذه السعادة لا بدّ من زوالها فيطير عقله شعاعاً ويذوب قلبهُ اسفًا والتياعًا.

وفي اليوم التالي لسفره من السويس الذي كان واقعًا في ١٢ اوكتوبر حدث انه التقى على ظهر السفينة بصديقهِ فيكس الذي تعرف بهِ في مدينة السويس واسترشدهُ الى دار القنصلية وسوق الباعة فحياه بالسلام واظهر لهُ مزيد سروره من التقادير التي ساقته الى الاجتماع به مرةً اخرى ثم دارت بينهما المحاورة الاتية

باسبارتو—الى اين ذاهب

فيكس —الى بومباي

حمداً لحسن الطالع هل سافرت اليها غير مرة

نعم ذهبت اليها مراراً لاني من وكلاء شركة الوابورات الشرقية في البحر المتوسط

فاذا انت تعرف الهند

فرأى من هذا السوال ما كاد يوقعهُ في الارتباك ولكنهُ ما لبث ان اجاب

نعم ولكن ...

ثم حاول ان لا يسوق الحديث الى الكلام على الهند وبعد برهة قال لهُ باسبارتو

كم في الهند من مناظر مدهشة

شيء كثير فانك تشاهد فيها
المآذن والمداخن والهيا كل ومعابد
الاصنام وجميع انواع الحيوان كالذئب
والنمر والاسد وغير ذلك وترى فيها
النساء راقصات بحمة غريبة ورقاشة
عجيبة واتمنى لك ايها الصديق الحصول
على الوقت الكافي والزمن الوافي لتزور
هذه البلاد وتشاهد ما فيها من العجائب
ــ اني اودّ ذلك كثيرًا ولكن دونهُ
مصاعب يلقيها في سبيلي مولاي فانهُ سيقضي
هذه الرحلة في الانتقال من الخطوط
الحديدية الى السفن البخارية ومن هذه
الى تلك بحجة الطواف حول الارض في
ثمانين يومًا ويطلي على الناس المحال بخلاف
ما يشف عن ذات الصدور فاؤمل ان
ينتهي هذا الدور في رواية مولاي ويكون
ختامه في مدينة بومباي
ــ وكيف حال صحته
ــ غاية في الاعتدال وهكذا صحتي
ايضًا فاني آكل كثيرًا وما ذلك الا من
جودة هواء البحر
الا يصعد مولاك الى ظهر السفينة
ــ لا

ــ فربما كان يا باسورتو موجهًا بمهمة
سياسية ويروم ان يخفيها وراء حجاب
هذه الحجة
لا علم لي بشيء من ذلك
وما اكفهرّ وجه النهار ومالت
الشمس الى الغروب حتى اجتازت السفينة
باب المندب ورست رابع عشر الشهر
في مياه عدن المعدة محطًا للسفن السائرة
الى الهند لتدخر منها ما يلزمها من الفحم
الحجري والمؤنة فاستقرت فيها اربع
ساعات خرج المستر فوج وخادمه في
خلالها الى البر وتوجها الى دار الحكومة
لتسجيل التذكرة
وقد انطلق فيكس في اثرهما وتتبع
حركات فيلاس الى ان عاد الى السفينة
التي بقي عليها ان تسير مسافة الف
وستمائة وخمسين ميلًا لتبلغ بومباي وبعودته
اليها استأنف تمضية الوقت بلعب
الويست
اما باسارتو فقد بقي في المدينة
يتنقل في ضواحيها تنقل الافياء ويمر
بين اهلها نفور الظبى ويخطر خطرات
الغيد يرعى بعينيه وجوه سكانها المؤلفين

من صومانليين وبارسيسيين واسرائيليين وعرب وافرنج ويتفرج على حصون المدينة ومعاقلها المنيعة وقلاعها الحصينة ويتأمل موقعها الحربي القائم بمثابة جبل طارق لبحر الهند وصهاريجها التي يشتغل فيها المهندسون الانكليز بعد مهندسي سليمان بالفي عام

وبعد ان متع النظر من كل تلك المشاهد عاد الى السفينة مندهشاً مما رآه رأي العين خاطاً على صفحات لبه ان في الاسفار نفعاً عظيماً ·

وفي نحو الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم خرجت الباخرة من مياه عدن متممةً سيرها الى بومباي وكان البحر هادئاً والريح ملائمة لسير السفينة من الجهة الشمالية الغربية وصواريها مرتفعة في الفضاء تكاد تشق كبد الجو فاغتنم الركاب صفاء الوقت وعادوا الى تجديد عزف الموسيقى والرقص بما لذ لهم وكان لديهم لهواً مستطاباً وكان باسبورتو يقتل الاوقات مع صديقه فيكس بتبادل القصص والحكايات والتنقل في الحديث من القديم الى الحديث ودام الامر كذلك الى ان اشرفت الباخرة في ظهر العشرين من شهر اوكتوبر على مدينة بومباي فخف الركاب يهنئون بعضهم بعضاً بسلامة الوصول وعلائم السرور تعلو وجوههم وبعد مضي ساعتين طوى ملاحو السفينة شراعها وتوارت عن الانظار بين غضاضة شجر النخل الكثيف الحاجب المدينة عن العيان ثم دخلت بوغار جزيرة صالصيت وجولابه واليفانته وبوتشر وفي الساعة الرابعة ونصف اقبلت على بومباي فتقدم فيلاس فوج الى رفيقه الذي قضى معه معظم اوقات السفر في لعب الويست وحياه تحية الفراق الى حين التلاق ·

وقد كان وصول السفينة الى بومباي في ٢٠ اوكتوبر بدلاً من ٢٢ فيكون المستر فيلاس فوج قد اكتسب من مبد قيامه من لوندره يومين من زمن الرحلة رقمها في دفتر سياحته بحقل الارباح

الفصل العاشر

كيف ان باسبارتو اضاع

حذيه وولى الفرار

فان قصدتك الحادثاتُ بسؤسها

فوسع لها درع التجلد والصبر

كل يعلم ان ارض الهند مثلثة الشكل تمتد من الشمال وتنتهي في الجنوب وان مساحتها تبلغ ١٤٠٠٠٠٠ من الاميال المربعة وتحتوي من السكان على مائة وثمانين مليوناً وان العلم الانكليزي يخفق فوق اكثر مقاطعاتها التي يتولى امورها حكمدار انكليزي يستقر في كلكوتا وتحت ادارته مديرون من الانكليز في بومباي وبنغال ومدراس وقائمقام في مدينة اجره

والمستعمرات الانكليزية في الهند تبلغ مساحتها سبعمائة الف ميل مربع وتأهل من السكان نحوًا من مائة الى مائة وعشرة ملايين اما بقية البلاد الهندية فتقسم الى امارات قائمة برأسها لم يزل قاطنوها في عالم الهمجية والخشونة

وكان قد تألف في الهند عصابة من الوطنيين فصمت اقاليم عديدة الى حوزتها واذاعت بعض مقاطعات من امرائها بدفع خراجها السنوي اليهم الا انها لم تكن تدفع الاّ القليل وفي كثير من الاحيان كانت تستغرق المال ولا تدفع منهُ شيئاً وقد عينت تلك العصابة للبلاد التي امتلكتها حكاماً عسكريين وامراء ملكيين وبث نفوذها وامتدت في احتكار الاراضي امتداد النار في الضرام منذ عام ١٧٥٦ (وهو العام الذي وضع فيه اساس البناء الانكليزي الاول في البقعة القائمة فيها الان مدينة مدراس) حتى السنة التى شبت فيها نيران الثورة السيبايسية فتشتت شمل تلك العصابة ونزعت منها السلطة وأُخذت منها الاراضي التي كانت قد امتلكتها بشروى نقير ومنذ ذاك تقدمت البلاد في المدنية ونشطت من عقال الذل والهوان وتوفرت في مياهها السفن التجارية ومدت فيها السكك الحديدية وتفرّعت منها خطوط جمة وامست المسافة الكائنة بين بومباي وكلكوتا تقطع في مدى ثلثة ايام فكفى الناس ذلك مزيد العناء بما نشأ عنه من سهولة اسباب النقل

فانهم فيما سلف كانوا يسخرون الخيول والبغال والمركبات وظهور الناس لنقل البضائع

اما الخط الحديدي الكائن بين بومباي وكلكوتا فلا يتصل بالخط الطويل الذي يكتنف الهند ثم ان المسافة التي تقطعها السكة الحديدية بين المدينتين بسرعةٍ متوسطة فلا تزيد على الف او الف ومائة ميل اي عبارة عن ثلاثة ايام متوالية وقد اضيف الى هذه المسافة نحو ثلث هذه الاميال في الاول بالنظر الى اتصال الخط المذكور بخط الله اباد الممتد في الجهة الشمالية من شبه الجزيرة واليك لمع من بيان اتصال الخطوط الحديدية بعضها في الاقطار الهندية

يبتدئ الخط من مدينة بومباي مارًّا بصالسيت وطانه الى سلسلة جبال جاتس العربية ومنها يمتد في الجهة الشمالية الشرقية الى بورهامبورغ الى ان يجاور الاراضي المنفصلة عن بيندلكيند ومن هناك يمتد الى الله اباد ويتحول نحو الشرق فيمر بكنج الواقعة بالقرب من بنارس ثم ينحدر من الجهة الجنوبية الشرقية الى بور ديغان ثم الى المدينة الفرنسوية المعروفة باسم شاردير ناجور ومنها يمتد الى كلكوتا

وكان خروج المستر فوج وخادمه وبقية الركاب الى مدينة بومباي في نحو الساعة الرابعة ونصف بعد الظهر. وكان الاجدر بهذا الرجل ان يطوف شوارع المدينة شأن السائح في الارض ويتفقد معاقلها وطلولها ويزور فيها الاماكن الشهيرة ويشهد المنظر المدهشة الغريبة كالفندق العظيم المتقن البناء الفسيح الجوانب الوطيد الاركان والمكتبة التي تحتوي على انفع المؤلفات المسوحة باقلام اشهر الاساتذة والعلماء والحمامات المختلفة اشكال البناء وحلقة الاقطار والمآذن وكنائس الاسرائليين وهياكل الارمن ومعبد الصنم ماليبارهيل القائم على برجين عظيمين في اربع زوايا مزينة بالنقوش والرسوم الجميلة وآثار البيعانته. كانبيتها وسراديبها السرية المحفورة في باطن الارض في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة بالقرب من الميناء وكهوف كانهيري الموجودة في جزيرة

صالسيت ـ قلما ولو رار تلك الاماكن وتأمل مشاهدها لدهشت عنه اشجار السعر وغموم الاعتراب وطابت نفسه بما استعاد وقرّت عينه بمـــا رأى . على انه لم يسلك هذا السبيل الـ امال الخاطر عنه وحالما حرج الى اليابسة امر حادمَـهُ بشراء بعض اللوازم واوصاهُ بالحضور الى محطة السكة الحديدية في الساعة الثامنة ثم سار الهويباء يقل القدم بخطوات معتدلة متجهاً نحو مكتب القنصلية وبعد ان سجل تذكرة سفره عاد الى المحطة ودخل قاعة الطعام فمدت له المائدة وكان عليها ارنب لم يحلُ لذوقه صحنه واستدعى صاحب الفندق فسأله وعيناه تتفرسان فيـــه

ا أرنبٌ ما قدمت لي

نعم يا حضرة الميلورد

الم يموء عندما دبح

نعم ماء ياسيدي الميلورد ويمين الله انه ارنب

لا تحلف اليمين المعظمة بل تذكر ان اهل الهند كانوا منذ عامين يعتقدون ان الهرّ حيوان مقدس ولعله اليوم اصبح مخصصاً للسواح

قال هذا وطفق يأكل

ثم انه بعد ان حرج المستر فوج الى البر ببضع دقائق حرج فيكس وراءهُ كما تقدم لنا الكلام وانطلق تواً الى مركز رئيس الشرطة في بومباي وعرّفه بنفسه وجعله على علم بماموريته واخبره بوجود اللص فيلاس في ثغر بومباي ثم سأله عما اذا كان ورد اليه امرٌ من لوندره بالقاء القبض عليه فاجابه سلبًا وعند ذلك اعتمد فيكس رأسـه بيديه واخذ يخبط في اودية الافكار خبط عشواء لا يدري ماذا يفعل ثم طلب من رئيس الشرطة ان يدفع اليه كتابةً تامرهُ بالقاء القبض عليه فأبى ان يجيبه الى ذلك بقوله

ـ ان هذا الامر ليس من متعلقاتي بل من متعلقات الادارة العمومية

فاقتنع فيكس بهذا الجواب وآلى على نفسه ان يستمر على مراقبة فيلاس فوج لئلا يتملص من بين يديه ويزيغ

عن نصره في المدة التي يقضيها في بومباي وان يظلّ سالكًا هذا الطريق الى ان يرد اليه امرٌ بالقاء القبض عليه ولم يكن يعلم ان فوج سيارح بومباي عاجلاً بعد مضي بضع ساعات

اما باسارتو فبعد ان تلقى الاوامر اللازمة من مولاهُ تيقن ان اجل السياحة لا ينقضي في بومباي بل ربما انقضى في كلكوتا او في سواها ثم طفق يسال نفسه عما اذا كان للرهان الذي عقده مولاه صحةٌ ما ام لا وعما اذا كانت التقادير تقودهُ الى اتمام الطواف حول الارض وهو في عيًّ عنه

وبعد ان اشترى بعض قمصان وجوارب من سوق الباعة طفق يطوف شوارع المدينة الى وقع نظره عن بعدٍ على احدى الفسحات فرأى فيها ازدحامًا غريبًا فساق القدم الى حيث الجماهير المجمهرة يستجلي حقيقة الخبر فرأى اناسًا مختلفي الشيع والاجناس فمن اعجام بقلانس طويلة وبانيانيين بعمائم مستديرة وسنديين بقبع مربعة وارمن باردية طويلة وبارسيسيين بتيجان سوداء وفي وسطهم نسوة هنديات مترديات بقمصان حمراء مسترسلة الى الاقدام وموشاة بالخيوط الذهبية والفضية . ورآهنّ يخطرن بقدودهنّ الهيف ويتمايلنَ تمايل الاغصان والحاظهنّ تفتك بالقلوب فتك السيوف بالاعناق تبدي كل منهنّ تيهًا ودلالاً

محجبة بقوامها فاتنةً بجمالها
فاذا مشت مرّ النسيم يعطفها
فيكاد يلويهِ لفرطِ اللينِ

وكان ذلك اليوم عند طائفة البارسيسيين عيدًا سعيدًا تحتفل به سنويًا وتشترك معها فيه بقية الطوائف اما هذه الطائفة فهي الطائفة المشهورة بالصناعة والتجارة والثروة والتمدن زيادةً عما سواها من الطوائف الهندية

وبعد ان قضى باسارتو مدةً في تلك الحفلة مستسلمًا للدهشة والاندهال لا يبدي اشارةً ولا ينطق بكلمة سار نحو المحطة فمر في طريقهِ بباية مزينة بما يعجز عن وصفه لسان الواصف فسولت له نفسه الدخول اليها ليرى اتقانها البديع وزخارفها التي تأخذ بمجامع الالباب

وكانت تلك الباية معبدًا للصنم

ماليبارهيل الا انه كان يجهل تماماً عادات البلاد وقوانين المعابد في تلك الديار ولا سيما معابد الاصنام منها فانه لم يكن مباحاً لاحدٍ من المسيحيين ان يدخل اليها اما الوثنيون فكانوا يلجونها بحشمةٍ ووقار حفاة مكشوفي الرأس وكانت الحكومة الانكليزية تحترم عادات كل طائفةٍ وتعاقب من يخرق حرمتها عقاباً شديداً .

وكان باسارتو جاهلاً لهذه العادات بالنظر الى كونه غريباً لا يعرف طريقة الدخول الى معابد الاوثان فولج باب الهيكل السالف ذكره بدون ان يخلع خفيه او يرفع قبعتهُ فتقدم حتى وسط الهيكل فرآهُ ثلاثة كهنة من خدمة الاصنام على هذه الحالة فاخذتهم عليه غضباً وتميزوا غيظاً ثم وثبوا عليه وثبة الاسود وخلعوا الحذاء من قدميهِ واثخنوه جراحاً اما هو فلبث يغالب الالم حتى علتهُ فثارت في رأسه حمية الفرنسيس واستعان على اولئك الكهنة بمدد الله فاخذ يلطمهم بكفيه ويرفسهم برجليه وبينما كان مشتبكاً معهم سقط منهم اثنان على الارض عاثرين باذيال ارديتهما فانتهز اذ ذاك باسارتو الفرصة وخرج من باب المعبد فتبعهُ الكاهن الثالث يثير عليه الناس وهو مجدٌّ في السير الى ان بلغ المحطة قبل قيام القطار بخمس دقائق فدخلها مكشوف الراس حافي الرجلين فاقد الامتعة التي كان مولاهُ قد اوصاه بشرائها ثم اخذ يحملق في الجموع حتى رأى مولاه فشكا اليه الحال بلسانٍ كأنه تذكر قول من قال .

نكبت من الدهر مستضحكاً
وشرُّ البلية ما يضحك

ثم قص عليه الحادث وما وقع لهُ مع كهنة معبد الصنم ماليبارهيل فقال لهُ مولاه اؤمل ان لا يقع لك بعد مثل هذا الحادث ثم ركبا القطار وسارا الى حيث يقصدان

اما فيكس فكان قد علم ان المسترفوج مسافر من بومباي فاتى المحطة ليقتفي اثره وسمع بما حدث لباسارتو عندما كان يقص الخبر على مولاه

وبعد برهة يسيرة من الزمان ازف وقت قيام القطار فخرج من المحطة يسير

طيرًا بلا جناح الى ان توارى عن الانصار يشق في ذلك الليل الحالك قلب الظلام

الفصل الحادي عشر
في انّ فيلاس فوج اشترى مطية باغلى الاثمان

سار القطار في ميعاد سفره المعتاد وعليهِ عدد ليس بقليل من الركاب فبعضهم موظفون ملكيون وبعض الاخر من تجار العظم والافيون يقصدون الجهة الشرقية من شبه الجزيرة حيث لبضاعتهم رواج . وكان باسبارتو قد ركب العربة التي ركبها مولاه وقبالة الاثنين رجل ثالث عرفه المستر فوج في الباخرة مونغوليه عند مرورها بترعة السويس وقضى معهُ اوقاتًا كثيرة بلعب الويست وهذا الرجل كان طويل القامة اشقر الشعر يتجاوز الخمسين عامًا يدعى السير فرنسيس كرومارتي ويعرف بقائد الحملة العسكرية في الهند . وكان لاحقًا بالجيش المعسكر بالقرب من بناري وله الايادي البيضاء في اطفاء ثورة السيبايس التي لقب من اجلها عند الهنود بصادق الوطنية وقد قطن الهند منذ نعومة اظفاره وله الخبرة التامة باحوالها والعلم الكافي بعادات اهلها ومشاربهم ولو خطر للمستر فوج ان يستعلم منهُ عنها لما بخل عليه بالشرح المسهب والتفصيل المطول ولكنا عرفنا فوج واحواله وكيف انه يدور حول الارض كدوران جرم عظيم من الكواكب السيارة حول الكرة الارضية على مقتضى النواميس الفلكية وعرفه ايضًا السير فرنسيس كرومارتي من يوم ابصرهُ جالسًا يلهو بلعب الويست والورق بين انامله فتعجب من جمود دمه وغرابة اخلاقه وعدم تأثره من مفاعيل الطبيعة ومناظر الوجود

ولم يكتم فيلاس فوج عن السير فرنسيس كرومارتي موضوع رحلته وطوافهِ حول البسيطة ولا الشروط التي عقدها والمدة التي حددها لاتمام هذه الرحلة وذلك ليكون على بينةٍ من الاسباب التي دفعته الى التعجيل في السفر والاسراع في المسير

وما قطع القطار مسافة ساعتين

حتى عبر الجسر ماراً بجزيرة صاصيت
يطوي البيد طياً واستمر سائراً الى ان
بلغ محطة كاليان فتحول عن الجهة اليمنى
تاركاً فرع الخط الواقع عند كاندالله
وبوباح وساق في وجهة الهند الجنوبية
الشرقية وسار الى ان وقف في محطة
ناويل ومنها انطلق بين اشجار ملتفة
وارفة الظل في لحف سلسلة جبالٍ
كثيرة التشعب من الجهة الغربية شاهقة
الارتفاع تكاد تنطح السماك تنقذف من
وسطها حم البراكين النارية وفي اثناء
السير كان المستر دوج والسير كرومارتي
يتناوبان قص الاحاديث والاخبار فقال
السير كرومارتي لفيلاس

لو عزمت على هذه الرحلة قبل
الان بضع سنين لبقيت عوائق وموانع
حائلة دونها

ــ ولماذا

ــ لان الخط الحديدي كان يصل
الى لحف هذه الجبال فقط فكان الناس
لذلك يضطرون الى اجتيازها على الهوادج
او على ظهور الخيل حتى محطة كاندالله
الكائنة على منحدر الهضبة المقابلة

ــ قد اتخذت الوسائل اللازمة
لاجتناب ما عساه ان يحول من العوائق
دون مواعيد رحلتي .

لو اتصل بالحكومة امر تجروء خادمك
على احتراق حرمة الاديان بدخوله الى
معبد الاوثان في مدينة بومباي لكان
لك ذلك من اعظم العوائق فان
الدخول الى معابد الوثنيين محظوراً
على اي كان من المسيحيين فلو
علمت الحكومة بما كان من خادمك
لجرت عليه وانالته ما يستحق من
العقاب .

اصبت ولكن ذلك لا يمنعني من
اتمام السير فانه لو وقع في قبضة الحكومة
لنال جزاءه وقضى مدة العقاب وعاد
بعد ذلك الى اوربا ناعم البال لاخوف
عليه ولا هو يحزن فاكون انا قد اتبعت
طريقي وما عاقني شأن خادمي

وهنا انقطع عن الكلام ولزم كل
منهما السكوت وكان باسارتو نائماً اثناء
الحديث فما علم بما تحدث الرحلان في
شأنه وهكذا انقضى الليل وما انبلج الصبح
حتى كان القطار قد عبر جبال جاتس

ومرّ بماحيك وتوغل في اراضي كانديش المخصبة التي تتدفق من حولها جداول وانهـــار تسقي مزروعاتها وتروي ظمأ نباتهـا ·

وعند الصباح استيقظ باسارتو من رقاده ونظر الى ما حولـه فحار منه الفكر وتاه منه الرشد اذ ظن نفسه في منام وحسب ان ما يراه ان هو الا اضغاث احلام وقد كان قبل ذلك غير موقن انه سيركب البحار ويشق به ارض الهنود وفي الواقع ان المنظر كان داعياً الى الدهشة باعثاً على الاستغراب

ثم التفت باسارتو فرأى امام الآلة البخارية مهندساً انكليزياً حاملاً بيده ابريقاً مملوءاً زيتاً يصب منه من وقتٍ الى آخر بعض قطرات على ادوات الآلة التي كان يتصاعد منها دخان كثيف شديد السواد فمر بمزروعات القطن والبن والقرنفل والفلفل الاحمر وجوز الطيب ويكتنف اشجار النخل التي يثبت في جذورها العشب الاخضر ويقوم بين بعضها آثار من بقايا اديرة قديمة العهد ومعابد للاصنام يدهش مشهدها الابصار مما يدل على حسن هندستها واتقان بانئها وفي الجملة ان العيون لا تبصر في تلك القفار سوى حقول واسعة واراضٍ شاسعة وجبال شاهقة تزحف فيها الاراقم الهائلة وتسرح فيها الضباع الكاسرة وتمرح على اديمها الافيال

وفي ذلك الصباح مرّ القطار بمحطة ماليجرم وما بعدها من الاراضي المشؤومة التي كثيراً ما خضبتهـا بالدماء ايدي عبدة الالهة ومرّ ايضاً بمعابد الالهة ايلورة ثم مدينة اورنجاباد عاصمة الملك البربري اورنج ديب التي باتت اليوم مركز احدى المديريات التابعة لولاية الملك نيزام وكان قد استبدّ فيهـا باحكامه ملك عصبة الشنق المسمى فورينجيه

وكانت هذه العصبة تقضي بالشنق على من رأت بموته سبيلاً الى مرضاة الالهة حتى ضاقت الارض بالجثث البالية وقد عجزت الحكومة الانكليزية عن تدارك الامر بالرغم عما صرفت اليه العزم من تشتيت تلك العصبة الشقية التي لم تزل لها بقية قائمة في تلك الاقطار الى هذا اليوم

وعند الظهر وقف القطار في محطة بورهامبور حيث ابتاع اسبارتو حذاء مرصعًا باللؤلؤ الزيف فاتعله والعجب يلعب بعطفيه وحيث تداول المسافرون الطعام بما امكن من السرعة وعادوا الى القطار الذي سار بهم بعد ذلك الى محطة اسورجير بعد ان مرّ محاذيًا شاطئ تاستي الذي يصب في خليج كامباي بالقرب من سيرات

قال جول . وأني ارى من الصواب ان اقف بالقارئ قليلاً لاطلعهُ على ما كان يتلاعب في رأس باسبارتو من الافكار والتصورات فانهُ كان يظن في بادئ الامر ان رحلة سيده تنتهي في بومباي فلما تجاوزها وتوغل في قلب البلاد الهندية رجح لديه انطباق الرحلة على مشروعها الذي تقرر في لندرة بعقد الرهان وتحديد ما حدد لها من الزمان فحار في الامر واضطرب واستولت عليه عوامل القلق ثم اخذ يشعر بعاملين احدهما يدفعه الى اكتساب الرهن والثاني يحذره من الفشل فيطرق في الارض مفكرًا متأملاً علهُ يهتدي الى طريقة يتحاشى بها العوائق غير المنتظرة والموانع التي تطرأ على غير ما يرام فتبعث السائح على تمني ان يكون لهُ جناحان يأمن بهما غوائل التأخر في المسير

اسرب القطا هل من يعير جناحهُ
لعلي الى ما قد هويت اطيرُ

وكان بين التردد والاستسلام الى هذه الافكار بحسب ما مضى على الرحلة من الايام ثم ينتقل من العد والاحصاء الى التذمر من ابطاء القطار في المسير مع انهُ كان سائرًا سير البرق وبين هذا وذاك يعود الى لوم مولاه لانهُ لم يعد مهندس القطار بجائزة كما وعد مهندس الباخرة مونجوليه وكان يرميه بهذا اللوم وهو لا يعلم ان للقطارات سرعة قانونية بخلاف السفن البحارية

وعند المساء بلغ القطار مضيق جبال ستبور الفاصلة بين اراضي كنديش واراضي بنديلكند فسار في تلك الجهة مدة الليل بطوله الى ان انبلج الصبح وحلت الساعة الثامنة من صباح ٢٢ اوكتوبر فوقف بعد ان جاوز محطة روتال بخمسة عشر ميلاً في وسط بقعة خالية من الاشجار واعلن

سائق القطار ان ذلك الموقف محط لنزول الركاب

فالتفت المستر فوج الى السير كرومارتي فرأى على وجهه علائم الارتباك اثر وقوف القطار في وسط قفار ينبت فيها الحمر (التمر الهندي) والكافور ثم احال نظره نحو باسبارتو فرآه يقفز من القطار ثم سمعهُ يصرخ بتعجبٍ وانذهال : ان القضيب الحديدي ينتهي هنا فاستعاد كرومارتي كلامه فكرر قوله بتأسفٍ ان الخط الحديدي ينتهي هنا فحينئذٍ نزل كرومارتي وفيلاس فوج الى الارض وتقدما الى سائق القطار وسألاه

— اين نحن

— في كهركولي

— أهنا ينتهي سير القطار

— نعم لانهُ يبقى مسافة خمسين ميلاً ليتصل هذا الخط بخط الله اباد

— ولماذا اعلنت الجرائد باتصال الخطين

— بدا ذلك عن سهوٍ منها وعدم انتباه

— ولماذا اعطيت الركاب تذاكر الى كلكوتا

— لاني اعهد انهم على علمٍ بانقطاع الخط هنا

وكان السير كرومارتي يخدم في كلامه غضباً وباسبارتو يكاد ان يتميز من الغيظ وكان بوده ان يفتك به لولا خوفه من مولاه الذي التفت الى السير كرومارتي قائلاً لهُ

— يجب ان نطرد المسير الى الله اباد باي الوسائل

— ولكن ما العمل يا مستر فوج بهذا الاعتياق الذي يضر برحلتك

— ما كنت على جهلٍ بهِ

— فاذاً كنت عالماً بانقطاع الخط

— لا ولكنني كنت على شعورٍ باني سألقى اثناء رحلتي عائقاً غير منتظر عاجلاً او آجلاً وقد تداركت الامر فحملت مهندس الباخرة مونغوليه على التعجيل والاسراع في المسير بغية الوصول الى بومباي قبل ميعاد الوصول الاعتيادي ووعدته بجائزة من النقود وهكذا كان وصولنا قبل الميعاد بيومين واظن اننا حاصلين على الزمن الكافي لان نصل

الى كلكوتا في ٢٥ اوكتوبر الذي تسافر فيه سفينة بارية الى كون كون

وكان بعد وقوف القطار في تلك النقطة ان نزل منهُ الركاب وشرعوا في استكراء المطايا والمركبات حتى انهُ لم يبقَ منها للسير كرومارتي والمستر فوج ما يسيران عليهِ فطلبا عربةً فما وجدا واذ ذاك قال فوج اني اسير على قدمي فشق الامر على باسبارتو حوفًا على حذائهِ الحديد ثم انهُ بعد ان فكر قليلاً قال لمولاه انهُ يوجد مطية للسفر

فقال لهُ فيلاس

— واين هي

— في محلٍ لا يبعد من هنا سوى بضع خطوات

— هلمَّ بنا يا حضرة السير كرومارتي لنتحقق الخبر

فانطلق الثلاثة في الحال وبعد مضي خمس دقائق من الزمان وصلوا الى كوخ يلاصق حوشًا فيه فيل وفي الكوخ رجل هندي فلما رآهم اقبل عليهم فاستقبلهم وادخلهم الى الحوش حيث كان الفيل فرأوا فيلاً اليفًا يدعى كيوني عني صاحبه بتمرينه وتعليمه بغية ان يستخدمه في القتال لا في نقل البضائع والركاب وكان معينًا لهُ ثلثة شهور من السنة يغذيه فيها بالسمن والسكر اعتقاد ان هذا الغذاء يزيل من الحيوان الفزع

اما جنس الفيل في الهند فنادر الوجود وخصوصًا الذكور منهُ التي كان الهنود يستخدمونها في مضمار الصراع وساحات القتال وصيد الافيال وغيرها من وحوش الغاب فلا عجب لذلك اذا بلغ امر الاعتناء بها في الهند كل مبلغٍ فان الافيال قليلة التناسل ولاتاتي بنتاج الا بعد ان تألف

ولقد سأل فيلاس فوج صاحب الفيل ان يكريه اياه فابى فعرض عليه ان يدفع لهُ عشر ليرات عن كل ساعة فرفض فقدم لهُ عشرين فامتنع ثم اربعين فلم يقبل واصرَّ على الاباء ثم طلب ان يشتريه فسخر به فقدم لهُ الف ليرة ثمنًا لهُ فاعرض عنه ثم الفًا ومائتين فنظر اليهِ شذرًا ثم الفًا وخمسمائة وبعدها الفًا وثمانمائة ثم العين وهنا قبل الهندي فنقده فيلاس الثمن في الحال من سفاتج البوكة واخذ فوج

الفيل وانقلب عنه يطلب مرشدًا يهديه الى الطريق فتقدم اليه شاب وعرض نفسه لخدمته فقبله بالترحيب ووعده باجرة وافرة فسر الشاب وللحال عمد الى الفيل فاخرجه من مربضه ووضع على ظهره لبادة وجعل على جانبيه شيئًا اشبه بالخرج فركب على احد الجانبين السير فرنسيس كرومارتي وعلى الجانب الآخر المستر فيلاس فوج اما باسبارتو فركب فوق اللبادة واما المرشد فاعتلى رقبة الفيل

وبعد ان اذخروا مؤنتهم من مأكلٍ ومشربٍ انطلق بهم الفيل في الساعة التاسعة من ذلك اليوم متخذًا اقرب طريق من الطرق المؤدية الى المحل المقصود سائرًا في وسط غاب من غابات شجر النخل

الفصل الثاني عشر

في ان فيلاس فوج ورفاقه
قاسوا الاهوال في قفار الهند

وسلك المرشد في طريقه اقرب مسلك على ما تقدم بيانه فسار في غير الطريق المألوف سائقًا في عرض الصحراء تاركًا عن يمينه تخطيط السكة الحديدية المشروع في مدها زاعمًا انه يسلك طريقًا قريبًا تنقص عن سواها مسافة عشرين ميلًا ولكونه من اهل البلاد ومن ادرى الناس بمسالك تلك القفار التي فيلاس اليه مقاليد الامر رغبة ان يكفيه مؤونة العناء بالسير في طريقٍ وعرة صعبة المسالك بسبب كثافة اشجار جبل فينديايس حيث رسمت طريق السكة الحديدية

وبعد ان استوى الركاب على ظهر الفيل سار الحيوان بهم خببًا ثم رميلًا يطوي البيد في تلك الاراضي المقفرة متهدجًا في المسير متعصًا حتى اعيى من عليه بما نالهم من عناء الارتجاج ولكنهم تماسكوا وتجلدوا ما استطاعوا حتى صغرت انفسهم وكادت تشرف على الزهوق وتولاهم اليأس وتملكهم الخوف وكان باسبارتو يندفع من شدة الارتعاش تارةً نحو رقبة الفيل وطورًا ينطرح على كفله حتى كادت امعاؤه تتقطع واحشاؤه تتمزق وهو صابر على ذلك صبر كريم على مضض الايام يغالب مرارة الالم بالهزل والضحك ويداعب الحيوان تمضيةً للوقت بالقاء

قطع من السكر في فمه فيتناولها بخرطومه
غير منقطع عن السير ركضاً وعدواً

وبعد مسير ساعتين اوقف السائق
المسير مدة نصف ساعة استراح فيها الفيل
من التعب واجال نظره في الارض فابتلع
ما وجده عليها من الحشيش وانواع
النبات ثم ورد الماء فشرب حتى اروى
ظماءه وقد طلب ركابه الراحة ايضاً فنزلوا
عن ظهره وقد ابدى السير كرومارتي
تعجبه من نزول المستر فوج عن ظهر
الفيل نزوله عن سريره فقال

أمن حديد هذا الرجل

فاجابهُ باسارتو

نعم انهُ مخلوقُ من حديد

قال هذا واحد يهتم بتهيئة الطعام

وعند الظهر استأنف الفيل المسير
في الصحارى الواسعة التي ينبت في بعض
جهاتها شجيرات من الخُمَر والنخل وفي
البعض الاخر القرطب والشوك · وهي
قسم من اراضي بيندلكاند العلياء التي
قلّ ان تطأها اقدام السواح خوفاً من
همجية سكانها وحشونتهم وتعصب اهلها
الذين كانوا يقومون اثناء الاحتفال

بمراسيم اديانهم باعمال لا تفي لفظة · وحشية ·
بحاجة التعبير عنها لما ان الوحوش لا تجسر
على الاتيان بها ولم يكن للحكومة الانكليزية
ان تبث بين اولئك السقاط الاجلاف
روح التهذيب والتمدن بالنظر الى انقيادهم
لاوامر روسائهم انقياد العميان · وقد وقع
منهم اثناء مرور فوج ورفاقه بارضهم انهم
تجمعوا عليهم واندفعوا في الطريق امامهم
ينظرون الى الفيل شذراً ويبدون عدوانا
وكان السائق يتجنب اذاهم وشرهم بالحيلة
والمكر حتى توارى عنهم

وقلما وجد في الطريق اثناء مرورهم
حيوانات غير بعض قرود كانوا يولون
الادبار بتعوج والتواء مما كان يضحك
باسارتو ويذهب عنه الم المسير

وكان يتنازع هذا الفتى عدة عوامل
احدها شأن الفيل وما سيؤول اليه امرهُ
اليه عند وصولهم الى محطة الله اباد فكان
يقول اذا افترضت وقاده مولاي حتى ينتهي
به الى مقره تمثلت امامه وفرة النفقات
فيعدل عن استصحابه في الرحلة وكان
بين هذا الافتراض وغيره يعود الى التساؤل
عما اذا كان من الحكمة اطلاق الحرية

للحيوان ليسير ايابان شأ ثم يدفعهُ الطمع الى امل ان مولاه يهديه اليه فيحار في امره ويرتبك في شأنه — وكانت كل هذه الافكار تمر برأسه مرّ الخيال آخذة بمجامع قلبه ولبه واستمرّ كذلك الى ان قطعوا حال فيدياس فانحدروا منحدرها التمالي محط الرحال ازاء كوح مخرّب وكان الوقت اذ ذاك بالغًا حد الساعة الثامنة من الليل . وبالنظر الى ما كان في تلك الليلة من البرد القارس التجأوا الى الكوح فاوقدلهم السائق فيه نارًا اصطلوها وتناولوا الطعام ما كانوا قد ادخروه في كالبي وما تحادثوا اطراف الكلام بعد تناول الطعام حتى تمايلوا بخمرة النوس فرقد السير كرمارتي والمستر فوج ولبث السائق مسهّد الجفن محافظًا على الفيل النائم وقوفًا متوكئًا على جذع شجرة ولم يكن يكدر سكون الليل سوى زئير النمر والفهد واهتاف القرود ولما بزغ الصباح جد القوم السرى وجدّوا في المسير في الساعة السادسة يجتازون ما بقي عليهم من اراضي حال فيدياس معللين النفس بلوغ محطة الله اباد عند المساء فانهم كانوا قد

اجتازوا نصف مسافة الطريق ولم يبقَ عليهم سوى مسافة خمسة وعشرين ميلاً

واستمر الدليل المهدي سائرًا مطية فوج ورفيقيه في قلب القفار سالكًا آمن المسالك متحاشيًا ان يمر بالجهات الآهلة بالسكان خشية أن يثور الوطنيون عليهم وليس لديهم ما يدفعون به شرهم الى ان اجتاز قبل الظهر كمركالابجير الكائنة عند نهر كاني الذي يصب في نهر الكانج واذ ذاك اشرف على شاطئ النهر الاعظم الذي يبعد عن محطة الله اباد اثنى عشر ميلاً من الجهة الشمالية الشرقية وهناك اوقف المسير التماس الراحة تحت ظل اشجارٍ من الموز تتدلى منها العناقيد تدليها من الكرم

وقضوا في هذه البقعة مدة ساعتين عادوا بعدها الى المسير فنشطّهم الفيل من اشجار غضة ينهب الارض نهبًا الى ان دنت الساعة الرابعة فوقف مذعورًا فسأل السير كرومارتي السائق ان ينبئهُ عن احوال الفيل فاجابه انه لا يعلم لذلك سببًا ثم انصت قليلاً فسمع رنة اصوات تمتزج بدوي النسيم وما لبث ان ارتفعت

وتلتها قرقعة بعض آلات نحاسية وكان باسارتو كله آذانًا تسمع وعيونًا تشخص الى مخرج الصوت وفيلاس فوج لا ينطق بكلمة البتة واذ ذاك نزل السائق الى الارض وربط الفيل في جذع شجرة قريبة منه وانطلق يطلب مخرج الصوت فبعد ان غاب قليلاً عاد وهو واقف على حقيقة الخبر فقال لاصحابه ان ما تسمعونه هو احتفال تشييع جنازة فاذا كان في الامكان فلنتوارَ عن العيان قال هذا وفك رباط الفيل وقاده الى موضع لا تنفذ فيه الابصار ولا تصل اليه رميات الانظار ثم اوعز للمسافرين بالأ ينزلوا الى الارض اما هو فوقف بجانب الحيوان مستعدًا للفرار اذا دعاه اليه الاضطرار

وبعد هنيهة مر القوم بالجنازة امام موقف المسافرين يحفونها بالانغام واصوات الطبول والصنوج وامامهم طغمة من الكهنة على رؤوسهم التيجان وعلى اجسامهم البرفير والارجوان ومن حولهم رجال ونساء واولاد ينشدون الحان الحزن على اصوات الصنوج ووراءهم مركبة تجرها اربعة افراس من جياد الخيل وعليها تمثال قبيح الصورة ذو اربعة سواعد مصبوغ الجسم بلون احمر مائل الى السواد قليلاً مدلى اللسان رائع انسان العين مصبوغ الشفتين بالحناء وفي عنقه طوق مصدر رؤوس الاموات ومن حول وسطه سلسلة ايادٍ مقطوعة وهذا التمثال يعرف بالالهة ((كالي)) الاهة الموت والغرام

وكان وراء هذا التمثال جماعة من طائفة البراهمة يرفلون بافخر الملابس ويقودون بالعنف فتاة لم تزل فيها بعض الرمق وهي من ربات الحسن والجمال وذوات الخفر والدلال

قد كتب الحسن على وجهها
يا اعين الناس قفي وانظري

وكان في يديها واذنيها وعلى عنقها وصدرها وكتفيها من الجواهر الكريمة ما لا تقدر له قيمة وعليها من اثار النعمة وعلى وجهها من ملامح الذكاء ما لا يوصف باللسان . وكانت لابسة ثوبًا من الحرير الهندي وخمارًا من البلاد ارق من نسيج العنكبوت يلعب الهواء باطرافه ووراءها حرّاس شاكو السلاح متقلدون سيوفًا وبنادق وغدارات وحاملون جثة على

الاكتاف وكانت جثة الشيخ الفقيد الامير الهدي احد سلاطين القبائل وعلى هامه عمامة مطررة باللآلئ وفي وسطه حزام مرصع بالماس وعليه ثوب من الحرير مزركش بالخيوط الذهبية وكان مقلداً سيفهُ اشارة الى ما كان عليه في حياته

وفي منتهى الحفلة كان عازفو الموسيقى يصرخون باصوات قبيحة ويرفعون اصواتهم بما كان يعوق عزف الموسيقى

وفي خلال الحفلة التفت السير كرومارتي الى السائق وقال لهُ

هل هذه (سوته) ضحية

فاومى اليه السائق برأسه ثم وضع بنانه على شفتيه اشارة الى انهُ يريد ان يلزم الصمت

وبعد ان مرَّت الحفلة بالجموع بين تلك الاشجار وغابت عن الانظار قال المستر فوج للسير كرومارتي

وماذا عنيت بلفظة (سوته)

هي لفظة من لغة الهنود يعبر عنها في لغتنا بلفظة ضحية والمراد بذلك ان تلك الفتاة التي رأيناها في تلك الحفلة هي امرأة الشيخ الفقيد ومن عادات الهنود انهُ اذا توفي الرجل قبل المرأة يحرقون روحتهُ معه فهذه الفتاة التي رأيناها ستحرق باكراً عند بزوغ النهار

فقال المستر فوج

وكيف لم تزل هذه العادات الوحشية مرعية الاجراء الى هذا اليوم والانكليز ينشرون التمدن تحت سماء الهند ويدافعون عن الانسانية

لا تزال هذه العادة متبعة مرعية الاجراء في كثير من جهات الهند حيث لا يخفق علمنا وحيث ليس لنا سلطة وسلطتنا لا تمتد الى هذه البقعة حيث نحن الان فكل هذه الارض التي قطعناها والاماكن التي سنمر بها انما هي مرسح لمثل هذه المشاهد

فقال باسارتو متاسف

— يستدل مما قال حضرة السير ان هذه الفتاة لا بد انها تذوق العذاب الواناً اذا لم تحرق

فاجابه السير كرومارتي

ولا ريب في ذلك وما رأيك كمن سمع واذا لم تحرق عوملت بالقسوة والغلظة فان شعر راسها يحلق وتغذَّى بقليل من الارز وتنبذ من هيأة الاجتماع بذ

الحداء المرفع الى ان تموت دليلة مهانة فهي
لدلك تفصل الموت على البقاء احتياناً
لتنوع الاغذية والحرمان اسباب الهناء
وقد تكون المرأة لدلك في نعص الاحيان
صحية صادرة عن تمام الارادة فتصطر
الحكومة الى التداخل في الامر معاً لحدوثها
وعد ما كنت مند نصع سنين في
احدى وظائف الحكومة في بومباي حدث
ان ارملة في سن الصنوة اتت حاكم
المدينة والتمست منه ان برخص لها في
الاحتراق مع جثة روجها فرفض الحاكم
طلبها ونهاها عن غيها فلم ترعو ثم خرجت
من المدينة والتجأت الى حمى بعض
السلاطين المستقلين حيث انفذت مرغوبها
وكان سائق الفيل يهز راسه كلما
سرد السير كرومارتي عبارة من قصته وفي
آخر الكلام قال السائق
اما صحية البارحة فليست صادرة
عن ارادة شخصية كما لا يخفى علينا نحن
معشر البيدنلكاند فان تلك المنكودة الحظ
داهبة الى حتفها بالرغم عنها ولا يغرّنك
منها انقيادها فانها سكرى بدخان القنب
والافيون ولا تعي الى اين سائرة فهي لذلك
مسوقة كالنعاج الى هيكل الصنم (بيلاجي)
الذي لا يبعد من هنا سوى ميلين لتقضي
فيه سواد الليل وتحرق عند بزوغ
الصباح
قال هذا واخرج الفيل من مربضه
ثم اعتلى رقبته وهم على الرحيل فاوقفه
المستر فوج ووجه الى السير كرومارتي
الخطاب فقال
ـ ما رأيك في انقاذ هذه الفتاة
ـ يا للعجب وماذا يهمك امرها
ـ لديّ من الزمان فرصة اثنتي عشرة
ساعة اودّ استخدامها في الدفاع عن
الانسانية
ـ لله درك ما اشجعك وما اثبت جنانك
ـ نعم ولكن في بعض الاحيان وعند
امتلاك الزمان

الفصل الثالث عشر

ويومٌ علينا ويومٌ لنا
ويومٌ نساء ويوم نسر

واهتم المستر فوج بانقاذ الفتاة فكان
امراً شاغلاً له بل كان مشروعاً محفوفاً
بالمصاعب والاهوال يتوعد حياة فيلاس

بالخطر او بوقوعه في اشراك الهوان وتعرضه لقسوة معاملة الهود فيسومونهُ خسفًا وحيفًا ويوسعونه ضربًا وطعنًا وإذا اتفق وكان من حسن حظه ان يطلقوا سبيله فيكون قد فقد الحيوة المعنوية بفقد فائدة الرحلة وقيمة الرهان . ولكنه مع هذا وذاك لم يتردد في الامر وقد لقي المستر كرومارتي مجدًّا والفتى باسارتو معينًا غير انه حسب خيانة السائق فعزم ان يطلب اليه التزام الحيادة اذا ابي ان ياخذ بناصره ويرشده الى الوسائل التي تمكنه من بلوغ الغاية بانقاذ الفتاة

ثم كاشفه السير كرومارتي بما في النية فقال

— ثقوا بولائي وحسن وفائي وصدق خدمتي وصفاء نيتي فان من تريدون انقاذها هي من ابناء جلدتي فهي بارسية مثلي لا يهون عليَّ هلاكها ظلمًا

وبعد ما سمع من فيلاس هذا الجواب الذي ينشف عن موالاةٍ واخلاص شكر لهُ ما اظهر من الغيرة وصفاء السريرة فقال السائق

ولكن يجب عليكم قبل الشروع في العمل ان تتدبروا الامر فانه اذا وقعنا في قبضة الاعداء فلا شك اننا نعدم الحيوة بعد ان نذوق جميع انواع العذاب فاجابه فيلاس

لا تدبر لك امرًا

فاولو التدبير هلكى

حقق الامر تجدنا

نحن اولى بك منك

— وارى من الملائم ان ننتظر الليل للشروع في العمل

— نعم وهذا اوفق وافضل

ثم اخذ يشرح للستروج ما يعلم من احوال الفتاة فقال

— هي فتاة هندية ولدت في مدينة بومباي ونشئت على كرم الاخلاق وحسن العادات واقتبست التهذيب والآداب من الانكليز حتى فاقت ذوات جنسها من بنات جلدتها فخالها الناس اوربية وهي فائقة الحسن بديعة الجمال بارسية النسب ولها ابوان غنيان في بومباي واسمها عائدة ولما بليت بموت والديها زوجها اقاربها بالرغم عنها على هذا الشيخ البنديلكاندي وذلك منذ ثلثة شهور فبالنظر الى ما

علمت من مستقبل حظها ساعة وفاة زوجها ركبت الى الفرار من دار بعلها وشردت تائهة في البراري والقفار ولكن سوء حظها ساق الايدي اليها فقبض عليها وهي الان كما ترون مسوقة الى العذاب الاليم ولا مفر لها منه ولا مناص

وكان الشاب الهندي يتقد في كلامه شفقةً وغيرة ويلتهب حدةً ويذوب كآبة وغمًّا ويقلب اوجه الحديث متفننًا في ضروبه متنقلاً في اساليبه بجد فيثير الاشجان ويبرح فيذهب الاحزان فزاد ذلك سامعيه رغبةً في انقاذ تلك الفتاة من شدتها واشاروا الى السائق ان تقودهم الى مكان الضحية وان يدنو بهم من هيكل بيلاجي ويجعلهم بقدر الامكان على مقربة منه فلبى وسار بهم وبعد ان ساروا نحو نصف ساعة وقف عند غابةٍ كثيرة الاشجار تبعد عن الهيكل خمسمائة قدم وتحجب عنهم الانظار وهناك تباحثوا في الوسائل التي تؤدي الى بلوغ المراد وكان السائق يعرف مكان هيكل الصنم حيث حجر على الفتاة فسألوه عما اذا كانوا يقدرون ان يخترقوا الجموع وهم نيام فيلجون ابواب الهيكل او عما اذا كان يمكنهم ان يثقبوا الحائط ويخرجوا الفتاة من الثقب .

وطالت بينهم المداولة من غير ان يقرروا طريقةً ما وانما قرروا وجوب انقاذ الفتاة في الليلة ذاتها قبل بزوغ الصباح فيصعب عليهم اذ ذاك امر انقادها

ولبث المستر فوج ورفاقه ينتظرون اقبال الليل فلما خيم الغسق سكنت الضوضاء واخذ جميع الحضور من الهنود في الثمول بالافيون الممزوج بنقيع القنب حتى امسوا في حالةٍ يسهل معها على اي كان احتراق صفوفهم والدخول الى هيكل صنهم على حين غفلةٍ منهم فهمَّ اذ ذاك الثلاثة المسافرون (وكانت الساعة السادسة من الليل) على اكتشاف موقع الهيكل يتقدمهم السائق وبعد ان ساروا عشر دقائق بلغ بهم الفتى الهندي شاطئ جدولٍ يجري فيه ماء زلال فرأوا على ضوء مشاعل موقدة من حطب الصنوبر كومة احطاب متجمعة كدساً مرتودة بخشب الصندل الثمين مندّاة بزيت مطيّب وفوقها جثة الشيخ الفقيد مدهونة بالطيب معدة للاحراق مع جسد ارملته الحيّة ورأوا

الهيكل على بعد مائة خطوة من الحطب ثم بارحوا هذه البقعة بهدوٍ وسكينة والسكوت لا يكدره سوى ميل الهواء بالاغصان وساروا الى منتهى الغاب وهناك وقفوا متدهشين مندهلين من رؤية جمعٍ غفير من رجالٍ ونساء واولاد سكارى بخمرة النوم مطرحين على الثرى كأنهم صرعى في ميادين الوغى ومن حولهم بعض سكارى الافيون وعليهم اشعة انوار المشاعل وبالقرب منهم هيكل الصنم يلاحي تكتنفه الاشجار وعلى ابوابه الخفراء والحرس متقلدون السيوف ومن داخله طائفة الكهنة تقيم الشعائر الدينية وتتلون الصلوات ففي هذه الحالة رأوا انهُ يستحيل عليهم الوصول الى الهيكل فارتدوا الى الوراء عالمين انهم لا يستطيعون ادراك مبتغاهم ثم وقفوا يتبادلون الآراء باصوات مخمضة الى ان قال السير كرومارتي لرفيقيه

— فلننتظر قليلاً فانا في الهجيع الاول من الليل وهي الساعة الثامنة واذا تربصنا الى اواسط الليل واستولى الكرى على جفون الحراس طاب لنا ادراك الرغائب

وعلى ذلك لبثوا ينتظرون الوقت المرغوب بالقرب من جذع شجرةٍ وقد طال عليهم الانتظار وسئموا من الاصطبار تحت غصون الاشجار والمشاعل موقدة والحراس مكتحلون باثمد السهاد والانوار تبعد اشعتها من منافذ الهيكل وبينما هم كذلك اذ تركهم السائق وتوجه لاستطلاع ما في تخوم الغاب

وبعد ان انتظروا حصول الفرصة الممكنة الى منتصف الليل وكان الحراس الى ذلك الوقت على حالهم من السهر والانتباه عمدوا الى اتخاذ طريقة تلائم الحالة فاتفقوا على خرق حائط الهيكل ولما عزموا على اجراء الطريقة راعهم شعور الكهنة القائمون حول جسم المتقدمة فترددوا في الامر وبعد ان استغرق تحدثهم زمناً طويلاً اومأ اليهم السائق ان اتبعوني فساروا وراءه وبعد ان طافوا مدة غير يسيرة ادت بهم خاتمة المطاف الى حائط الهيكل بدون ان يصادفهم احد في طريقهم لانهُ لم يكن في الطرق التي سلكوها خفراء او حراس كما انهُ لم يكن في جهة الهيكل

التي قصدوها منافذ او ابواب

وقد كان الليل وقتئذٍ مظلمًا والظلام حالكًا والقمر قريبًا من الزوال تغشى محياه الغيوم المتلبدة وكان تكاثف الاشجار الشامخة يزيد القتام قتامًا عند الهيكل حيث كان فيلاس ورفيقاه مرتبكين في شأنهم لا يدرون باي وسيلةٍ يثقبون الحائط وليس لديهم من الادوات ما يستخدمونهُ في ذلك سوى سكين الخيب ولحسن حظهم كانت جدران الهيكل مبنية من الاجر والخشب فلم تكن لذلك من صعوبة في خرقها فان اول قطعة من الاجر اذا خرجت جرَّت الثانية

وما اخذوا في العمل حتى سمعوا صراخًا من داخل الهيكل واخر تلاه من خارجه فوقفوا مذعورين ثم ارتدوا على اعقابهم خائبين فارين الى الاشجار يطاردون الرعب الى ان هدأ روعهم فعادوا الى استئناف العمل ولكن ابى نكد الطالع ان يحقق امانيهم بانقاذ الفتاة فان الحراس كانوا مكثرين من اسباب التحفظ محيطين بجميع جوانب الهيكل احاطة الهالة بالقمر او الاكمام بالثمر فلما رأى السير كرومارتي من صعوبة الامر ما رأى صعق صفقة الاسف وكاد باسبارتو يغيب عن الرشد وثارت في فؤاد الفتى الهندي ثورة الاحزان اما فيلاس فوج فلبث ساكن الجنان لا يحرّك ساكنًا فقال لهُ السير كرومارتي

لقد خاب الامل من ادراك الارب وما نحن الان بالخائنين الا في غير صرم فسر بنا نعود الى حيث كنا فقد اقترب النهار

فقال فوج

لاتقنطنّ من رحمة الله

ولربّ نازلةٍ يضيق بها الفتى

ذرعا وعند الله منها المخرجُ

فالصبر مفتاح الفرج والعجلة لا يعقبها الا الندم فلندَّرع بدرع الصبر فان الوقت لم يفت علينا ووصولنا الى محطة الله اباد مضمون قبل ظهر الغد

فتعجب كرومارتي من هذا الجواب واخذ يتأمل الامر بعين البصيرة علّه يهتدي الى ما عساه ان يحيي مائت الامل في قلب فيلاس فوج ثم قال في نفسهِ

لم يبقَ الا طريقة واحدة وهي ان يقتحم الصفوف وينتشل تلك الضحية من وسط العذاب

ثم قال

ولكن هيهات ان يهور سعسه

ومع كل دلك لم يخالف رفيقه بل تقدم معهُ نحو الغاب واقـام واياه تحت الاشجار الغصة يرقبان حركات الهنود النيـام

اما باسارتو فانهُ جلس على احدى الاشجار واخذ يتأمل ويكرّ اطرأ عليه وهو الوثوب على زمر الهنود وانقاذ الفتاة من بين ايديهم ثم زحف بعد هنيهة كالافعي على غصون تلك الشجرة المائلة الى الارض وتربص

وكان الظلام لم يزل حالكًا الا انه بدت في كبد السماء علائم اقبال الصباح فقام النيام وضربوا الصنوج والطبول اشارة الى دنو اجل الضحية واحراق تلك الفتاة المنكودة الحظ وحينئذٍ فتحت ابواب الهيكل ولاح من داخله نور ساطع تمكن السير كرومارتي والمستر فوج بواسطته من رؤية تلك الفتاة التي كان يجرهـا كاهنان الى خارج الهيكل وهي تحاول البقاء فيه فرق لها قلبهما ودنا حظهـا وحارا في اي الوسائل يتخذانها لانقاذها وبعد ما اخرجها الكاهنان طافا بها في وسط الجموع فعاودها الذهول ثانية واستحوذ عليها الجمود من تصاعد دخان القنب في انفها وهي تخترق صفوف الفقهاء الذين كانوا يقابلونها بالبشر والايناس والتسبيح والانغام فاندمج في اخر الصفوف اللاحقة بها المستر فوج ورفيقاه وبعد مسير دقيقتين وصلوا الى شاطئ الجدول فوقفوا على بعد خمسين خطوة من كومة الحطب التي كانت جثة الشيخ المتوفى ملقـاة عليها وهناك ظهر لهم جسد الضحية ممدودا بالقرب من جثة زوجها وبجانبها مشعل مضيء وقوم يصبون الزيت على الاحطاب ويشعلونها ولما شاهد فيلاس فوج هذا المنظر المحزن هاج فيه ما كان ساكنًا من الحمية فاراد ان يقتحم كومة الحطب فاوقفه السائق والسير كرومارتي وبينما كان يحاول التملص من بين ايديهما اذ سمع صوت مرعب مخيف من فوق كومة الحطب خفقت له القلوب جزعًا وارتعدت منه المفاصل خوفًا فظن الحضور ان الشيخ لم يكن مائتًا وان فيه رمقًا من الحيوة ثم احدقوا بالحطب فرأوا الشيخ يدنو من

امرأته وينهضها بذراعيه وينزل بها من على الاحطاب بين الدخان المتصاعد فسقط كلاهما على الارض مرتجفين فلما نظرها الفقهاء والحمراء اكبوا على وجوههم يعضون الارض ولا يجسرون ان يرفعوا ابصارهم لمشاهدة الاعجوبة

وما زال الشيخ سائرًا والفتاة بين ذراعيه يُسرق صفوف الجموع حتى بلغ مكان فيلاس فوج والسير كرومارتي اللذين لبثا على الاقدام والسائق مجدًّا بالقرب منهما فقال لهما بصوت مخمص اتبعاني

ومن هو رجل الاعجوبة هو البطل باسارتو الذي انشل تلك الفتاة من مخالب المنون بشجاعته وبسالته وشق الجموع سائرًا بالفتاة غير مبال بامتداد اللهيب او تكاثف الدخان وهو الذي اقترب من مولاه ومن معه وقال لهم بذلك الصوت المخمص ان اتبعاني فتبعاه ووراءهما السائق وساروا جميعًا يحمدون الله على تحقق امنيتهم الى ان استووا على ظهر الفيل واطلقوا له العنان فسار

وبعد برهة من وقوع ذلك الحادث تنبه الكهنة من غفلتهم ونظروا الى الاحطاب فرأوا فوقها جثة الشيخ وانجلى لهم سر الامر ولكن بعد حين فصاحوا بالصراخ وتوغلوا بالصحارى يبحثون عن السلبة ويرمونهم على غير هدى بسهامهم ونبالهم ويطلقون عليهم الرصاص فاصيب فوج برصاصة في قبعتهِ ولكنها لم تضر به واستمر فوج ورفقاؤه سائرين سير الاطيار حتى تجاوزوا كثيرًا مرامي الرصاص

الفصل الرابع عشر

في ان فيلاس فوج عبر وادي كانج العجيب ولم يكن يأمل بمشاهدته

وبعد ان افلح المسعى ونجح العمل على نحو ما تقدم الكلام عليه قضى باسارتو ساعة في القهقهة كان يشتد ضحكه فيها كلما تذكر الحيلة التي اخترعها والحدثة التي انطلت على اولئك الهنود فادلوه محل شيخهم المحنط روح الفتاة التي فازت بالنجاة وقد شكر له السير كرومارتي اقدامه ونشاطه واثنى مولاه المستر فيلاس على بسالته وشجاعته فاجاب ان الفضل في

دلك راجع الى مولاه دون سواه فهو الذي كان باعثاً على انقادها من مخالب الموت الزوآم

ومرّ على الفتاة ساعات طوال من غير ان تفيق من سنة الرقاد لترى ما مر عليها وما آلت حالها اليه ولكي تستفيق جرّعها السائق اثناء الطريق كؤوس الرحيق ممروحةً بالماء ولكنها لم تستفق بل لبثت غائبة عن الصواب واهنة القوى لا حراك بها فما انزعجت عليها الخواطر لان دلك كان شأن من سكر سريع القلب

وبناء على دلك لم يقلق السير كرومارتي لغيابها عن الرشد بل اهتم بايهام المستر فيلاس انها اذا بقيت في ارض الهند تعود الى الوقوع في شرك الاخطار فتقتل فوعى المستر فوج كلامه ثم قال له انه سيستصحب السيدة عائدة في اسفاره

وفي الساعة العاشرة وصلوا الى محطة الله اباد التي يمتد منها الفرع الحديدي الى مدينة كلكوتا ويقضي القطار في ذهابه اليها مسافة يوم وليلة وكان من الواجب على المستر فوج ان يقدم اليها في ٢٥ اوكطوبر عند الظهر ليركب منها الباخرة التي تسافر الى كون كون

وفي محطة الله اباد اعد للفتاة حجرة لتستريح فيها وكلف باسارتو بالذهاب الى البلدة ليبتاع لها من الملابس ما هي في حاجة اليه

اما مدينة الله اباد (اعني مدينة الله) فهي من مدن الهند المقدسة لانها مبنية عند نهرين متدسين وهما نهر الكانج ونهر جومنه اللذان يقصدهما الناس من جميع جهات الهند وقال راما ان نهر الكانج منبعه الفردوس وهو يجري على الارض رحمةً بالعباد وحبًا بالولي براهم

ودخل باسارتو سوق البلدة لشراء ما كلف بشرائه فطاف شوارعها مفتشًا على مخازن الملبوسات ولم يجد فيها سوى دكان واحد لاحد الاسرائيليين فيه بعض المنسوجات فاشترى للفتاة منها ثوبًا وبرنسًا طويلاً وفروة من جلد الثعلب بمبلغ خمس وسبعين ليرة انكليزية وعاد الى المحطة وكانت صروف الحدثان قد احدت على هذه المدينة الزاهرة فعطلت تجارتهـا ودرست صناعتهـا ودكت حصونها

وهدمت اسوارها
وبعد ان مضى بعض ساعات على
عائدة افاقت من غشوتها وعادت الى
رشدها فاجالت لحظيها فبين حولها ترشق
به الافئدة مجرّح وبرّح ولم يبق للمرء
من مطرح

بين اهل الهوى واهل الجمال
كل يوم دمٌ بغير قتال

وكانت بذلك على حد قول الشاعر

من حسنها ان ليس يوصف حسنها
وجمالها ان لا يحد جمالها
هي آية الحسن التي قد اعجزت
وصافها من حيث عزّ مثالها
ترنو بمقلة جؤذرٍ نالة
وارحمتاهُ لمن تصيب نبالها
وتهزُ من تحت الغلائل قامةً
من غير شك قاتل عذالها
ومن استخار بعطفها من طرفها
انى له شرك الغرام دلالها
فاذا رنت واذا انثنت واذا دنت
ودنت بها من حيلةٍ بحبالها

قال فرن وهي احق من الملكة
الحبشيا جاره بوصف الشاعر ايكاف.

وكان شعرها اللامع الاسود مسترسلاً
على كتفيها وجبينها يفوق الثلج بياضاً
والبدر بهاء وصفاء ويقطف الورد من
وجنتيها المستديرتين وتنعكس من اضواء
البدور اشعة ساطعة على انسان عينيها
النارزتين من تحت هدبيها الطويلين
ولها اسنان كالبرد يفتر عنها ثغرها البسام
واذنان صغيرتان يتساويان كأنهما خلقتا
من طينة الملائكة وفي رجليها اطواق
من الحجر جواهر حريرة سيلان واثمن
لآلئ جولكند ولها خصر نحيل وقامة هيفاء
وعلى وجهها خمار من الحرير الهندي كانهُ
مصنوع بالقصبة منقوش بيد النقاش((الالهي))
المدعو فيكتا كارمد

وحدث ما استطعت عن حسن
السيدة عائدة وجمالها وتهذيبها وآدابها
وكانت متقنة درس اللغة الانكليزية كل
الاتقان وتتكلم فيها بافصح واوضح بيان
وقبل ان قام القطار من محطة الله
اباد نقد فيلاس فوج السائق اجرتهُ على
مقتضى ما بينهما من الاتفاق ثم وهبه
الفيل جزاء خدمته الصادقة واخلاصه
التام فشكر السائق وحمد ما استطاع

الى الشكر والحمد سبيلاً وبعد ذلك ركب فيلاس فوج ورفيقاه احدى مركبات القطار واجلسوا السيدة عائدة في المحل الاول وجلسوا هم بالقرب منها مقدمين لها الاشربة المنبهة واستمروا كذلك حتى افاقت من سكرتها فوجدت نفسها على عربة يجرها البخار اسوة بباقي عربات القطار المتوجه الى مدينة بيارس التي تبعد عن محطة الله اباد مسافة ثمانين ميلاً يقطعها القطار في مدة ساعتين فاستولى على الفتاة عند ذلك الاندهاش واحمرت خجلاً اذ رأت حولها اشخاصاً من الفرنجة ما رأتهم قط يعتنون بها ويمهدون لها اسباب الراحة والصفاء وفي اثناء المسير قص السير كرومارتي عليها ما كان من امرها واعلمها بمن كان سبب خلاصها ونجاتها

ولما فرغ السير كرومارتي من كلامه التفتت عائدة نحو منقذها والدمع ملء عينيها ولم تنطق ببنت شفة تاركة للدمع ان يعرب عن عواطفها وينوب عنها بتقديم الشكر على النعمة والامتنان من الغيرة . ثم اخذت تتذكر المصاب الذي كاد يفتك بها فارتعدت فرائصها وحمدت الله على خلاصها وانما ارعبها ما كان لم يزل محدقاً بها من الخطر بقائها في ارض الهند فرأى المستر فوج على حسنها الوضاح علائم الارتباك فعلم بما كان موضوع افكارها فقال لها

يا سيدتي اننا سائرون الى كون كون حيث تكونين في مأمن من الخطر لا يدركك السلفة الاشقياء ولا يظفرون منك بمغنم فانحلت عن جبين الفتاة اذ ذاك غيوم الغم والاضطراب وزال عنها الوجل اذ علمت انها ذاهبة الى كون كون . المدينة الانكليزية التي يقطنها احد اقربائها ممن يجرون ذيول الوجاهة ومطارف الثروة ويتمتعون بنعيم التجارة الواسعة

وعند الظهر وقف القطار في محطة بيارس التي تبعد بضعة اميال عن كون كون والتي يعسكر فيها الجيش الانكليزي الكائن بامرة السير كرومارتي فدنا السير كرومارتي من رفيقه فودعهما ثم ودع السيدة عائدة وانصرف عنهم جميعاً وفي قلبه غصة الفراق

وبعد ذلك سار بهم القطار في وادي الكانج فشاهدوا من وراء زجاج

النوافذ مناظر تدهش الابصار وتحير الافكار اذ رأوا جبالاً تناطح السماك قممها الشامخة يكسوها الربيع بساطاً سندسياً وحقولاً مزروعة من الحنطة والشعير والاذره وبحيرات تسبح فيها التماسيح وقرىً تأهل سكاناً وصحارى تنبت الحصار وهجناً وفيالاً ورجالاً ونساء وولداناً قاصدين الاستحمام في تلك المياه المقدسة عندهم وكان الفصل يومئذٍ فصل الشتاء فكان البرد قارساً والمستحمون لا يبالون به

ويقطن هذا الوادي طائفة شديدة الكراهة والاضطهاد لمذهب البوذيين تعبد الاله ((براهم)) (المتجسد في ثلثة اقانيم) ((وياشنو)) اله الشمس والكواكب و ((صيفه)) اله اليأس والبطش اما براهم فهو اله الكهنوت والشريعة وجميعهم يخدمون عصاً ويستشيطون غيظاً ويمرقون كدرًا عندما يرون الهند انكليزية ويرون في مياه الكنج سفناً تجارية يجعل من دويها الدباب الحائم على وجه الماء وتهرب السلاحف الراجعة على ضفتيه ويرتجف السالك المنتشرون على شاطئيه

ومن سرعة مسير القطار في قلب ذلك الوادي لم يتمكن المسافرون من احداق البصر فيما مرّ بادطر من المناظر التي تقر بها النواظر وتسر الخواطر كمدينة شينار الكائنة في حوالي مدينة بنارس على بعد عشرين ميلاً منها وكمدينة غازيبور المحتوية على عدة معامل لاستخراج ماء الورد وكضريح اللورد كورنواليس الكائن على الضفة الشمالية من نهر الكنج وكمدينة باتنه الزاهرة البالغة في التجارة والصناعة والرائج فيها سوق الافيون وكمدينة مونغير التي تضاهي مدينة ليفربول في المعامل الحديدية المنشأة لصب الحديد والسلاح الابيض

وما برح القطار سائرًا حتى هجم جيش الليل فرفع فوق الارض راية الظلام وحجبها عن العيون فصارت لا ترى شيئًا موجودا ومرّ الليل على هذه الحالة وفي الساعة السابعة من صباح اليوم التالي الواقع في ٢٥ اوكتوبر بلغ القطار محطة كالكوتا فاستراح فيها المستر فوج منتظرًا حلول الظهر ليركب الباخرة المسافرة الى هونكونغ وكان قد مر عليه من يوم

خروجه من لوندره حتى وصوله الى كلكوتا ثلثة وعشرون يوماً وعلى مقتضى تعديله لاوقات رحلته يكون قد وصل الى كلكوتا في الميعاد الذي يجب ان يصل فيه اليها بدون تقديم او تأخير

الفصل الخامس عشر

في ان المستر فيلاس فوج بذل مبلغاً وافراً من النقود في سبيل حريته

ولما وقف القطار في المحطة نزل منهُ باسبارتو ثم تبعهُ المستر فوج قائداً بيده السيدة عائدة الى الرصيف وهناك عزم ان يذهب بها تواً الى الباخرة حيث تستريح من عناء السفر في احدى غرفها وقد آلى على نفسه ان يرافقها ولا يفارقها قط ما دامت في ارض الهنود محفوفة بخطر الموت وقبل ان يسير رأى امامهُ احد الجند واقفاً فقال لهُ

— أحضرتك المستر فيلاس فوج وهذا خادمك باسبارتو

— نعم

— أتبعاني

— أمباح لنا ان نصحب هذه الفتاة معنا

— نعم

ثم سار الجندي وتبعه المستر فوج والسيدة عائدة وباسبارتو الى ان وصل بهم الى مركبة يجرها فرسان من جياد الخيل فركبوها جميعاً وسارت بهم في طرقٍ حرجة المسالك ملأى باكواخ تأهل من القوم الرحل سكاناً مترديين ثياب رثة واستمرت سائرة الى ان مرّت بمدينة اوربية ذات بنايات شاهقة مبنية من الاجر الاحمر تتفيأ ظلال اشجار من شجر جوز الهند فوقفت بهم امام قصرٍ عظيم وهناك نزل الجندي وانزل المسافرين من المركبة وسجنهم في احدى غرف القصر وامرهم ان يلبثوا فيها حتى الساعة الثامنة ونصف حيث يساقون امام قاضي او ناديه ليسمعوا الحكم الصادر عليهم

فجلس باسبارتو على مقعدٍ في السجن يندب سوء حظه والتفتت السيدة عائدة باعين اغرورقت بالدموع الى المستر فوج وخاطبتهُ بصوت خنقه البكاء قائلة لهُ

— لا كنت ولا كانت نجاتي وانا

السبب في شقائك وسحك وهمك وحزنك ولكن لا تندمنّ يا مولاي على ما فعلتهُ معي من الجميل فجزاؤك عند ربي واطلب اليك ان لا تتخلى عني لئلا يسوء مصيري وافقد الحيوة لا محالة

فاجابها المستر فوج

اني لا اتخلى عنكِ مهما جرى لي امركِ من المشاق والمتاعب وكلفني من النفقات حتى تصلي الى كون كون

فقال باسبارتو

ان الباخرة تسافر من هنا بعد الظهر

فقال فوج

وسنكون عليها قبل الظهر

وفي الساعة الثامنة ونصف سيقوا الى القاضي ومثلوا بين يديه

وبعد انعقاد الجلسة نهض كاتب القيودات واستدعى بالمستر فوج وباسبارتو فاجاباه الى الدعوة ثم دخل صاحب المحكمة ثلاثة كهنة من الهنود واوقفهم في جهة المجلس فلما رآهم باسبارتو قال لرفيقه (هولاء هم الابالسة الذين ارادوا ان يحرقوا الفتاة عائدة)

ثم قراء الكاتب علنًا نص الشكوى المرفوعة من الكهنة على فيلاس فوج وخادمه باسبارتو لحرقهما حرمة الاديان وبعد ان فرغ من قراءتها اجاب فوج وهو ينظر الى الساعة وقال

ـ هذا صحيح واقرُّ بحدوثه ولكن اكلف الكهنة بان يحيطوا المحكمة علمًا بما كان في عزمهم ان يرتكبوه في هيكل بلاجي

ـ وقال باسبارتو

شهد الله انهم لولانا لكانوا قتلوا نفسًا حرم الله قتلهـا واماتوها اشنع ميتة فوق كومةٍ من الاحطاب يوقدونها فتحترق

فتعجب الكهنة من سماع هذه التهمات التي وجهت عليهم وما فهموا مغزاها ولا ادركوا معناها

فسأل القاضي باسبارتو بقوله

ـ وهل كان ذلك في مدينة بومباي فتلجلج في الجواب ولم ينطق بكلمة فقال كاتب الجلسة

ـ وتثبيتًا لما ادعى به الكهنة من تجروئه على ما فعل هاحذاؤه الذي تركه في المعبد

قال هذا ووضع الحذاء على مائدة كانت امامه

فلما رأى باسارتو ذلك تذكر ما كان ناسيًا وحاق به قلق شديد لم يستطع اخفاءه فانهُ علم ان موضوع الشكوى هو دخوله الى هيكل الصنم مالبارهيل في مدينة بومباي وليس محاولته حرق جدران هيكل جيلاجي

مرّ بنا الكلام على ان اللصاص فيكس قد سمع باسبارتو في محطة بومباي يقص على مولاه ما وقع لهُ مع كهنة هيكل مالبارهيل فعمل على دس الصغينة في افئدة الكهنة وحثهم على اقامة الدعوى امام الحكومة فاتحًا لهم باب الطمع في نيل قدر وافر من الذهب ارضاءً لهم فبعثوا برسائل برقية الى حاكم كلكوتا ليلقي القبض على فيلاس فوج وخادمه لجناية ارتكبوها فجعلت الحكومة تبحث عنهما حتى وصلا الى مدينة كلكوتا وكان الكهنة قد وصلوا اليها قبلهما لكونهما اضاعا زمنًا في سبيل انقاذ الفتاة عائدة ولم يكن لفيكس من مأرب في ذلك الا اعاقة فيلاس عن السفر مدة حتى يصلهُ امر القاء القبض عليه من ادارة عموم البوليس في لوندرة

وسأل القاضي باسارتو عما يقول فلم يسعه غير الاقرار فحينئذٍ صدر الحكم وقرأهُ القاضي فاذا هو بنصهِ هكذا

(بما ان حكومة جلالة الملكة تشمل بحمايتها)
(جميع الهنود وتدافع عن اديانهم على)
(السواء وبما ان باسارتو قد اقر بالجريمة)
(التي ارتكبها بدخوله الى معبد الصنم)
(مالبارهيل الكائن في مدينة بومباي)
(في اليوم الواقع في ٣٠ اوكتوبر قد)
(حكمنا على باسارتو بالسجن خمسة عشر)
(يومًا واداء غرامة قدرها ٣٠٠ ليره انكليزية)
(وبما ان الموالي يسألون عما يفعل)
(خدمتهم فقد اعتبر المستر فوج ايضًا)
(مجرمًا ولذلك قد حكمنا عليه بالسجن)
(مدة ثمانية ايام وبدفع غرامة قدرها ١٥٠)
(ليره انكليزية)

وبعد تلاوة هذا الحكم طاشت نفوس وانقبضت نفوس فاهتز فيكس طربًا وطفح فؤادهُ سرورًا لصدور الحكم على المستر فوج بالسجن ثمانية ايام في مدينة كلكوتا بحيث يتيسر لهُ في خلالها تلقي الاوامر من لندره بالقبض عليهِ اما باسارتو فانهُ وقف في موقف الحزن والكمد يندب سوء حظه ويتنفس الصعداء وما همهُ سوى

الحكم على مولاه ورجه في السجن مدة ثمانية ايام من غير ان يأتي مكرًا او يقترف دسًا

واما فيلاس فوج فما ثار لهُ جاش ولا اختلج في صدره غيظ كأن لم يحكم عليه ولم يكن لهُ دخلٌ في الامر ولما عمد الكاتب الى اعلان قضية اخرى لاستماعها طلب المستر فوج الى القاضي الافراج عنهُ بالضمانة وطلب منهُ القاضي دفع مبلغ قدره الف ليره فقبل فوج ودفع القدر المطلوب من السفاتج التي تحويها حقيبته وخرج موعزًا الخادمه ان يتبعهُ فعند ذلك التفت باسارتو الى القضاة وسألهم بغضب ان يرجعوا اليه حذاءهُ فردوه اليه ثم تبع مولاه الذي كان يخطر كالغيد ممسكًا ساعد الفتاة عائدة غير مبال بما فقده من المال وكان فيكس يتأثرهم الى ان ركبوا عربة سارت بهم الى رصيف البحر حيث ركبوا صندلاً اوصلهم الى ظهر الباخرة رانغون التي كانت على اهبة السفر الى كون كون ولما تحقق فيكس سفرهم ضرب صدغه بيديه وخبط الارض برجليه واطلق للسانه العنان شتمًا وتجديفًا وسخط على المستر فوج وعلى الارض التي تقله والسماء التي تظله والطعام الذي يغذيه والماء الذي يرويه ثم هام في اودية التأمل قصد الاهتداء الى وسيلة يوقف بها المستر فوج الذي لا يأسف على فقد الدرهم ولا يختشي في بذله لومًا فانهُ انفق منذ قيامه من لوندره حتى وصوله الى كلكوتا ما يبيف على خمسة الاف ليرة بين جزاء يؤديه وقبل ما على الاثمان يشتريه وغرامة يدفعها وضمانه يفقدها مما جاء مضرًا بمصلحة الشاطر فيكس الذي اذا قبض على فوج وكان هو اللص نال خمسةً في المائة من الاموال التي تضبط منهُ وذلك ما عدا المكافأة التي وعد بها فكان لذلك يأسف على الاموال التي كان ينفقها

الفصل السادس عشر

كيف ان فيكس تجاهل تمامًا ما كان يسأل عنهُ

لم تتوفر اسباب الراحة للسيدة عائدة في الباخرة رانغون التي يبلغ محمولها الف وسبعمائة وسبعين طنًا وقوتها اربعمائة

حصان وتصارع الباخرة مونحوليه في سرعة المسير لا في تمام الاتقان والانتظام وهي من بواخر شركة البواخرات الشرقية المتخذة خطة مسيرها بين الصين واليابان وتسير مدة اثني عشر يوماً تقطع في خلالها مسافة ثلثة الاف وخمسمائة ميل وهي المسافة الكائنة فيما بين كلكوتا وكون كون

وقد قصت السيدة عائدة الايام الاوائل من سفر الباخرة في قص الاحاديث على المستر فوج بما كان يذهب عنه الشجن ويزيل عن قلبه الحزن معرية له من آن الى آن عن مزيد امتنانها من اهتمامه بانقادها واعتنائه بها فانشرح بلطف كلامها صدراً وقر بمحاسنها الفتانة عيناً

وقد كشفت له الشابة في خلال الحديث عن حسبها ونسبها وذكرت له لمعاً من تاريخ اعاظم رجال عائلتها واقربائها الذين نالوا نياشين الشرف من جلالة امبراطورة الهند وجمعوا الاموال من اتجارهم بالاقطان واحاطته علماً باسم التاجر الشهير السير جامس جيجيهوري المقيم في مدينة بومباي ابن عم المكرم جيجي احد اغنياء كون كون واعظمهم اقتداراً وهو من عائلتها الشريفة . وقد ابانت في حديثها كونها على ريب من لقاء ما تتمناه من الرعاية في نزولها عليه في كون كون

وكان فيلاس فوج كله آذاناً مصغية الى حديثها وهي تبدي من الدلال على غير عمدٍ ما كاد يجعله بها صباً مستهاماً ولو لم يكن كما عرفناه من حيث التأثر والانفعال لا فتتن بها واشتدت غيرته عليها ولكنه لم يأ ب الهوى ولم يذق طعم الصبابة فتحول لذلك عن الافتتان بجمال هذه الغادة الحسناء الى الاعتناء بامرها وبملازمتها على قدر الامكان لئلا يدركها الملل من العزلة وقد اقتصر على ان يظهر لها الملاطفة والمؤآنسة من ضمن دائرة الادب والاحتشام

وكان باسارتو قد اعلم السيدة عائدة باخلاق المستر فوج وبما هو عليه من غرابة الطباع وبأمر طوافه حول الارض في ثمانين يوماً

وما زالت الباخرة تشق العباب والريح طوعها حتى اشرفت على جزيرة اندامان التي تنطح السحاب بجبالها العالية وتتخللها فلوات واسعة شاسعة يظللها

شجر النحل والخيزران وجوز الطيب
وغير ذلك من الاشجار الغضة التي تحجب
الامصار عن الانصار . ووراء هذه الفلوات
سلسلة جبال عديدة يأوي محدرها طير
السنونة الذي يطبخ من لحومه الذ المأكولات
في مملكة ابن السماء

وما سرع من لمح البصر اجتازت السفينة
هذه الجزيرة ودخلت في بوغاز ((مالاغا))
المتصل بحر الصين

وعند ما تحقق القناص فيكس
مبارحة المستر فيلاس فوج لمدينة كلكوتا
امسى مصعوقاً بصعقات الخيبة فتوجه الى
ادارة الضابطة واعلمها بعزمه على الذهاب
الى مدينة كون كون وطلب منها ان
ترسل اليه ما عساه ان يرد اليه من لندره
متعلقاً بوجوب القبض على المستر فوج
ثم عاد الى المينا وركب صندلاً فاوصله
الى الباخرة رانجون وهو في حال من
القلق والاضطراب لا يعلم شدتها الا الله
وقد اخذ يتنازعه عاملان هما بذل المستر
فوج للدينار بمقاساته مشاق الاسفار
والخوف من فرار المستر فوج من بين
يديه اذا تاخرت ادارة البوليس في لوندره
عن ارسال الامر القاضي بالقبض عليه
ولا سيما اذا بلغ كون كون ولم يتلق الامر
المنتظر فان هذه المدينة هي آخر
حدود مملكة انكلترة في الهند واذا تجاوزها
ودخل فوج ارض الصين او اليابان او
امركا تعذر عليه القاء القبض عليه بسهولة
فان شرائع هذه البلاد تقضي باطلاق
الحرية لكل ملتجىء اليها من مرتكبي الذنوب
في غيرها الى ان تصدر عليه الاحكام بما
يستأهله من العقاب وبهذه الطريقة يتمكن
اللص من التخلص والفرار وتكون اتعاب
القناص ونفقاته قد ذهبت ادراج الرياح

ومرَّ على فيكس ساعات طوال
قضاها في حجرته بالباخرة متقلباً بين اليأس
والرجاء تائهاً في قفار الافكار والتصورات
واستمر كذلك الى ان حكم بانه اما ان
يتمكن من القبض على المستر فوج في
كون كون واما لا فاذا تم له الامر الاول
يكون قد بلغ اربه ومشتهاه ونال الشرف
والافتخار والاَّ فيكون مسعاه قد اخفق
ولحق به العار والشنار فلا يتجاوز تلك
المدينة في اقتفاء اثر اللص

وكان في عزمه ان يكاشف باسبارتو

بما خطر له الا انه خاف سوء العقبى فامتنع وشغل عن الاستسلام للتاملات بالتعجب والانذهال عند مشاهدته بجانب المستر فوج فتاة حسناء تميس بحلة البهاء وتحادثه اطراف الحديث فظن انها خليلته وانهما واعدته بعد افتضاح امرها على الاجتماع في ارض الهند حيث يكونان بمعزل عن العاذل والرقيب واية شجرة ما هزّها الهواء

اي غصنٍ ما حركته رياحٌ

اي قلبٍ لم ترمه عيان

وحاول اللصاص فيكس معرفة من تكون هذه الغادة الحسناء واين ومتى التقت بالمستر فوج حتى اذا ما دلته قرائن الاحوال على كونها خليلة له مقيدة بسعل سواه واغتالتها يداه من حجر روجها افتتانًا بحسنها وجمالها وشى عليه ودس الدسائس واستلفت اليه انظار الحكومة فتقبض عليه لتتحرى امره ويكون بهذه الوسيلة قد القى في طريقه عثرات اوقفت اطراد مسيره الى ان يرد اليه من لوندره امر القبض عليه

وكان اللصاص فيكس شديد الرغبة في الوقوف على حقيقة الامر صباً بالوقت ان يذهب على غير طائل حتى اذا رست الباخرة في مياه سنغافور في اليوم التالي اي اول نوفمبر رفع الامر الى حكومة كون كون بسلك الاشارة البرقية وكلفها بالقبض على المستر فيلاس وزجه في السجن لارتكابه جريمة السبي وانتهاك الاعراض باغتيال فتاة يسوقها امامه على غير ارادتها ويسومها الخسف والعار

وعزم فيكس ان يجتمع بباسارتو ويطارحه الحديث ليستطلع منه طلع الحالة وقوفاً على خبر الفتاة واصطحاب المستر فوج لها فخرج من حجرته وصعد الى ظهر الباخرة فالتقى بباسارتو الذي لما جاءت منهُ التفاتة اليه اقبل عليه وحياه تحية المشتاق بعد طول الفراق وقال لهُ

ـ ما لي اراك على ظهر الباخرة العلك تطوف مثلنا حول الارض في ثمانين يومًا فاجاب فيكس

ـ لا وانما قضت عليّ بعض البواعث بالذهاب الى مدينة كون كون لاصرف فيها بضعة ايام في قضاء بعض الحاجات

ـ وكيف حرمتني من انسك والطافك في المدة التي مرّت بنا من حين

خروج الناحره من مرفأ كلكوتا

ــ لأن الم البحر الم بي فكدر صفاء عيشي والقاني على فراش العناء انقلب بين اليأس والرجاء بسبب انحراف صحتي ولكن قل لي كيف حال مولاك

ــ في غاية ما يرام من العافية والنجاح في طوافه حول الارض في ثمانين يوماً

ويالبتك تعلم من نصطحب معنا

ــ من من

ــ غادة حسناء تزري بالشمس بهاء وبالبدر جمالاً وبالغصن اعتدالاً

ــ غادة غادة . . فتاة . فتاة .

و

ــ اجل

ثم قص عليه ما توقع له في هيكل صنم بومباي واخبره بما قضي به عليه وعلى مولاه في مجلس كالكوتا وبسط له كيفية شراء الفيل وانقاذ الفتاة عائدة من الحريق فكان فيكس يسمع الكلام بعجب واستغراب كأنه ليس على علم بعضه وبعد فراغ باسارتو من كلامه قال له فيكس

ــ هل في عزم مولاك ان يستصحب هذه الفتاة الى اوربا

ــ لا ولكنه سيسلمها لاحد اقربائها في كون كون

فتكدّر فيكس عند سماعه هذا الجواب وصرف باسانه ثم دعا باسارتو لتناول كاس مدام فقبل الدعوة وشرب الكأس على سر تلاقيهما في الناحرة راجون

الفصل السابع عشر

في ضروب مختلفة من الكلام

ومرّت ايام السفر من كلكوتا الى كون كون وباسارتو يلتقي في خلالها باللصاص فيكس على ظهر الناحرة فيصرفان الوقت في الحديث غير انّ فيكس كان يتحاشى في حديثه التطويل والاسهاب لئلا يأتي غير مختار بما يشف عن ذات الصدور

اما باسارتو فكان يتأمل البواعث التي قضت على فيكس باتباع هذه الخطه من السير وراء فيلاس فوج وعنا انه من طبع كل انسان ان يتأمل الاسباب ويأولها خطر لباسارتو ان فيكس انما هو مكلف من قبل اعضاء الكلوب في لوندره باقتفاء اثر فيلاس فوج في

رحلته ليأتيهم بالنبأ الصحيح القاطع لقول
كل خبير بكيفية اتمام الرحلة

وقد ساء باسبارتو لدى هذا التأمل
عدم ثقة رجال الكلوب بمولاه حتى انهم
الحقوا به جاسوساً سرياً يرقب سيره ولكنه
ارتأى ان يكتم الامر لئلا يثير في مولاه
عامل الغضب

وما حلت الساعة الرابعة من صباح
يوم الخميس الواقع في اول نوفمبر حتى
اجتازت الباخرة رانجون بوغاز مالاغا
ورست في مياه سنغافور لذخر الشحم واللحم
والمأكل والمشرب وكان رسوها قبل
ميعاد وصولها القانوني بست ساعات
رقمها المستر فوج في حقل الارباح من
دفتر رحلته ونزل الى البر مستصحباً السيدة
عائدة وربما استوت قدماه على الارض
استأجر عربة يجرها فرسان من خيول
هولانده فركبها مع السيدة عائدة والقناص
فيكس يرقبهما عن بعد فسارت بهما في
جزيرة سنغافور بين الحدائق والرياض
والبساتين والغياض التي تخلو عن الفؤاد
صداء الكمد حتى مرت بهما تحت ظلال
اشجار من النخل والقرنفل والفلفل
والخيزران وجوز الطيب التي يتفيأ ظلالها
مئات من القرود والنمورة والفهود التي
تأتي تلك المراتع من جهات مالاغا
بطريق البوغاز عائمة على وجه الماء

وبعد ان قضى المستر فوج والسيدة
عائدة مدة ساعتين في جوب الغيطان
يستنشقان النسيم عادا الى المدينة ذات
البنايات الشاهقة والقصور الجميلة التي
تكتنفها الحدائق من كل ناحية وصوب
بما يسرّ الخواطر ويقر النواظر

وكان باسبارتو قد خرج من الباخرة
الى المدينة سنغافور وبعد ان جال في اسواق
المدينة عاد الى ارصفة البحر ينتظر اياب
مولاه ولما ان وفد عليه مصحوباً بالسيدة
عائدة دنا من الفتاة وقدم لها فاكهة كان
قد ابتاعها من السوق ثمراً يسمى التماح
حمرة ورائحةً فتناولته من يديه واثنت عليه
وركبوا جميعاً صندلاً واحداً اوصلهم الى
الباخرة التي الفوها غاصةً بالركاب المختلفي
الاجناس من هنود وسيلانيين وصينيين
وملايو وبورتوغاليين وقد اقلعت بهم
بعد الساعة الحادية عشرة قاصدة جهة
هونغ كونغ التي تبعد عن سنغافور مسافة

الف وثلثماية ميل وفي بادئ سيرها كان الجو صافياً والهواء معتدلاً ولكنها لم تقطع بعض اميال حتى ثارت الرياح وازبد البحر وتلاطمت الامواج وهبت العواصف من الجهة الجنوبية الشرقية مهدت للسفينة سبيل السير السريع لا سيما بعد ان نشر الربان شراعها

ولم يكن من متمنى المستر فيلاس فوج سوى ان تمكن السفينة من الوصول الى كون كون في مسافة ستة ايام حتى يتسنى له السفر على الباخرة التي تسافر في ٦ نوفمبر الى يوكوهاما (احد مرافئ اليابان المهمة)

واشتدت ثورة الانواء على السفينة وهي تشق العباب حتى كادت الامواج المتلاطمة تبتلعها فانها كانت ترفعها تارة الى ما يوازي ارتفاع الجبال الشامخة وتخفضها طوراً الى اعماق اودية اليم حتى انخلعت قلوب الركاب واضاعوا الرشد والصواب فاستلقوا على ظهورهم من الهلع والخوف وشدة الاهتزاز

وهنا محال للقول ان في سفن بواخر الشركة الشرقية (١) وغيرها من بواخر شركة جولجونده وكوريه نقصاً واختلالاً من حيث تحويقها واتساع دائرتها فانها لا تكاد تحمل سدس ثقلها حتى تغوص في الماء بخلاف السفن الفرنسوية من سفن شركة الميساجيري والامبراطورة والكامادج فانها تحمل بقدر ثقلها من المياه ولا تغوص

ولا تسل عن باسارتو فانهُ كان يخدم غيظاً على مهندسي السفينة ويسلقهم بلسان حادّ ويرمي عمالها باسهم التعنيف والتقريع ويشتم شركة البواخر ويدعو بالقطع على الايدي التي انشأتها والبحر الذي اقلها

وربما كان غيظ باسارتو ناشئاً عن تذكره لمصباح الغاز الذي تركه موقداً في حجرته بشارع سافيل في لوندره فشط عن الرشد لعلمه بانهُ لا يزال موقداً على نفقتهِ وملّ من طول السفر

وبينما كان ذات يوم على هذه الحالة من الضجر والقلق سألهُ الضابط فيكس

(١) التي تمخر مياه الصين

عن سبب كدره واجابهٔ

ــ انى سئمت من طول السفر

ــ هل في عزم المستروح ان يذهب من كون كون الى يوكوهاما على اول باخرة

ــ لا محالة

ــ هل اطلت عليك خديعةٌ في هذه الرحلة الغريبة

ــ وعليك

ــ معاذ الله

ــ يالخداع . فعليك اذن ان تستمر مرافقاً لنا في هذه الرحلة حتى تعرف الغث من السمين وتميز بين الشك واليقين

ــ اني عازم على ذلك اذا سمحت لي الظروف ومكنتني الاحوال

ــ اظن انها تسمح لك بمبارحة كون كون كما سمحت لك بالسفر من بومباي والخروج من كلكوتا ولكن قل لي ماهو الربح الذي تربحه من هذه الحرفة

ــ تارة يكون كثيراً وطوراً يكون قليلاً حسب الظروف ولكن لست في هذه المرة مسافراً على نفقتي الخصوصية

ــ انى عالم بذلك جيداً

قال هذا وضحك حتى استلقى على قفاه

فتبين القناص فيكس من ذلك ان الشاب الفرنسوي اطلع على امره ووقف على خبره فراعه اتصال الامر بالمستروح وبعد انتهاء الحديث انطلق فيكس الى حجرته فدخلها مكتئباً معتمداً رأسه بين يديه مفكراً في شأنه وفيما عسى ان يتخذهُ من التدابير بعد افتضاح امره . واستمر كذلك الى ان خطر لهُ ان يتربص ويتجلد في تبادل الحديث مع باسارتو في هذا الشأن حتى اذا علم من سياق الكلام ان بين الخادم ومولاه اتفاقاً على ارتكاب السرقة نشط الى اقتفاء اثرها واما اذا تحقق فساد ظنه وبراءة المستروح اوقف مسيره في كون كون

الفصل الثامن عشر

كيف ان كلاً من المستروح وباسارتو وفيكس توجه في سبيله لقضاء حاجاته

واستندت على السفينة وطأة الانواء

في الايام الاخيرة من سفرها ايما اشتداد فثارت عليها العواصف والزوابع بجدة لا مزيد عليها في ثالث ورابع نوفمبر وتحولت الريح الى الجهة الشمالية الغربية فحالت دون مسير السفينة ومنعتها من الاستمرار على سيرها المنتظم فطوى ربانها الاشرعة ما عدا شراع الصاري الاوسط لتتمكن من استقراء حطة سيرها على مهل بحركة عشرة دواليب من الرقاص

ولا خفاء انهُ اذا دامت الحالة على ما هي عليهِ من ارتياد البحر وهياج الانواء يتأخر وصول السفينة الى كون كون مدة عشرين ساعة في الاقل وهذه المدة كافية لان تحبط مسعى المستر فوج وترده الى بلاده خاسرًا خائبًا اذ ينقطع بهِ خط المواصلات بين البواخر التي تسافر من اماكنها في اوقاتها المعينة

وبقدر ما كان البحر مزبدًا كان اللصاص فيكس فرحًا مسرورًا بل كان يبتهل الى الله ان يزيد عصف الانواء في ذلك البحر العجاج لتتأخر السفينة عن الوصول الى كون كون عدة ايام بعد ميعادها المعين فتكون الباخرة المسافرة الى يوكاهاما قد اقلعت اليها فيتوقف اذ ذاك سفر المستر فوج اليها

وكان فيكس لدى هذه التأملات غير مبالٍ بما كان يقاسيه من التعب والعناء اما باسارتو فكان شديد السخط على هياج البحر العجاج وتلاطم الامواج ويرتعش انفعالاً من اسباب ذلك التأخر ويتمزق يأسًا من الحصول على المراد وقنوطًا من الوصول الى كون كون قبل ان تسافر منها الباخرة المعينة للسفر الى يوكوهاما كانهُ نفس عاقد الرهان المعرَّض لخسارة مبلغ العشرين الف ليرة

وكان تارة يتأمل ثورة العواصف وهبوب الرياح فيتحول عن مصدر هبوبها الى النظر في كيفية سير السفينة وحينًا يذهب الى ربان السفينة ليستعلم منهُ عن وقت سكون الانواء وآونةً ينطلق الى نوتية السفينة ويحثهم على الصبر والتجلد واستمر كذلك الى ان وقف شاخصًا الى الفضاء لا ينطق بكلمة ولا يبدي حراكًا

وفي ٤ نوفمبر تغيرت الرياح وجاءت ملائمة لسير السفينة وتحسَّن تغير الاحوال وتبدل العسر باليسر فهدأ روع باسارتو

وعلق اهداب آماله بنواصي التقادير

ولكن السفينة قد ابطأت كثيرًا في المسير بحيث استحال عليها ان تبلغ يوكوهاما في ميعادها المعين اي في ٥ نوفمبر وقد وصلت في الساعة السادسة من صباح سادس نوفمبر الى مدخل بوغاز كون كون فحضر اليها رئيس البوغاز ليتولى قيادتها في الدخول الى المرفإ قصد ان تدخلهُ امنة شر المحذور

وعزم باسبارتو مرارًا على الاستفسار منهُ عن سفر البريد الى يوكوهاما ولكنه كان يمتنع من ابداء ما لديه فان شدة الخوف كانت تحمله على الاعتقاد بان سؤاله سيلقى جوابًا يميت فيه بقية الامل فلبث لذلك يعاني الم الصبر اما المستر فوج فدنا في خلال ذلك من الرئيس وسألهُ عن بريد يوكوهاما فاجابه الرئيس ان البريد تأخر عن ميقات سفره الى الغد لان السفينة ((كارناتيك)) التي كانت مزمعة ان تنقلهُ الى المحل المعين له طرأ على بعض آلاتها تعطيل مست الحاجة الى اصلاحه فتعين تأجيل السفر الى الغد وانها لذلك ستنفصل الى يوكوهاما قبل سفر الباخرة منها الى سان فرنسيسكو وان بين السفن التي تجتاز الباسيفيك عهودًا تقيدها بالواجبات التي تنشأ عما اذا حدث لاحداها تأخر عن مواعيدها فتبسم المستر فوج سرورًا وامتنانًا من التقادير التي احدثت هذا التأخر غير المنتظر لسفر الباخرة ثم شكر للرئيس تعليماته الحلية وعاد الى حجرته في السفينة اما باسبارتو فكان كله ساعة ذلك الحديث اذانًا مصغية فزايله عند سماع تلك الكلمات كل وجل واضطراب ثم اقبل على الرئيس وهزَّ يده دلالة على التشكر والامتنان

وفي الساعة الاولى بعد الظهر رست السفينة في مرفإ كون كون فنزل ركابها الى البر وكل منهم مشتغل بشأنه متوقع للوصول الى اربه

وبما ان السفينة كارناتيك المكلفة بنقل البريد الى يوكوهاما لا تبارح مياه كون كون الا في الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي كان للمستر فوج فرصة ١٢ ساعة يقضيها في الاهتمام بشؤون السيدة عائدة فنزل الى البر مستصحبًا اياها وانزلها

في فندق ((الغلوب)) مشيراً الى خادمه باسبارتو بالاعتناء بها ثم سار الى المدينة التماس التعرف بحضرة المكرم جيجي احد اقرباء الفتاة ليطلعه على ما كان من امر سيئته ويسلمها له

ولهذا القصد توجه الى البورسة علماً منه بان ((جيجي)) معدود من اعاظم تجارها ووجوه وجهائها وانهُ يسهل عليه الاسترشاد اليه من اهل البورصه . ولما بلغها استدل على احد سماسرتها فاستعلم منه عن مقر جيجي المذكور فاجابه السمسار انه بارح كون كون منذ عامين بعد ان جمع منها مالاً لا تحصيه ارقام ولا تحصره اقلام فاختار الاقامة في اوربا وفي الغالب انه استقرَّ في هولانده

وبعد ذلك عاد المستر فوج الى الفندق واخبر السيدة عائدة بما سمعه من بارحة نسيبها لمدينة كون كون فكان من الفتاة ان لزمت الصمت حيناً ثم عمدت الى الافتكار فامرَّت يدها على جبينها الوضاح وسألت المستر فوج عما تجريه فاوعز اليها بالسفر معه الى اوربا وقال لها ان معوك معي الى تلك الديار يذهب بك الاحزان ويجلو عنك صداء الاشجان

ثم التفت الى خادمه باسبارتو وامرهُ بان يذهب الى السفينة ((كارناتيك)) ويعد فيها ثلاث غرف مخصوصة فتوجه باسبارتو الى السفينة مسروراً . اما الفتاة فانشرحت بذلك صدراً وافترَّ مبسمها عن لؤلؤ دري بعد تقطب وجه حالته بعد الانبساط بدراً

لم يضحك الورد الا حين اعجبه
حسن الرياض وصوت الطائر الغرد
كأنَّ فيه شفاء من صبابته
تشفي القلوب من الاوصاب والكمد
لا عذَّب الله الاَّ من يعذبه
بسمعٍ باردٍ او صاحبٍ نكدِ

الفصل التاسع عشر

كيف ان باسبارتو اهتم بشأن مولاه

بمقتضى معاهدة نانكين امتلكت جزيرة كون كون بالاملاك الانكليزية بعد حرب سنة ١٨٤٢ ؛ ومن ذلك الحين جعلها مهاجرو الانكليز محطاً لرحالهم فعمموا فيها التجارة والصناعة وانشأوا فيها مرفاء تجارياً واطلقوا عليه اسم ((مرفاء فيكتوريا))

وهي واقعة عند مصب نهر كانتون على مسافة ستين ميلاً من المدينة البورتغالية ما كاد الكائنة على الصفة الاخرى من النهر

وفي وسط كون كون تجري جداول من المياه وفيها مستشفيات لذوي الامراض والعاهات وثكنات للعساكر ومخازن للبضائع وسرايات للحكومة وطرقات وشوارع منتظمة على الترتيب الهندسي وفي الجملة ان المدينة لا تحاكيها برونقها وانتظامها الا احدى مدائن الكونت كانت او الكونت سيرري

وانطلق باسارتو الى رصيف ((فكتوريا)) ويداه في جيوبه فاباحوه المطية واجال طرفه في البحر فراى سفناً فرنسوية وانكليزية وامركانية وهولاندية وسفناً تجارية ودوارع حربية وزوارق يابانية وصينية وغيرها ثم حول نظره الى البر فرأى هوادج ومركبات واقواماً من الصينيين واليابانيين والفرنجة يزدحمون في الطرقات ازدحام الناس في كلكوتا وسنغابور وبومباي وهي المدن التي مرّ بها وشاهد عدداً من الشيوخ الطاعنين في السن لابسين ثياباً صفراء فرقهم بعين الانتقاد ثم سار حتى بلغ دكان حلاق فدخله ليحلق لحيته على الزي الصيني فعلم منه ان اولئك الشيوخ ما لبسوا تلك الثياب الصفراء الا لانهم تجاوزوا حد الثمانين

ثم عاد الى الرصيف لينطلق منه الى الباخرة على قصد ان يتخذ فيها ثلاث غرف وفقاً لاشارة مولاه فبوصوله الى الرصيف ابصر عن بعدٍ النصاص فيكس يخطر جيئة وذهاباً وعلى وجهه علائم الارتباك فدنا منهُ وسأله بقوله

— هل نذهب معاً الى امركا

— نعم

قال ذلك وصرف باسنانه كدراً وغيظاً

فقال له باسارتو

هلمّ ادن بنا الى السفينة لنتخذ فيها اربع غرف لنا

فاجابه الى ذلك وتوجه كلاهما الى السفينة فاستأجر فيها اربع غرف مخصوصة ولما هما بالخروج اعلن لهما كاتب السفينة ان سفر الباخرة يكون في الساعة الثامنة

من مساء النهار لا باكرًا كما سبق اعلانه للركاب وشكراهُ وجرحا

ولما انتهيا الى الرصيف دعا فيكس باسارتو الى تناول كأس شراب في احدى الحانات الكائنة على الرصيف فقبل باسارتو الدعوة بمزيد الامتنان وسار مع فيكس الى حانة قريبة فالفيا فيها قومًا يعاقرون الخمرة ويشربون الجعة (البيرا) والكونياك وقومًا يتمهلون بالافيون فيفقدون الحس والصواب ويستلقون على الارض سكارى

فعلم باسارتو وفيكس اذ ذاك انهما دخلا حانة يجتمع فيها الرعاع لمدخنين الافيون التي تنتفع منهُ التجارة الانكليزية في كل سنة بمائتين وستين مليونًا من الفرنكات فلحى الله حب الدينار انهُ حامل للمرءِ على ارتكاب المنكرات

وقد حاولت الحكومة الصينية عبثًا ان تحظر على رعاياها شرب الافيون بالنظر الى ما ينجم عنهُ من المضار التي تسمم الاجسام وتذهب بالعقول ولكن

لا تنهَ عن خلقٍ وتأتي مثلهُ
عارٌ عليك اذا فعلت عظيمُ

فان كبار رجال الدولة الصينية يتداعون الى شربه تداعي الجياع الى القصاع فاقتدى بهم صغار القوم من رجال ونساء وادمنوا على استعمالهِ حتى صار فيهم ملكة راسخة صعبة الزوال وحتى بات من يحاول الامتناع من معاطاته عرضةً لالام معوية لا تطاق

وبعد ان دخل فيكس وباسبارتو الى هذه الحانة طلب فيكس زجاجةً من نبيذ ((بوردو)) فاتاهم بها صاحب الحانة فشربها مع باسارتو الذي اعجبه جودة صنعها وبعد ان شرباها هم باسبارتو بالذهاب ليعلم مولاه بميعاد سفر الباخرة فامسك به فيكس وقال لهُ

البث قليلاً لاحدثك برهةً بشأن مولاك

ــ تكلم

ــ هل اكتشفت على امري

ــ تمامًا

ــ احسنت فبقي عليَّ ان اشرح لك بالتفصيل كل

ــ لا لزوم لذلك فاني عرفت كل ما تريد ان تقوله لي ولكن اولئك الاشخاص قد كبدوا انفسهم من النفقات ما لا تطيق

ولا كلف الله نفساً فوق طاقتها

ــ يظهر من حديثك انك تجهل جسامة المبلغ

ــ لا اجهل شيئًا فالمبلغ قدره عشرون الف جنيه

ــ انت في خطاء مبين فان قدر المبلغ خمسة وخمسون الف جنيه

ــ خمسة وخمسون الف جنيه .. فماذا تقول ... هل تجراء المستر فوج على ... واذن صار من الواجب ان استعزه للذهاب الى الباخرة حذرًا من التأخر

ــ امكث قليلا

فجلس باسبارتو وبعد ذلك طلب فيكس زجاجة من الكونياك ثم اخذ في الكلام فقال لرفيقه

ــ اعلم ايها الصديق اني اود تأخير فيلاس فوج بضعة ايام في كون كونغ واذا فزت بهذه الامنية ربحت جائزة قدرها الف ليرة واعطيتك منها مائتين اذا ساعدتني على بلوغ اربي

ــ ألا قاتل الله حب الاثراء . كيف حرضوك اولئك الرجال على اتيان هذا المكر . وكيف تأمل ان اساعدك والقي في سبيل مولاي عثرات تؤخره عن اتمام الرحلة التي اراه الان يتمها بكل صداقة واستقامة فاقلع عن غيك ولا تأمل مني ذلك

ــ فمن هذه الاجوبة التي كانت تارة تصيب المرمى وطورًا تخطئ الموضوع ارتبك القناص فيكس في امره وازالة لارتيابه سأل باسبارتو قائلا

ــ من انا

ــ انت جاسوس من قبل اعضاء ((كلوب ريفورما)) في لوندره أُرسلت لتقتفي اثرًا وترقب رحلة مولاي وتلقي في سبيله عثرات الاعاقة

ــ اخطأت اخطأت واني ايها الصديق قناص مرسل من قبل ادارة البوليس في لندره فلما حدثت في ٢٨ دسمبر سرقة البنك التي اضاع بها مبلغ خمسة وخمسين الف جنيه ارسلتني الحكومة الى مدينة السويس لاكتشف على الفاعل وهذه هي اوراقي التي تثبت لك قولي وهذه هي علامات اللص المرسلة الي فانظر كيف انها مطابقة تمامًا لهيئة مولاك ــ ثم قال ــ وقد رجح

لديَّ الان ياباسارتو ان المستر فوج هو اللص بعينه وانهُ فرَّ من وجه العدالة بهذه الحجة الساقطة وهي حجة الطواف حول الارض في ثمانين يوماً

وضرب باسارتو الارض برجليه والمائدة التي امامها بيديه ثم التفت الى فيكس بعين الغضب وقال له

ــ قد ساء ظنك بمولاي فهو اكثر استقامة من كل من شب ودب . فقال له فيكس

ــ من اين اتصل بك ان مولاك بمكان من الاستقامة وانت لم تعرفه الا في اليوم الذي تقيدت فيهِ بخدمته وظهر لك بهذا المظهر اي الطواف حول الارض فلا اخالك بعد ذلك الا مشتركاً معه في الجريمة حتى انك اكثرت من ضروب الحديث فالتهبت حدة وددت تصوراً تخدعني بفصاحة لسانك وحسن بيانك وتنفي عن مولاك الشبهة وانا لست ممن يحسبون الآل ماء ويخدعون بظواهر الكلام ومما علمت الان من احوالك وبمدافعتك عن مولاك اصبحت مشتبهاً فيك فيحق لي لذلك ان اقبض عليك ايضاً

فاطرق باسارتو في الارض وجعل يفتكر في مولاه ويراجع ما مرَّ عليه من احواله فما تبين له منها ما يشينه بل مرَّ عليهِ منها ما يستحق الثناء من اجله كانقاذ السيدة عائدة من مخالب المنون

وبعد ان فكَّر برهة التفت الى فيكس وقال له

ــ والان ماذا تريد

ــ اريد ان تساعدني في اعاقة مولاك في كون كونن مدة من الزمان حتى يرد اليَّ من ادارة الشرطة في لوندره امر القبض عليه

انك لسائلٌ غير مجيب

ولماذا . فاني اقتسم معك مبلغ الالفي ليرة الذي اقبضهُ من بنك المملكة على سبيل المكافأة

واجابه متلجلجاً

لا اخون مولاي ولو اعطيت مال الدنيا قاطبة فاني ما لقيت منهُ سوى المعروف والاحسان و . وقد عرفتهُ كريماً محسناً محباً للخير و . واني من ارض لا تنبت من يكفر بالنعمة ويجحد

المعروف وو. و

وعلم فيكس ان باسبارتو اكثر من تناول المسكر مما كان فوق الطاقة فطلب له زجاجة اخرى من الكونياك وملاء له الكأس منها ثم دفع اليه افيونًا مملوءًا بالافيون فاخذه باسبارتو ودخن منه فلعب في لبه وغيبه عن الحواس ثم انطرح على الارض فاقد الرشد والصواب فسر اللصاص فيكس بذلك وتركه في الحانة على حالته وتوجه بعد ان دفع ثمن المشروب وفي فؤاده حزازات

وسار وهو مفترض احد امرين اما ان المستر فوج لا يعلم بسفر الباخرة ((كارناتيك)) في تلك الليلة فتسافر بدونه واما انه يعلم بميعاد سفرها فيسافر تاركًا خادمه في المدينة

الفصل العشرون

في ان فيكس تكلم مع المستر فوج مباشرة

بينما كان اللصاص فيكس والشاب باسبارتو مشتغلين بالحديث الذي نعلم كان المستر فوج والسيدة عائدة يتخطران في شوارع المدينة طلبًا للتنزه والتفرج وقد اهتم المستر فوج باعداد ما تحتاج اليه الفتاة من الملابس ومعدات السفر وذلك بعد ان قبلت ان تتوجه معه الى اوربا وكان قد تأمل الفرق الكائن بين الرجل والمرأة من حيث قوة البنية والعزم ورأى ان من كان مثله يقدر ان يطوف الارض بجراب في يده ويصبر على احتمال المشاق بخلاف السيدة عائدة فانها لا تستطيع الصبر على السلك ولا الثبات على المصاعب فكانت لذلك تشكره بكل جوارحها على جزيل فضله واعتنائه بها

وبعد ان تجولا برهة عاد الى الفندق فدخلت الفتاة حجرتها التماس الراحة وبقي المستر فوج غائصًا في مطالعة جرائد التيمس والايللوستراتد لندن نيوز وقد فات الهجيع الاول من الليل وهو يقرأ ولم يبال بتغيب خادمه فانه كان عالمًا ان الباخرة لا تسافر الا في الغد وفي الصباح استدعى بخادمه فلم يجب فقرع له الجرس مرارًا فلم يحضر وظن انه نام في المدينة وانه ربما يلتقي به على رصيف الميا فاحتمل حقيبته وايقظ السيدة عائدة من نومها وخرج معها فركبا العجلة وسارت بهما الى رصيف الميا وكان

الوقت قد بلغ اذ ذاك حدّ الساعة الثامنة ونصف من الليل

وكان المستر فوج مؤملا ان يلقى خادمه ويجد السفينة على اهبة المسير فلم يجد الخادم ولا السفينة لانها كانت قد سافرت في الليلة الماضية ولما خاب امله نظرت اليه السيدة عائدة بقلق فسكن خاطرها وقال لها

ــ لا تقلقي فما هذا الا امر عارض وما الامر العارض الا سحابة صيف لا تلبث ان تنقشع

وكان فيكس وراءهما يرقبهما من غير انقطاع فتقدم الى المستر فوج وبعد ان قام لديه بواجب التحية والسلام وجه اليه الكلام فقال

ــ لعلك يا مولاي مثلي قد حضرت بالامس على الباخرة رانجون

فاجابه

ــ نعم ولكني ما تشرفت بمشاهدتك فيها

ــ نظرني يا مولاي خادمك عليها

فسألته عائدة بلهف

ــ واين هو

ــ لا علم لي يا مولاي بمقره فربما يكون قد سافر على الباخرة ((كارناتيك)) التي اتمت تصليحاتها بالامس وسافرت بدون ان تشعر المسافرين بتغيير الاجل الذي ضربته لسفرها اولاً فانه كان يلزمني ان اسافر عليها والآن قضى عليّ سفرها ان اتربص هنا مدة ثمانية ايام حتى يسافر البريد التالي

ــ ونحن ايضاً كنا عاقدين العزيمة على ركوبها فتأخرنا مثلك .

فلما طرق اذني فيكس لفظ التاجر طفح فؤاده سروراً وافعمت نفسه على الفوز بتأخير المستر فوج في ثغر كون كونغ مدة ثمانية ايام وعلل النفس ان يرد اليه في خلالها امر القبض عليه من لوندره

وبعد فترة من الزمان انطلق المستر فوج بالفتاة عائدة واخذ يخطر على رصيف الميناء املاً بأن يعثر على باخرة تكون مسافرة الى يوكوهاما فتاخذهُ اليها

ولحقه فيكس خافق القلب تائه اللب يغالب الغم والكدر ويطلب من الله تعالى المعونة والمدد على ذهاب اماني المستر فوج ادراج الرياح

وطاف المستر فوج مصحوباً بالفتاة

عائدة مدة ثلاث ساعات متواليات بدون ان يجد باخرة مسافرة الى يوكوهاما وبينما كان راجعاً بخفي حنين اقترب منهُ احد رؤساء السفن وبعد التحية قال له

ــ لعل مولاي يبحث على سفينة

ــ اصبت وهل لديك ما اطلب

ــ نعم لديَّ سفينة رقم عليها عدد ٤٣ تقطع في الساعة مسافة ثمانية ايام او تسعة اميال فتفضل وانظرها

فسار معهُ وبينما هما سائران سأله الرئيس

ــ اظنك تطلب التنزه على ظهر البحر

ــ لا وانما اقصد السفر الى يوكوهاما فوقف الرئيس موقف المذهل ثم حملق بعينيه في المستر فوج وقال

ــ امازح انت بما تقول

ــ لا وكيف ظننت اني امزح فان اشغالي تقضي عليَّ ان اكون في يوكوهاما في ١٤ الشهر الجاري وقد فاتني امس الباخرة كارناتيك وسافرت على غير علم مني بسفرها

فلما سمع رئيس السفينة مقاله اعتذر اليه على كونه لا يستطيع ان يلبي طلبه ويسافر به الى يوكوهاما فقال له فوج

ــ اعطيك اجرة مائة ليرة عن كل ساعة واعطيك ايضاً جائزة قدرها ٢٠٠ ليرة اذا اسرعت في المسير ووصلت بي الى يوكوهاما في رابع عشر الشهر الحالي

فاضطرمت في نفس الرئيس نار الطمع فهرع الى مظلة تشرف على البحر ليرى هبوب الريح وبعد برهة وجيزة عاد وقال للمستر فوج

ــ ليس من الصواب يا مولاي ان القي نفسي وبذاتك الكريمة وسفينتي وعمالها في مهاوي الاخطار طمعاً في المال فليس الخاطر محموداً ولو سلم فسفينتي صغيرة ولا تحمل اكثر من عشرين طناً والمسافة بين كون كون ويوكوهاما طويلة! تبلغ الف وستمائة وخمسين ميلاً ونحن الان في فصل يكثر فيه هبوب العواصف والزوابع وهياج الامواج في قلب البحر العجاج وليس امامك يا مولاي سوى طريقتين فاما ان تسافر الى ناجاساكي التي تبعد من هناك الف ومائة ميل واما ان تذهب الى شنغاي التي تبعد ثمانمائة ميل فقط وهذا لا يخل بحسابك لان بريد امركا لا يسافر الى

سان فرنسيسكو من يوكوهاما بل من شعاي رأسًا ويعرج في طريقه على ناجاسا كي ويوكوهاما فقال له المستروج

ـ هل انت متأكد ذلك

ـ نعم اني متأكده جدًا

ـ ومتى يبارح البريد شنغاي

ـ في الساعة السابعة من مساء ١١ الشهر الحالي واذا خدمتنا الريح تمكنا من الوصول اليها في هذا الميعاد باذن الله

ـ ومتى تسافر

ـ بعد ساعة واحدة

ـ وانت صاحب السفينة

ـ نعم يا مولاي انا جان بوسي صاحب السفينة تانكادير

ـ اتريد عربونًا

ـ نعم اذا حسن لديك

ها ٢ ليرة

ثم التفت الى الوراء وقال للصاص فيكس اذا اردت السفر معا فتفضل فقال له

ـ شكرًا لمعروفك وجميلك ومتى الرحيل

ـ بعد نصف ساعة

وقلقت السيدة عائدة لغياب باسارتو فالتفتت الى المستروج وقالت له

كيف تترك باسارتو ولا تسأل عنهُ وتحت رحمة من تركه

سافعل لاجله ما يمكني ان اقوم به

قال هذا وانطلق معها الى مركز الضابطة فاعطى مأمور الشرطة علامات باسارتو وترك له عدد مبلغًا من النقود يكفي لنفقات سفره الى الاوطان ثم توجه الى القنصلية الفرنسوية فاعلم القنصل بما اجراه متعلقًا باسارتو وعاد الى الفندق ومنهُ الى الميناء وكانت السفينة تانكادير مستعدة اذ ذاك للمسير

اما السفينة فباخرة صغيرة محمولها عشرون طنًا محكمة الصنع طولاً وعرضًا سريعة السير تامة النظافة يلمع نحاسها كالشمس وسطحها ابيض كالعاج وهي ذات صاريين محنيين قليلاً الى الوراء وكاملة المعدات من قلوع وحبال ومستهدفة الى الرياح من الوراء وقد حازت قصب السبق والجوائز العديدة في سرعة المسير على سائر ماثلها السفن

وتتألف هيئتها من صاحبها واربعة اشخاص آخرين اقوياء واشداء خبيرين في فن الملاحة عارفين بالطرق البحرية

والمسالك المؤدية الى الجهات المطلوبة
اما صاحب السفينة جان بوسي فهو رجل
ناهز الخمسين من العمر شديد البنية عالي
الهمة حاد النظر تلوح عليه مخائل الشجاعة
وعلائم الذكاء اسمر اللون من مؤثرات
الشمس اثناء الاسفار

ونزل المستر فوج والسيدة عائدة
الى السفينة فوجدا عليها البصاص فيكس
وبعد مبادلته التحية ساروا جميعًا الى غرفة
في مؤخر السفينة مربعة الزوايا نقشت
جدرانها نقوش مستديرة وفيها مقعد
للجلوس وفي وسطها مائدة فوقها مصباح
صغير . وريثما استقر بهم المقام التفت المستر
فوج الى فيكس وقال له

ـ اعذر يا صاحبي فما الجود الا من
الموجود

ـ فطأطأ له فيكس رأسه احتشامًا
ثم قال في نفسه

ـ يا لك من لص توفرت فيه شروط
الاداب

وفي نحو الساعة الثالثة والدقيقة ١٠
نشرت اشرعة السفينة وخفق فوقها العلم
الانكليزي فسارت والريح تخدمها وقبل
مسيرها حانت من المستر فوج والسيدة
عائدة التفاتة نحو البر ليروا ما اذا كان
باسبارتو على الرصيف فيستدعون به
ولحسن طالع فيكس لم يكن باسبارتو في
الجهة التي التفت اليها فوج وعائدة

وما لبثت السفينة بعد ذلك ان
ثارت عليها الريح فسارت تشق العباب
باسم الله مجراها

الفصل الحادي والعشرون

كيف ان صاحب الباخرة تانكادير خاطر بنفسه طمعًا بجائزة مائتي ليرة

وكانت هذه السفرة محفوفة بالمصاعب
والاخطار محدقة بها من كل جانب
خصوصًا وان السفينة صغيرة ومحمولها
٢ طنًا وامامها مسافة ثمانمائة ميل تجتازها
في فصل يشتد فيه هياج بحر الصين
وازدياده مع تعادل الليل والنهار في
شهر نوفمبر

وقد كان الاجدر بصاحب تانكادير
ان يذهب بركاب سفينته الى يوكوهاما لان
سفينته مأجورة بالمياومة وبقدر ايام السفر

يتناول الاجرة الا ان الغفلة ارخت على عقله برقع الجهل فلم يسلك طريق الكسب والانتفاع شأن من لا يفرق بين النفع والضرر او بين الحلو والمر فاقتصر على السفر الى شغلي دون سواها وربما كان مصيبًا في عدم انقياده للطمع ولكن سفينته كانت طافية فوق الماء كالعشب الاخضر

وقد قضت السفينة في احشاء بوغاز كون كون بقية اليوم الذي سافرت فيه وكانت حركة مسيرها سريعة ولما دنت من سطح البحر استدعى المستر فوج نصاحبها وقال له

— اعلم اني قد شدت قصور آمالي على همتك وعقدت نواصي الاماني على عظم حدك واجتهادك فلا تخيب فيك رجائي فانهب البحر في السير نهبًا وطر بسفينتك فاجابهُ

— مولاي ساخلص لك الخدمة واسيّر السفينة على قدر ما تسمح به حالة الريح وزيادة

— وكان فوج وقتئذٍ ينظر الى البحر متأملاً تلاعب الامواج فيه وكانت السيدة عائدة جالسة وراءهُ تتفرس في الاوقيانوس فيرتعش قلبها وتنظر الى السماء فترى فوق رأسها اشرعة بيضاء تحقق خفوق الفؤاد الولهان من حر نار الهجران

واقبل الليل فنشر فوق الافق خيام الظلام ثم لاح البدر فتجلى في كبد السماء وانار ظلمات الفضاء ولكن نوره كان ضعيفًا لانه كان في المنزلة الاولى من لياليه ثم اختفى عاجلاً وراء الشفق اختفاء البرق بعد وميضه

واعد صاحب السفينة المصابيح وعلقها على حال السفينة موقدة فانارت طريق السفينة تفاديًا من الاصطدام

وكان فيكس ملازمًا للعزلة طالبًا الانفراد معتصمًا بالسكوت علمًا منهُ بأن المستر فوج قليل العلاقات والصلات يأبى قتل الاوقات في قص القصص والحكايات ولو مهما كان موضوعها جليلاً

وكان قد امتعض من اسراع السفينة في المسير لانهُ موافق لرغائب فوج فاجاها ان فقي او سيري الهويا ولم يكن يرتاب في تقاعس رحل الرحلة عن المسير متى بلغ يوكوهاما بل كان واثقًا بمبارحته لها على الفور وتوجهه الى سان فرنسيسكو

فتطأ قدمه ارض امركا فيخلو له الجو فيبصر ويصفر راحلاً بجلل الهاء حاراً مطارف الصفاء وقد طاف ثلاثة ارباع الكرة ليسلعها ناعم البال لا يلقى في طريقه عوناً بخلاف ما لو جاءها عن طريق الولايات المتحدة فتحدق به الانظار ولا يتمكن من الفرار وقد حتم فيكس على نفسه الاّ يفارقهُ اياّن سار والاّ يبتعد عنه مسافة قاب قوسين مخافة أن يتوارى عن العين وقد حمد الله على انفصال خادمه باسارتو عنه وتعالّ بافتراقه عنهُ خيرًا

وقد كان غياب باسارتو لدى سيده والسيدة عائدة باعثًا على القلق والارق فصرفا قسمًا من الليل في التفكر بشأنه وتخمين الحالة التي صار اليها وما سكن جأشهما من قبله الا حين رجح لديهما امكان سفره على الباخرة كارناتيك الى يوكوهاما حيث علا الامل بلقائه

ومـا حلت الساعة العاشرة حتى عصفت الريح فنفخت اشرعة السفينة وزادت مسيرها بما حمل صاحبها على الخوف عليها من عدوات الامواج فاهتم لذلك باتخاذ الطرق والتدابير لوقايتها

وبعد منتصف الليل انطلق المستر فوج والسيدة عائدة الى الغرفة التماس الرقاد وتبعها فيكس للغاية نفسها وبات الربان وملاحوهُ مكتحلين بالسهاد يرعون نجوم الليل ويرقبون هياج البحر واستمروا كذلك الى ان انبلج الصبح وتجلت الغزالة باشعة انوارها الساطعة وكانت السفينة قد اجتازت اكثر من مائة ميل بمعدل سيرها من ثمانية الى تسعة اميال في الساعة (حسب ارشاد الاسلاك المصوبة في البحر للدلالة على القياس) بحيث اذا لبثت الريح تخدم السفينة على هذا المنوال بلغ المستر فوج مرامه وادرك صاحب السفينة مراده ونال الجائزة التي وعد بها

وبعد الظهر سكنت الريح مدة ساعتين ثم ثارت واستأنفت الهبوب من ناحية الجنوب

وكان المستر فوج والسيدة عائدة يأكلان بشاهية عظيمة وما ذلك الا لجودة هواء البحر وبما كانا يتناولان بعض المآكل كالخبز السكري وغيره دعيا فيكس لتناول الطعام معهما واجاب الدعوة شاكرًا ثم تناول شيئًا يسيرًا باطراف بنانه

وامسك عن الاكل لانه كان قد استصعب ان يسافر على نفقة المستر فوج ويتعدى من غدائه ثم يخونه متى تمكن من القبض عليه وبعد الفراغ من تناول الطعام خطر لفيكس ان ينفرد بالمستر فوج فانفرد به وقال له

ـ مولاي . لقد تكرمت عليّ وانا شاكر لفضلك ذاكر لجميل لطفك واما الان فالظروف لا تسمح لي ان اقابل فضلك بمثله فاعذر واسمح لي ان ادفع ما يصيبني من النفقة فاجابه فوج

ـ لا شيء يستحق الذكر لاني دعوتك فقبلت دعوتي واحببت فشكري لك واجب وثنائي عليك ضربة لازب

فمني لسان فيكس عند هذا الجواب بالخرس ثم سار الى مقدم السفينة وصرف نهاره بدون ان ينطق بكلمة

وفي مدى ذلك اليوم تقدم الرئيس جون للمستر فوج دفعات متوالية فكان في كل دفعة يبشره ببلوغ ارب الوصول الى شنغاي في الاجل المضروب

ولا تسل عن خدمة السفينة فانهم كانوا باذلين الجهد في تسيير السفينة باوفر سرعة املاً في الحصول على الجائزة الموعودة وكلما مرّت دقيقة كان يتفقد الحبال ويشدها ويعرض الاشرعة للرياح وعند المساء علم الربان من اسلاك القياس في الماء ان السفينة قطعت منذ مبارحتها لكون كون مسافة مائتين وعشرين ميلاً

وقد تفاءل المستر فوج خيراً من سير السفينة بهذه السرعة وايقن انه يبلغ يوكوهاما بدون تقديم او تأخير برقمه في جريدة رحلته

وفي نحو علس ذلك الليل دخلت السفينة بوغاز فوكيان الذي يفصل جزيرة فورمور عن حدود الصين في منتهى دائرة الانقلاب وكان البحر مزبداً في ذلك البوغاز والامواج تتلاعب بالسفينة فتميل بها ذات اليمين وذات اليسار بحيث لا يستطيع من يكون عليها ان يلبث واقفاً على ظهرها

وعند الصباح سكنت الريح فتبين الرئيس تغييراً في الهواء وتبديلاً في الجو فعمد في الحال الى ميزان الوقت ليستعلم منه عن العوارض الجوية فوجد في حركته اليومية غير الدقة الاعتيادية اذ رأى فيه

ارتجاجاً عظيماً في الزئبق فحوّل عنه النظر الى البحر فرأى على ظهره هياجاً وفي قلبه اضطراباً بادياً من الجهة الجنوبية الشرقيه ورأى اشتداداً في الامواج وتجمعاً استدل منها على قرب هبوب عاصفة شديدة فان الشمس بالامس كانت قد غربت وراء سحابة حمراء في وسط لمعان فوسفوريك الاوقيانوس

—فساء الرئيس تبدل الهواء وانقلاب الريح على سفينته شر انقلاب فصرف باسانه وقذف من فمها الفاظا سمعته الآذان وما وعته الاذهان ثم تقدم الى المستر فوج وقال له

ـ مولاي لقد انقلبت الريح علينا واخذت تعاكسنا في المسير وامامنا على ظهر البحر زوبعة شديدة

فقال فوج

ـ ومن اين مصدرها . امن الشمال ام من الجنوب

ـ فاجاب الربان

ـ من الشمال وقد رأيتها تتجمع كجيش يستأنف القتال بعد طول النزال

فاجابه فوج

ـ اهلاً بالزوبعة الشمالية فانها تدفعنا الى الامام

فقال الرئيس

ـ اذا كنت ترحب بالريح المعاكسة لنا فما عليّ سوى ان اتأهل بها على الرحب والسعة

قال المؤلف ـ اما الزوابع في بداية هذا الفصل من العام فتمر فوق البحار باسرع من لمح البصر وتنحدر الى العمق انحدار الاشعة الكهربائية الى الارض او انحدار الشهب وانقذافها وقد يخشى من شدة هبوبها في فصل تعادل الليل والنهار فانها تكون اشد وطأةً فيه من اشتدادها في غير أوقات

ودفعاً لوثبات الريح عن السفينة وخوفاً من ان ترجها العاصفة في أعماق اليم طوى الرئيس قلوعها ما خلا قلع واحد صغير مثلث الشكل ابقاه منشوراً حفظاً للسفينة من التأخر الى الوراء ثم خفض الصواري وجعل لوحاً فوقها كغطاء لها لئلا تنفذ اليها المياه وجملة القول انه لم يدع وسيلة الا استخدمها في سبيل وقايتها وقد حظر على المسافرين الخروج

من غرفتهم لئلا يروعهم منظر الروبعة الهائل وبما ان الغرفة كانت ضيقة الجوانب وقليلة الهواء ابي المسافرون ان يمتثلوا لاشارة الربان فلبثوا جالسين على ظهر السفينة

وعند الساعة الثامنة اشرأبت اعناقهم الى السماء فرأوا الجو مظلمًا والغيوم سوداء والغيث يهمي وابلاً متدفقًا كافواه القرب وقد هبت العاصفة وجلجلت الرعود القاصفة ولمعت سيوف البرق على صفحات الافق فطارت السفينة بغير جناح من شدة الرياح وارتفعت في الفضاء ارتفاع الريشة في مهب الريح واذا قلنا انها كانت سائرة باسرع من سير سفينة بخارية باربعة اضعاف نكون قد بخسناها حقها

وقد لبثت طول النهار سائرة نحو الجنوب ومن شدة تضييق العاصفة عليها اوشكت على الغرق بيفًا وعشرين مرةً ولولا حذق رئيسها وادارته للدفة بمزيد الدربة والانتباه لغرقت وراح فوج وعائلة وفيكس فريسة الاسماك

وكانت الميـاه ترتفع فوق السفينة جبالاً شامخة حتى انخلع من هولها قلب فيكس خوفًا وارتعدت فرائصه رعبة وجزعًا اما عائدة فكانت تحاول اخفاء خوفها وتظهر البسالة والثبات وترمي المستر فوج بلحظ الانتقاد فلا ترى منهُ غير الرصانة وقلة الاكتراث بهياج البحر كأنه لم يكن لديه امرًا ذا بال

وما برحت السفينة سائرة مع طيار العاصفة والرعد يهدم والمطر يهمع والبرق يلمع حتى اشرفت في صباح ١١ الشهر على بقعة من الارضين تبعد عن مدينة شنغاي مائة ميل بعد ان اشرفت على الغرق مرارًا

وما بقي على السفينة بعد وصولهـا الى تلك البقعة الاَّ ان تقطع المسافة الباقية في مدة ذلك اليوم فنشر الرئيس الاشرعة ورفع الصواري وشد الحبال واطلق للسفينة العنان فسارت كما تشاء الريح لا كما يجب حتى صارت عند الظهر على بعد اربعين ميلاً من شنغاي وهي مسافة تستطيع ان تجتازها في ست ساعات من الزمان

على ان هذه المدة كانت بمثابة ايام واعوام لدى الرئيس ونوتية السفينة وقد

تمول ان يقطعوها سفينتهم طبرًا لو استطاعوا وذلك خوفًا من تاخر وصولهم الى المدينة عن الاجل المضروب فيضيعوا جائزة المايني حينه التي وعدوا بها والحق يقال انهم ما تركوا وسيلة اثناء السفر الا عمدوا الى استخدامها تسييرًا للسفينة بالسرعة المطلوبة حتى اذا لم يدركوا الرغائب يكون ذلك من نكد الطالع وليس في الامر من توان واهمال

وبعد الساعة السادسة صارت السفينة على بعد عشرة اميال من ميناء المدينة وحلت الساعة السابعة وهي على بعد ثلثة اميال فحينئذٍ فقد الربان الصبر والجلد وتولاه اليأس والقنوط فقطع الرجاء من بلوغ المراد وقد نظر الى السماء فرأى وجهها قد غشيه دخان حالك السواد ففغر فاه وقذف منه الشتائم والتجاديف وسأله المستر فوج عن سبب كدره وغيظه فاجابه ان البريد اقلع الان من شنغاي فانظر الى دخان السفينة فقال له فوج ارفعوا الاشارات وراية الاستغاثة والضيق فلعلها ترى ذلك فتقف لاستطلاع الخبر ففعل الربان ما اوعز اليه فوج بفعله ولكنه لم يأت بعائدة واخيرًا اطلق مدفعًا كان في مقدم السفينة فراح دويه مع الهواء بدون ان يترتب عليه نفع ما

الفصل الثاني والعشرون

كيف ان باسبارتو احس بضرورة الدينار في تلك الديار

في الساعة السادسة ونصف من مساء سابع نوفمبر غادرت الباخرة كارناتيك مياه كون كون وسارت على اجنحة البخار تشق قلب البحار قاصدة جهات اليابان وفيها كمية وافرة من الارزاق وعليها عدد عديد من الركاب ضاقت دونه غرفها وفسحاتها ما عدا حجرتين كانتا برسم فيلاس فوج والسيدة عائدة

وبعد الصباح خرج باسبارتو من غرفته الكائنة في الدرجة الثانية وخرق صفوف الجموع حتى وصل الى مقعد جلس عليه وكانت قدماه ترتجفان وعيناه زائغتين ورأسه مستلقيًا الى الوراء فاندهش الركاب من حالته وشدة كربته واخذت بعضهم الشفقة عليه ومنهم من سخروا به وضحكوا منه

واني الزم لك ايها القارئ جانب الايجاز في الكلام واتلو عليك ما وقع لباسارتو حتى انهُ بات على تلك الحالة

مرّ بنا الكلام ان اللصاص فيكس بعد ان حمل باسارتو على الاكثار من شرب الخمرة حتى كاد يغيب عن الحواس ناولهُ غليونًا من الافيون فتعاطاه الى ان اندس في رأسه سم مفعوله القتال فخر على الارض صريعًا فاقد الرشد والادراك

ومضى عليهِ ثلاث ساعات طوال وهو على هذه الحال من الاعياء ثم افاق قليلاً فرأى نفسه على سرير من العاج بين اقوام لم يبقِ الافيون فيهم ولم يذر مجل من حالته وتذكر الباخرة كارناتيك فنهض من مكانه وحاول المسير وما زال بين نهوض وسقوط وقيام وقعود حتى خرج الى ما خارج الحانة فصرخ ((كارناتيك)) ((كارناتيك))

قال المؤلف وكانت السفينة راسية على مقربةٍ من الحانة التي كان باسارتو واقفًا امامها وكانت اذ ذاك على اهبة السفر فنشط باسارتو للذهاب اليها ولا نعلم باي طريقة بلغها فانطرح على ظهرها اذ انهُ كان لا يستطيع نقل قدميه ولا يعي شيئًا

ولما رآه عمال السفينة على تلك الحالة احتملوه الى غرفته الكائنة في الدرجة الثانية فرقد فيها ولم يستيقظ من رقاده الا في الغد اي بعد ان ابعدت السفينة عن كون كون مسافة مائة وخمسين ميلاً

هذا ما مرّ على باسبارتو الى الصباح الذي خرج فيه من غرفته كما تقدم القول الى ظهر السفينة وجلس على متكاء وطفق يتذكر ما حدث بينهُ وبين فيكس في تلك الحانة ويخاطب نفسهُ قائلاً

— ما اقبح السكر وما اوخم عواقبه فانهُ يضر بصحة الابدان ويحط من شأن كل انسان ويلحق بمرتكبه العار والشنار والهوان والاحتقار فوا خجلاه من مولاي فماذا عساه ان يقول ولكن ((لا تكرهوا شيئًا لعله خير لكم)) فهذه المقولة استخدم نفعها مدى العمر واما فيكس الذي حاول ان يعرقني عن مولاي بما فعله معي من الامور المنكرة فقد رد الله كيده في نحره وسهل لي سبيل الحضور الى ظهر الباخرة قبل سفرها وانقذني من شر ذاك

اللعين فيكس الذي لا اشك في كونه
اتى الى الباخرة لكونه صار بما رأيته منه
في حالة لايجسر بها ان يريني وجهه
المقوت ولكن هل من الصواب ان اعلم
مولاي بما وقع لي معه اوبما كان في نيته
ان يجريه اضرارًا بهِ فكيف هويقتفي اثرنا
وماية حجة فلا لا . فلربما اكدر منه الخاطر
وازعج منه البال فالاوفق والافضل ان
اطلعه على هذا جميعه متى وصلنا بالسلامة
الى لوندره فانه لاشك يضحك من جراء
ذلك حتى يستلقي على قفاه واما الان
فمن الواجب ان امثل بين يديهِ واعتذر
له عن سوء سلوكي واقول له اني تبت
الى الله فان الله تواب كريم

ثم قام لساعته وانطلق الى حجرة مولاه
في موءخر الباخرة وهوفي حالة لا توصف
من الجزع والاستحياء لا يعرفها الا من
يعانيها او يقع في مثلها ولما وصل اليها لم
يتجرأ ان يقرعها بل وقف شاخصًا الى
بابها ينتظر انتظار المتهم لقضاء الحاكم .
واستمر كذلك وقتًا طويلاً الى ان اندفع
الى الباب فقرعهُ فلم يجبه احد من داخله
فظن ان مولاه علم انهُ هو قارع الباب
فلم يفتحه لغيظه منه وسخطه عليه فاوشك
ان يقع على الارض غائبًا عن الصواب
ولكنهُ تجلد فسكن جاشه وكرر قرع
الباب ثم فتحه فلم يجد مولاه من داخله
فخطر له انه ربما يكون قد لقي اناسًا على
شاكلتهِ مغرمين بلعب الويست فراح
يقتل الاوقات معهم بهذا اللهو وظن ايضًا
انهُ ربما كانت السيدة عائدة لم تفق من
نومها حتى الساعة فانطلق الى قاعة السفينة
الكبرى فلم يرَ مولاه فيها فقصد فرّاش
الباخرة يسأله عن مولاه فاجابه انهُ لا يعرفه
فقال له ان مولاي طويل القامة اشقر
اللحية قليل العلاقات بالغير تصحبه فتاة
حسناء وهو يعرف باسم المستر فوج فاجابه
الفرّاش لم اعرف هذا الاسم بين الركاب
كما انهُ لا يوجد عندنا رجل تصحبه فتاة
حسناء او شمطاء وهاك دفتر اسماء المسافرين
فانظر فيه ما اذا كان لمولاك اسم بين
ركاب السفينة

فتناول باسبارتو الدفتر بيديه واخذ
يقرأه ويكرر قراءته فلم يعثر على اسم مولاه
فيهِ فتوهم ان السفينة ربما لم تكن نفس
السفينة المعروفة باسم كارناتيك المسافرة

الى يوكوهاما فسأل الفرّاش بقوله

ـ ما اسم السفينة

ـ كارناتيك

ـ والى اين ذاهبة

ـ الى يوكوهاما

فلما تحقق باسارتو عدم وجود مولاه في السفينة اطرق في الارض وتذكر ان كارناتيك اقلعت قبل الميعاد الذي تحدد لسفرها وان ليس لمولاه علم بذلك فلام نفسه حتى سقط على الارض مغشياً عليه

وبعد مدة افاق من غشيانه وطفق يندب سوء حظه وينتف شعور رأسه ندماً على ما جناه على نفسه ويلطم خديه ويرفس برجليه ويتوعد فيكس بالموت الزؤام اذا وقع بين يديه ولعمري ان اقلام افصح الكتاب لتعجز عن شرح حالة باسارتو وما استحوذ عليه من الغم عند ما علم بعظم خطائه وما سيلحق بمولاه من الخسارة بسببه وبعد ان قضى حيناً من الزمان مستسلماً للحزن مستهدفاً للكروب عاد الى الصواب وتأمل الحالة التي وصل اليها ولم يكن يحسد عليها احد يبكي بكاء مرّاً ويرسل الدمع من عينيه سيلاً عرمرماً على سوء مسيره وشوءم مصيره فانهُ كان سائرًا الى اليابان صفر اليدين لا يملك درهما ولا يعرف فيها احدًا من الناس

وفي غلس الثالث عشر من الشهر السابق الذكر دخلت السفينة (كارناتيك) مينا يوكوهاما المعدودة من مين الباسيفيك والمعروفة مرسىً لجميع الوابورات القائمة بخدمة البرد بين امركا الشمالية والصين واليابان وجزائر ماليزيا اما موقعها ففي جون يادرّو وهي اعظم مدائن مملكة اليابان وقد كانت كرسي الملك على عهد الملك كايكون قريبة من المدينة الشهيرة مياكو التي يقطنها الملك الروحاني ميكادو الذي يعتقد به اليابانيون منزلاً من السماء

ورست ((كارناتيك)) بالقرب من رصيف يوكوهاما وقبالة الجمرك ومخازنه وفي وسط سفن كثيرة تخفق فوقها اعلام جميع الدول

وبعد رسوها خرج باسارتو الى البر واندفع هائماً في مسالك المدينة هيام عين الناظر باندهش المناظر وسار في طرق لا يعرفها لغاية لا يدركها حائر الفكر

شارد العقل مسلوب اللب محطوف الصواب يظن نفسه في منام وما يسمعهٔ اضغاث احلام وبعد ان طاف الشوارع ومرّت على انظاره مشاهد مدهشة اخذ يتنقل في حارات المدينة مستسلمًا للتقادير واستمر كذلك حتى ساقته التقادير الى الحارة اليابانية المعروفة عند سكان يوكوهاما بحارة نتين (الاهة البحار التي يعبدها اهل الجزائر المجاورة) فطاف حواليها حتى مرَّ تحت دهاليز كثيرة قائمة من خشب الصنوبر والارز ووصل الى ما امام هياكل عظيمة ذات ابواب مزخرفة بانقاش بديع بأخذ بمجامع الابصار فرأى في بعض زواياهــا قومًا من كهنة البوديين التابعين لديانة كونفشيوس اما الهياكل فتفياء ظلال اشجار من الارز قديمة العهد فوقف باسارتو فترة من الزمان ينظر الى الهياكل والاشجار ثم سار في طريق طويلة يكاد ان لا يكون لها حد فرأى فيها زمرًا وجماعات من صبيان ورجال قصيري القامة محمري الوجوه مورّدي الوجنتين يمشون في تلك الطريق مرحًا بين كلاب قصار الساقين طوال الشعور مقطوعي الاذناب بألعون المارّة

وكانت تلك الطريق موءدة الى المدينة يطرقها المارّة ذهابًا وايابًا من غير انقطاع وقد رأى فيها باسارتو حفلات زفاف وكهنة يضربون الطبول وجنودًا من حرس الجمارك بقبع مرصعة تصمغ اللك يتقلد كل منهم سيفين ورأى فيها ايضًا جنودا لابسين اردية زرقاء من المنسوجات القطنية عليها شريط ابيض ومتقلدين البنادق ورجالاً آتين من مدينة ميكادو مدججين بالسلاح وعلى روءوسهم دروع حديدية ورأى جنودًا من جميع الصفوف والدرجات العسكرية لان وظيفة الجندي عند اليابانيين وظيفة شريفة يتداعى اليها الناس بخلاف الصينيين فانهم يحتقرونها احتقارًا شديدًا) ورأى رهبانًا يجمعون الاحسان وغرباء باردية طويلة ومدنيين بشعر مصقول حالك كالليل ورؤوس ضخمة مستديرة وقدود رشيقة نحيلة واجساد رقيقة ووجوه بلون النحاس ليس فيها احمرار بخلاف وجوه الصينيين

ولمح باسارتو في تلك الطريق عربات ومركبات وهوادج وخيولاً وحمالين

وسوة يتنعلنَ احذية مصوعة من القش وقباقيب حشبية وعليهنَّ اردية من الحرير الاصفر نشريط من الحرير ايضاً ويشدون وسطهنَّ نشرائط مسترخية الى الوراء بأ ىن عير محبوكة (وقد اتحذت السساء الناريريات هدا الزي عن السساء اليابانيات)

وقصى باسبارتو رماناً في احتراق صفوف اولئك الجموع ويرمي كلاً منهم سظره حتى وصل الى شارع يدهش منظره الانصار ويسحر الالباب بما في دكاكينه ومحارنه من اللؤلو والمرجان والماس وعير دلك من الحجارة الكريمة واصاف الحلى والجوهرات وكان بالقرب من هده الدكاكين حانات وقهاو للشاي والدخان الجيد ولا اثر فيها للافيون

وما تقدم باسارتو طائفاً بين هده الحوانيت والحانات حتى بلغ منتهى الشارع واشرف على حقل كساه الربيع حللاً حضراء وشبت فيه يافعات الاشجار المكللة بالازهار اليانعة الاثمار كالكرز والجوح والتفاح التي يتفاحر الوطنيون بازهارها لا بثمارها التي لا يذوقونها وهم شديدو الحرص على ازهار هذه الاشجار يقيمون عليها حفراء من تماثيل حشبية يصسونها

وبيما كان باسارتو جائلاً في وسط الحقل اد عثر بين اعشابه على نباتٍ من البنفسج فقال في ذاته . ويرزقكم من حيث لا تعلمون . ان هذا النبات يصلح اليوم لان يكون غداء لي ولما ان اشتمَّ رائحته ولم يجد فيه رائحة البنفسج قال اعود بالله من افول نحم السعد

وكان باسارتو قد تناول الطعام في صباح دلك اليوم على مائدة الباخرة كارناتيك نشراهةٍ فائقة الحد علماً منهُ بانهُ سيقضي النهار بدون اكل ولكنَّ معدته لم تلبث ان هضمت كل ما كان قد اكلهُ نطوافه المستمر في شوارع المدينة وطرقها

وعندما كان يجول في الاسواق كان يدقق النطر فيما ادا كان في الدكاكين لحوم ضأنٍ او معز او حنازير فلم يجد شيئاً من دلك لان اللحم نادر الوجود في اليابان وقد حظر فيها نحر الثيران اعتقاد انها خلقت لحراثة الارض فكان اهلها لدلك يتغذون بلحوم حيتان البحار وطيور الغاب ووحوش القفار

وعند المساء عاد باسارتو الى المدينة شارداً في طرقاتها المزينة بالمصابيح والانوار معرجاً على مضارب العاب الصراع وابدية المحمين الغاصة بالمتفرجين واستمر كذلك الى ان بلغ شاطئ البحر فرأى هناك عدداً من الصيادين يطرحون شباكهم في قعر البحر لصيد الاسماك ويستضيئون بانوار موقدة من خشب الصنوبر

وعند الهجيع الاخير من الليل تفرقت الجموع وخلت المدينة من الضوضاء وانتشر الحرس العسكري (عسس الليل) في ارباضها يحافظ على الاعناق والارزاق

الفصل الثالث والعشرون

عسى الكرب الذي امسيت فيه
يكون وراءه فرج قريب

وقضى باسارتو ليلته متقلباً على جمر كدرٍ احر من جمر الغضا ويقاسي الم الجوع وعلقم الظماء حتى زهقت منه النفس وكادت تبلغ التراقي فقال في ذاته يا ليتني كنت تراباً وما اشرقت شمس النهار حتى نهض من مضجعهِ وجلس يفكر فيما يسد بهِ جوعه فخطر له ان يبيع ساعة جيبه تخلصاً من خطر الموت جوعاً ولكن شق عليهِ الامر واستصعب عليه النجاة ببيع الساعة ثم اخذ يحدث نفسه فقال

وهوّن عليك فان الامو
رَ بكف الله مقاديرها

وبعد ذلك عزم ان يسعى في طلب الرزق بممارسة مهنته القديمة وهي انشاد الاغاني على قارعة الطرق فيطرب برخيم صوته ويشنف الاذان بشجي انغامه وما ينتج له القدر من الكسب يبذله في سبيل سد عوزه ولكنه رأى ان ملابسه تضر بمصلحته اذا ظهر بمظهره الحديد بتلاوة الاناشيد في اندية اليابان الذين يميلون كل الميل الى سماع الالحان ويقبلون عليها اقبال الظماء على موارد الماء فعمد لذلك الى تغيير ثوبه بثوب ادنى قيمةً واقل رونقاً وبعد مزيد التأمل لقي تاجرا يتجر بجميع الاصناف فعرض عليه ثوبه بغية استبداله فقبله منه بطيب الخاطر واعطاه ثوباً على الزي الياباني وكان رثاً قذراً ودفع اليه فرق الثمن عدداً قليلاً من الدنانير فاخذ باسارتو الثوب والدنانير وانطلق على الفور

في طلب الطعام فدخل حانوتاً واكل فيه من لحوم الطيور والارز ما اشبعهُ ثم شرب حتى ارتوى فعاد بعد ذلك الى التأمل في مستقبلهِ فقال في ذاته — اما الان وقد شبعت وارتويت فلا يليق بي ان اطوف في ارض مملكة ابن السماء طوفان الهائم حول الماء بل الاجدر بي ان ابارح هذه الديار خوفاً من الويل والدمار ومتى اجتزت مسافة اربعة الاف وسبعمائة ميل على ظهر البحار ووصلت الى سان فرنسيسكو يفرجها عليَّ خالق الليل ومبدع النهار وللحال نهض وسار الى جهة البحر مستعلماً عن البواخر المسافرة الى امركا حتى اذا عثر على واحدةٍ منها عرَّض نفسه الى ربانها لعلهُ يقبلهُ فيها بصفة خادم او طباخ يشتغل بدون اجرة حتى يبلغ سان فرنسيسكو ولكن ما لبث ان خطأه هذا التصور محتجاً عليه بقوله — اية سفينة مستعدة للاسفار تحتاج خداماً وعمالاً وان فرضنا المحال واحتاجت سفينة ما الى خادم فهل يتقيد بخدمتها كل من يعرض نفسهُ عليها بدون كتاب توصية او شهادة تدل على سابق خدمته وحسن استقامته

وبينما كان سائراً في طريقه تتجاذبهُ عوامل الافكار اذا به رأى رجلاً قروياً يطوف باعلانٍ انكليزي العبارة وهذه ترجمتهُ

الجوق الياباني

رئاسة ويليام باتولكار

الليالي الاخيرة من التشخيص

قبل مُبارحة الجوق تغر يوكاهاما الى الولايات المتحدة الامركانية

رواية الانوف الطويلة الانوف الطويلة باستدعاء الاله طيحو

ويتلو التشخص مناظر تدهش العقول وتسر الخواطر

فتبع باسارتو ذاك القروي وسار وراءهُ طائفاً اعظم شوارع المدينة حتى ادت بالاثنين خاتمة المطاف الى دارٍ فسيحة الجوانب تخفق حولها الرايات الوانًا وعلى جدرانها الداخلية نقوش ورسوم

وصور بعض المشعوذين مرسومة بلون بنفسجي وكانت تلك الديار مسكنًا لباتولكار مدير حوق المشعوذين والقروبين والعاب تمرين الابدان «جمناستيك» وولج باسارتو باب الرواق الخارجي من الدار والتمس مقابلة المستر باتولكار فحضر اليهِ وسألهُ عما يبتغيه فاجابهُ باسارتو بتذللٍ وقلبٍ مكسر

ــ ألست محتاجًا الى خادم امين يرضى لرضاك ويغضب لغضبك يصافي احبابك ويعادي اعداءك

فقال لهُ باتولكار

ــ لديَّ خادمان قائمان بفروض خدمتي حق قيام ولا يكلفانني غير الطعام وهما

قال هذا واراهُ ذراعيه القويين النافرة منها العروق كالحبال فقال لهُ باسارتو

ــ اود من صميم الفواد ان اسافر معك

ــ من اي جنسية انت

ــ من الجنسية الفرنسوية

ــ ولماذا انت متزيٍ بالزي الياباني

ــ بذا قضت الايام

ــ أأنت باريزي

ــ نعم

ــ هل تعرف ان تعوّج وجهك وتكشر انيابك

ــ نحن معشر الفرنسويين ما اختلفنا فيما تقول عن الامركان

ــ يمكنني ان استخدمك عندي بوظيفة (مُضحك) فهل لك بضروب الغناء المام

ــ في غاية ما يرام

ــ فانت منذ الان في خدمتي

فبعد ذلك دخل باسبارتو الى دار المستر باتولكار واندرج في سلك المشخصين يتأمل مناظرهم ويضحك من ملابسهم

وقد كان موعد التشخيص في دار باتولكار في الساعة الثالثة من النهار وقبل حلول الاجل بزمن قليل تقاطرت الجموع من الاوربين والصينيين واليابانيين من رجال ونساء واطفال يشاهدون غرائب التشخيص وبدائع التمثيل واتقان ضروب الالحان ويشفون الاذان باستماع عزف الات الطرب واصوات الصنوج والطبول

وما حلت الساعة الثالثة المذكورة حتى ضاقت فسحات الدار المعلومة على سعتها بمن وفد عليها من المتفرجين تخطر في وسطهم ربات الجمال

كالورد خداً والهلال تباعداً
والظبي جيداً والقضيب تأودا

ويتمايلن تمايل الاغصان فشخصت اليهن الاحداق وتطاولت الى مقاماتهن الاعناق فارسلن اسهم مقلهن الى قلوب العشاق وقد كان

بين السيوف المرهفات ولحظها
عهدٌ على سفك الدماء وموثقُ

ويحق للقلوب ان تهوى تلك الحسان وقد فقنَ الحور نحوراً والخيزران خصوراً وخطرنَ اعصاناً ولحن بدوراً ومسنَ تيهاً وعجباً واكتحلنَ فتوراً وملنَ فارحينَ على الخصور شعوراً ثم تواريَنَ عن العيان بعد هذا الدلال فدخلنَ الى قاعة خصصت لذوات الخدور فرافقتهن قلوب اهل الغرام

وبعد ان اكتمل الجمع استوى عازفو الالات على كراسيهم فشدوا الاوتار ونفخوا بالمزمار وضربوا الطبول وقرعوا الصنوج ثم رفعت الستارة وشرع في تمثيل الدور الاول من رواية الانوف الطويلة وهي رواية تأخذ بمجامع العقول

وبرز المشخصون الى وسط المرسح فسحروا الالباب برشيق الحركات وحسن الالقاء وادهشوا الانظار بتنويع المشاهد واختلاف المناظر فانهم ظهروا بملابس الابطال في ساحات القتال ثم تبدوا باسلحةٍ عريضة مسترسلة الى الاكتاف وانوفٍ من الخيزران طولها من خمس الى عشر اقدام بعضها معوج وبعضها مستقيم وظهر اثنا عشر شخصاً يمشون تحت الاسلحة ولا يرى منهم سوى انوفهم وقومٌ يدنون منها ويضربون عليها بقوة وعزم ثم يجتمع جمهور المشخصين ويدورون في وسط المرسح فيرقصون ويعقدون وينهضون آتين بضروب الهزل في معرض الجد بما سرّت به الخواطر وقرت به النواظر

وفي الدور الثاني اندمج باسبارتو في سلك اللاعبين فارتدى بملابسهم وعندما شرعوا في الالعاب استلقى فريق منهم على الظهور ورفعوا انوفهم نحو السماء ثم جاءت فرقة من المتوازنين (أيكيلبريست)

فوقفت على ذيول طويلة وانت فرقة اخرى فوقفت على اكتافهم وتلاها فرقة رابعة ثم قام على انوفهم الطويلة ضريح اتصل بافريز المرسح

فسر الحضور بهذه المناظر وكثر تصفيقهم وضجيجهم وعزفت الموسيقى باصوات ضارعت هزيم الرعد ثم صدحت بانغام كانغام الاطيار حتى اسكر العارفون حضور الرواية بخمرة الانشراح وبينما كانت هذه الحالة جاريةً على اتم مرام والعيون ترصد اللاعبين اذ بهولاء فقدوا التوازن فسقطوا على الارض وسقط الضريح وكان مرجع الذنب عائد على باسبارتو فانهُ ترك مكانه واخترق صفوف المتفرجين ثم اقترب من احدهم صارخًا

ــ مولاي مولاي

فاجابهُ من بين الحضور صوتٌ قائل

ــ الحقني الى الباخرة

وكان الصوت صوت فيلاس فوج وبجانبه الفتاة عائدة فلما اوعز فيلاس الى باسبارتو بان يلحق بهِ خرج فوج وعائدة من المرسح وتبعهما باسبارتو وبعد ان تجاوزوا الدار لحق بهم المستر بوتولكار رئيس الجوق طالبًا تعويض الاضرار فطيب المستر فوج خاطره واعطاه كمية من سبائك السوكة

الفصل الرابع والعشرون

في اجتياز الاوقيانوس الباسيفيكي

بعد ان نكست السفينة تانكادير اعلامها ــ على ما مرّ بيانه ــ واطلقت مدافعها التماس المعونة والمدد من باخرة البريد المقلعة الى يوكوهاما توالت بعض الساعات على حالة هذه السفينة وهي في انتظار الاسعاف ثم اقتربت الباخرة منها فاخذت ركابها وعادت الى طريقها سائرة الى يوكوهاما فوصلت اليها في ١٤ نوفمبر وما رست في مياهها حتى خرج المستر فوج منها وانطلق مصحوبًا بالفتاة عائدة الى السفينــة (كارناتيك) يستطلعان خبر باسبارتو فعلما بملء المسرة ان باسبارتو كان فيها وانهُ خرج منها ساعة وصولها الى المينا

فبعد ان علم المستر فوج بخروج خادمه الى مدينة يوكوهاما خرج الى البر تصحبه الفتاة وسارا سوية في شوارع

البلد باحثين عن مقر الخادم فاستعلما عنه من قنصليتي فرنسا وانكلترة ولما لم يقفا لهُ على خبر ومضى على بحثهما وقت طويل عاد الى الباخرة المسافرة الى سان فرنسيسكو وفي اثناء عودتهما عرَّجا على مرسح ماتولكار ليشاهدا فيه الالعاب فعثرا باسبارتو اذ رأياه يلعب على نحو ما تقدم لنا الكلام عليه فخرجا به كما اوضحنا وتوجه الجميع الى الميناء وفي اثناء الطريق قص باسبارتو على سيده ما وقع لهُ ولكن بدون ان يذكر اللصاص فيكس وبعد استيفاء حديثه دفع اليه مولاه قدرًا كافيًا من النقود ليبتاع لنفسه ثيابًا فاخذها بعد ان خلع عنهُ انفهُ الطويل وجناحيه العريضين

وكانت الباخرة الذاهبة من يوكاهاما الى سان فرنسيسكو من اتقن بواخر شركة البريد الباسيفيكي واسرعها سيرًا وهي تعرف باسم (الجنرال غرانت) وهي من ذوات العجلات تحمل الفين وخمسمائة طنًا وتسير اثني عشر ميلاً في الساعة ولها ثلاثة اصوارٍ تامة اقمشة القلوع

وكان فوق سطحها رفاس حديدي يرتفع تارةً ويحط اخرى وعلى احد جانبيها يتحرك ذراع (السلندر) وعلى الثاني يدور رأس (الكرنك) فيأتي بدل الحركة المستقيمة بحركة مربعة يصلها بعمود العجلات. وبالنظر الى ما كانت السفينة عليه من سرعة المسير عدَّل المستر فوج انهُ يصل الى سان فرنسيسكو في ثاني ديسمبر والى نيويورك في ١١ منهُ والى لوندرة في ٢٠ بدل ٢١

ثم اقلعت السفينة من مرفاء يوكوهاما غاصة بالركاب من انكليز وامركان وضباط عسكريين من جيش الهند يقضون مدة اجازتهم السنوية في الطواف حول الارض وفي هذه الرحلة كانت السيدة عائدة تهتم بشأن المستر فوج اهتمامًا خارق العادة وتنزعج من الموانع التي تحول دون اربه في رحلته وتنظر اليه نظرة المحب لا نظرة الصديق وتتفرس وجههُ فترى فيه جمالاً فائق الوصف يقيد قلبها بقيود الغرام فتطرق هيبةً واستحياء

اراكَ فاستحيي فاطرق هيبةً
واخفي الذي لي من هواك واكتمُ

وهيهات ان يخفى وانت جعلتني
حميعي لسانًا في الهوى يتكلمُ
وقد كانت مشغلة بما كان يمر برأسها من التصورات وبخاطرها من عواطف الحب والهيام فتنقاد لانفعالات النفس لان المستر فوج كان قد تملك فوادها بجزيل احسانه ووافر جميله وكانت هي ايضًا والحق يقال تأخذ بالالباب وتعظم في العيون فانها مليحة الشباب كاملة المحاسن بهية الرواء رشيقة الحركة بلا تصنع وكان المستر فوج كلما نظر اليها يتهلل سرورًا وكانت كلما كلمتهُ ابدت له ابتسامةً لها في تغور الحسان معانٍ لا يفهمها الا المحبون

دلائل الحب لا تخفى على احدٍ
كحامل المسك لا يخلو من العبق

وبعد مبارحة يوكوهاما بتسعة ايام كان المستر فوج قد بلغ من طوافه حول الارض نصف الكرة الارضية لان الباخرة (الجنرال غرانت) كانت في ٢٣ نوفمبر داخلة في النقطة المائة والرابعة والعشرين من دائرة نصف الكرة الشمالية المقابلة للوندرة وهنا سبيل للقول انه اذا كان قد مضى على طواف المستر فوج منذ قيامه من لوندرة حتى الان اثنان وخمسون يومًا ولم يقطع سوى نصف المسافة فكيف به يقطع النصف الباقي في مدة الثمانية والعشرين يومًا الباقية له من مدة الرهان

اقول نعم ان المستر فوج ما بلغ حتى الان سوى نصف الطريق ولكن اذا وجهنا النظر الى المسافة جميعها نراه قد اجتاز اكثر من ثلثي الرحلة لانهُ يوجد مسافة طويلة بين لوندرة وعدن وكلكوتا وسنغابور ويوكاهاما واما الان فالطريق مستقيمة ليس فيها عقبات ولا مصاعب تحول دون المراد

وحدث انهُ في الثالث والعشرين من شهر نوفمبر افتقد باسبارتو ساعتهُ للاستدلال منها على الوقت فرآها مطابقة على ساعة السفينة فطرب وفرح وسرّ وابتهج كأنهُ ملك سعادة عظمى وقال باعلى صوتهِ اين فيكس وماذا يقول الان لقد حصحص الحق وظهر لكل ذي عينين وافتضح كذبه ونفاقه لحاه الله وخزاه فكم حاول اقناعي بما تعبث بهِ من ضروب

الكلام اذ قال لي ان ساعتي تتقدم كثيرًا وانه يلزم تطبيقها على ساعة كل جهة نلغاها فليأتِ وليظر الان فان الله يحق الحق ويرهق الباطل ان الباطل كان رهوقًا

اما ناسارتو فكان هذه المرة في ضلالٍ مبين تائهًا في معاور جهله الفاضح فان عقرب ساعة السفينة كان دالاً على الساعة التاسعة من الصباح وعقرب ساعة ناسارتو كان دالاً على الساعة التاسعة من المساء ولو كان لساعة ناسبارتو ميبا رقم عليها ٢٤ ساعة لكان ميز الغث من السمين

اما فيكس فما وصل الى يوكوهاما حتى انطلق الى دار القنصلية الانكليزية فاستلم منهـا امرًا واردًا اليه من لوندرة بالقبض على لص السلك المستر فيلاس فوج فلما اطلع على الامر ونظر الى تاريخ صدوره وعلم انهُ قد مضى عليه نيف واربعون يومًا وان معموله لذلك بات باطلاً بالنظر الى طول المدة التي مرت عليه وبالنظر الى كون المستر فوج يدوس الان ارضًا غير انكليزية لا تسلم شرائعها سجين احد قبل محاكمته وصدور القرار القضائي عليهِ فتميز حينئذٍ من الغيظ وصرف وقتًا طويلاً في الاستسلام الى الغضب واستمر كذلك الى ان افاق من غفلة غيظه وقال قد سبق السيف العذل فباطلاً اقتل الاوقات في الكدر وسوف اشفي حرارات صدري من فيلاس عندما يصل الى انكلترة ولو وصلها خاوي الوفاض لا احد معهُ من السفاتج التي اختلسها شيئًا فانه قد انفقها في الاسفار والدعاوي والهبة ومشترى الافيال وغير ذلك شأن من يسرف مال غيره ولكن فلا بأس فمال السلك غزير

وعاد فيكس الى الباخرة (الجنرال غرانت) قبل عودة المستر فوج فصعد على سطحها يتأمل امواج البحر مبددًا جيوش الافكار التي طرأت على رأسه في ذلك النهار ثم رمى الزوارق القادمة الى الباخرة بالركاب فرأى في احدها المستر فوج والسيدة عائدة والشاب ناسارتو فساءه لقاء ناسارتو ونهض على الفور فانطلق الى غرفته ليتوارى عن عينيه وفي ذات يوم حدث ان ناسارتو

كان سائرًا على سطح السفينة فالتقى بفيكس وجهًا بازاء وجه فكرّ عليه كرّ الابطال وقبض على عنقه قصد الفتك بهِ ثم رفع يده عن عنقه وجعل يلكمه حتى اسال الدم منهُ مظهرًا للمتفرجين من الامركان ان اللكم الفرنسوي (البوكس) يفوق اللكم الانكليزي شدةً وعزمًا وعندما اروى باسبارتو غليله منه سكن جأشه فقال لهُ فيكس

— هل شفيت غليل فؤادك مني

فاجابهُ باسبارتو

— لا ولكن تعبت الآن يداي من اللكم

— اسمح لي الآن بالانفراد معك لاخبرك باني لم اعد القي في سبيلكما العقبات وانهُ صار من مصلحتي ان تعودا الى لوندرة عاجلاً وفيها تعلم يا باسبارتو انك تخدم لصًا

فكان باسبارتو يسمع ذلك بكل اصغاء متبينًا بعض الصحة في قوله انه انقطع عن اضطهاده لها الا في انكلترة ثم قال فيكس

— هل نحن صديقان حميمان

— لا ولكنا رفيقان في السفر واعلم جيدًا اذا ظهرت لي منك خيانة ولو طفيفة اكسر رقبتك لا محالة

— لا بأس

وفي الساعة الحادية عشرة من ليلة ٤ دسمبر دخلت الباخرة بوغار (المورد) المؤدي الى سان فرنسيسكو وكان وصولها في الميعاد القانوني بدون تقديم او تأخير برفقة المستر فوج في دفتر الرحلة

الفصل الخامس والعشرون

في براز وبزال

وطئت اقدام المستر فوج والسيدة عائدة والشاب باسبارتو ارض الامركان في الساعة السابعة من صباح رابع دسمبر ومن عظم ما استحوذ على باسبارتو من الفرح والسرور بوصوله الى ارض امركا وثب الى البر ساعة خروجه من الصندل فسقط على رصيف حشي بخره السوس فصرخ صرخة هائلة جفلت منها طيور

البط والبجع الحائمة حول تلك الارصفة المتحركة الممتدة في البحر والمياه حولها ترتفع وتحط بحيث ان البضائع تشحن منها وتفرغ عليها بسهولةٍ كلية وبالقرب منها ترسو سفن ومراكب وزوارق وبواخر تخفق فوقها الاعلام المتنوعة الالوان فان هذه الميناء تكثر الواردات اليها من اصناف البضائع برسم البلاد الخارجية كالمكسيك وبيرو وشيلي والبرازيل واوربا واسيا وغير جزائر من جزائر الاوقيانوس الباسيفيكي

وريثما صعد المستر فوج الى البر توجه الى محطة السكة الحديدية مستعلماً عن ميقات قيام القطار الاول الى نيويورك فاخبر انهُ يذهب اليها في الساعة السادسة من مساء اليوم ولكي يقتل الاوقات بدون ضجر وانزعاج اكترى عربةً بثلاثة ريالات وسارت حتى بلغت بهم النزل الاجنبي وحيث ان باسبارتو كان راكباً على كرسي العربة بجانب السائق تمكن (بالنظر الى ارتفاع مكان جلوسه) من رؤيا المدينة وساياتها الشاهقة وهياكلها العظيمة وقصورها الباذخة التي بعضها مبني من الاحجر والبعض الاخر من

الخشب وقد رأى في فسحات طرقاتها العربات والهوادج سائرة ورأى قوماً من الامركان والاوربيين والصينيين والهنود يزيد عددهم على المائتي الف عداً

وكان الفندق الاجنبي شديد المماثلة لفنادق انكلترة في البناء واصطلاح العادات وهيأة المباحث حتى ان باسبارتو ظن نفسه ونه انهُ لم يخرج من لوندرة وعلى الخصوص عندما وجد في طبقتهِ السفلى حانة ومائدة للطعام تقدمان المشرب والمآكل للمسافرين مجاناً

ودخل المستر فوج والفتاة الى حجرة الطعام فاكلا مريئاً وشربا هنيئاً وبعد ان شبعا وارتويا نهضا وانطلقا الى دار القنصلية الانكليزية قصد تسجيل تذكرة المرور وفي اثناء خروجهما من باب الفندق التقيا باسبارتو فقال لمولاه

— ارى من الحكمة ومن الصواب ان نقتني اسلحة كالمدى والغدارات لندفع بها شر الشيوكس والباونس اذا عارضونا في الطريق ووثبوا على القطارات الحديدية يريدون توقيفها واقتلاع عجلاتها

فقال فوج

ـ افعل ما شئت

ثم ساق القدم الى دار القنصل وما نقل قدمه مسافة مائتي خطوة حتى عثر بفيكس الذي لما رآهُ ابتدره بالتحية فسلم عليه تسليم المشوق وابدى له الدهشة والاندهال من هذا اللقاء غير المنتظر واوضح لهُ كونه مسرورًا سعيدًا بتلك المشاهدة ثم طلب ان يرافقه في زيارة المدينة فاجابه المستر فوج الى ذلك وسارول جميعًا في الشوارع والاسواق حتى وصلوا الى شارع فسيح الجوانب غاصٍ باقوامٍ تخفق فوق رؤوسهم الاعلام وتقذف افواههم هذه الالفاظ

. كوراح الى كاميرفيلد .

. كوراح الى مانديبوس .

فوقفوا يتفرجون على حركات اولئك الناس وبعد برهةٍ اظهر البصاص فيكس للمستر فوج عدم ملاءمة اختراقهم لصفوف تلك الجموع خوفًا من الزحام وتسابق المزاحمين فيصيبهم لكمة او رفسة فاستحسن المستر فوج رأيه ولكنه كان على جهل تام بسبب الازدحام يتسآل عن سبب تجمع الناس وما كانوا يبدونه من البشر والايناس والتهليل باصواتٍ ترتفع في الفضاء بنغماتٍ تثير الاشجان الا انه نظر في وسط الجمع بطلين هامين يتباريان في ميدان المصارعة واسم احدهما . كاميرفيلد . والآخر . مانديبوس . وبينما كان مرسلاً نظره الى هذه المباررة انطلق البصاص فيكس ليستعلم ممن كانوا على بعد دقيقتين منه من الاوربيين عن الباعث على هذه المسرات واذا بالجموع هاجوا وثاروا وتضاربوا وتلاكموا واوقفوا العربات وقذفوا الاحذية والقلانس في الفضاء واطلقوا العبارات البارية اشارة الى الفوز والظفر

وكان اولئك الجموع منقسمين الى حزبين احدهما ميال الى مانديبوس والآخر الى كاميرفيلد المتصارعين ولا بد ان يكون احد هذين البطلين قد استظهر على رفيقه فثار حزبه مفتخرًا على الحزب الثاني على ما تقدم القول

وحدث انهُ من شدة هياج القوم وازدحام الاقدام وجد المستر فوج والسيدة عائدة والبصاص فيكس انفسهم مندمجين في وسط اولئك الجموع الشاكي السلاح

المعتقلي الهراوات الرصاصية والقصبات الحديدية محاروا في شأنهم وطلبوا النجاة ولا مناص لهم مما وقعوا فيه فجعلوا يدارون الفتاة من الصدام وبينما هم كذلك اذا برجل طويل القامة احمر اللون تقدم اليهم وانذر المستر فوج بضربة كادت تكون القاضية لو لم يتلقها النصاص فيكس بساعديه فحملق المستر فوج بعدوه وقال له

ـ اف عليك من امركاني

فاجابه الخصم

ـ اف عليك من انكليزي

فقال فوج

ـ سوف ترى من طعنات حسامي
عند اللقاء ما يُشيب الطفل الرضيع

فقال الخصم

ـ لا لا ما كل من رفع السلاح
كان لرفعه اهلاً

فقال فوج

ـ ما اسمك

ـ الكولونيل ستامب بروكتور وانت ما اسمك

ـ فيلاس فوج

وبعد برهة يسيرة سكن الهياج فتخلص المستر فوج ورفيقاه من مركزهم الحرج وحمدوا الله على نجاتهم ثم انطلقوا سائرين الى النزل الاجنبي فرأوا عند مدخله الشاب باسبارتو منتظرًا وصولهم مدججًا بالسلاح الجارحة والنارية فلما رأى فيكس اتيًا وراء مولاه نظر اليه شزرًا وضرب عنه صفحًا ثم سأل مولاه عما شاهده من العجائب في ارض الغرائب فقصت عليه الفتاة عائدة ما وقع لهم جميعًا وكيف ان فيكس اعانها (اي اعان عائدة وفوج) فالتفت اليه باسبارتو وشكره بافصح لسان واحلى بيان وبعد ذلك دخلوا جميعًا حجرة الطعام فبعد الاكل استحضروا عربةً تحملهم الى المحطة وعندما هم المستر فوج على الركوب سأل فيكس عما اذا كان نظر الكولونيل بروكتور فاجابه فيكس سلبًا فقال فوج لا بد من الرجوع الى هنا بعد اتمام رحلتي لكي انتقم من هذا الكولونيل اللئيم الذي اهان الشرف الانكليزي واساء معاملتي بما فعل ولسوف ينال جزاءهُ

وعند الساعة الخامسة والدقيقة ٤٥

وصلت العربة بهم الى المحطة وكان القطار على اهبة المسير وبينما كان المستر فوج ينقل قدمه الى احدى العربات اذ نظر احد مستخدمي المحطة وسأله قائلاً

— ما هو السبب الباعث على الزحام الشديد اليوم في شوارع المدينة

— في هذا اليوم تم انتخاب قاضٍ للصلح في المدينة

وبعد ان القى المستخدم هذا الجواب الى المستر فوج قام القطار وسار يطوي القفار

الفصل السادس والعشرون

في ركوب قطار الاكسبريس في سكة (الباسيفيك)

تنقسم السكة الحديدية الى فرعين وهما فرع الباسيفيك ويمتد بين سان فرنسيسكو واودجين وفرع اتحاد الباسيفيك ويمتد بين اودجين واوماحا التي يتشعب منها خمسة خطوط قائمة بذاتها تصل اوماحا بنيويورك

وسان فرنسيسكو ونيويورك يتصلان بخط حديدي مسافته ثلثة الاف وسبعمائة وستة وثمانون ميلاً يجتازها القطار في مدة سبعة ايام فكان المستر فوج لذلك يأمل ان يصل الى نيويورك في ١١ الشهر ويركب منها الباخرة المقلعة منها الى ليفربول

وحدث انه بعد قيام القطار بساعةٍ من الزمان تلبدت الغيوم واظلم الجو وهزم الرعد وهمت عيون السحب بمدامع الغيث المدرار ثم برد الهواء وامطرت السماء ثلجاً فكست الارض ثوب البياض

وفي الساعة الثامنة طاف المأمور (الكوميساري) عربات القطار واعلم الركاب بحلول ميعاد الرقاد وحينئذٍ مدت على الكراسي التي يجلس عليها المسافرون شراشف تفوق الثلج بياضاً ووضعت عليها الوسادات والاغطية وأُرخيت على المنافذ ستارات تحجب النور حتى خيل للركاب انهم في غرفٍ من سفينةٍ على ظهور البحار وما كانوا الاَّ ناهبين الارض عدواً على مركبة تسير على قضبان الحديد سير البرق لمعاً وايماضاً في بطون فلوات واسعة ممتدة بين سان فرنسيسكو وساكرامنتو ونحو ما يمكن من السرعة نحو

الشرق لتلتقي بالقطار الذي يقوم من اوماحا فانه يمتد من سان فرنسيسكو الى عاصمة مملكة كاليفورنيا فرع حد ذي على طول نهر . امركان . الذي يصب في خليج سان نابلو ومسافة طوله مائة وعشرون ميلاً يجتازها القطار في مدة ست ساعات وعند منتصف الليل مر القطار وركابه نيام بمدينة ساكرامنتو بعد ان عرّج على عدة محطات وعند الساعة السابعة صباحاً مر بمحطة سيسكو وفي الساعة الثامنة نهض الركاب من النوم وحمدوا خالق الليل ومبدع النهار واطلوا من منافذ العربات ينظرون الى القفار التي يشق كبدها القطار والى عرائس النبات التي يميل بها الهواء والى جمال الطبيعة ومناظرها البديعة

وبعد الساعة التاسعة كرّ القطار في وادي كارسون مارًا باراضي نيفادا سائرًا في الجهة الشمالية الشرقية حتى اقترب من محطة رينو فوقف نحو عشرين دقيقة تناول الركاب في خلالها الطعام

وبعد الفراغ من تناول الطعام عاد المستر فوج والسيدة عائدة ورفيقاها الى محلاتهم واحدقوا في تلك الارض ومروجها الخضراء واوديتها وجبالها والحيوانات الهائمة فيها الشاردة في صواحيها كالابقار البرية التي كثيرًا ما تقف في طريق القطار فتعوقه عن السير

وفي الساعة الثالثة من مساء ذلك اليوم انتشر في طريق القطار قطيع من البقر مؤلف من ١٢ الف رأس وكان يمشي الهوينا على جسر السكة لا يخيفه سير القطار ولا شرار النار المتصاعد من فم الحلقين ولا سواد الدخان الخارج من المدخنة وكانت تلك الابقار ضخمة الجسم قصيرة الاذناب نافرة الاكتاف ذات قرونٍ مقوّسة ورؤوس ورقاب مغطاة ناصية ذات شعر طويل

وقد اندهش الركاب من منظرها ووقفوا امام منافذ العربات وفي مطلات القطار ينظرون اليها ويسبحون خالقها

اما المستر فيلاس فوج فما تحرك من محله بل لبث فيه ينتظر استئناف المسير وقد كدر نفسه ناسار توهذا الوقوف وهم مرارًا ان يطلق على هذه الحيوانات العيارات النارية

اما سائق القطار وقد اتخذ الحكمة دليلاً ومنع القطار من المسير بين صفوف تلك الحيوانات حيفة ان تفتك بها العجلات وتكون عائقًا للقطار عن اتمام مسيره اذا مر عليها وخرجت العجلات عن القصبان الحديدية ولذلك آثر الانتظار على السير

وقد مضت على انحلاء القطيع عن الطريق ثلاث ساعات طوال أُذن بعدها باطراد المسير

وما حلت الساعة الثامنة حتى عبر القطار مضيق جبال هومبولدت وظل مارًّا بها يطويها حتى دنت الساعة التاسعة ونصف وبلغ ارض اوطاح ومقاطعة بحيرة (صالي) بلاد غرائب المورمون

الفصل السابع والعشرون

في مرسل مورموني

وسار القطار اثناء ليل سادس ديسمبر في بقعة من الارض تبلغ مساحتها ٥ ميلاً وما لبث ان تحول عنها الى الجهة الشمالية الشرقية حتى اقترب من بحيرة صالي العظيمة

ولما اقبل الصباح وقف باسارتو في الساعة التاسعة قبالة مطلة القطار يستنشق النسيم وهبت عليه ريح الصبا فانعشت قواه وكان الجو اذ ذاك ذا لون اسمنجوني اشبه بلون البنفسج وكانت الشمس في كبد السماء مغشاة ببرقع من السحاب وظهرت من خلاله كقطعة ذهبية رائقة الصفرة وهو ما جعل باسارتو ان يرتبك بتجزئتها الى ليرات انكليزية وبينما كان مشتغلاً بذلك الحساب اذا به رأى شخصًا تلوح عليه علائم الاثراء والشرف وملامح الوقار والجلال وكان طويل القامة اسمر اللون اسود الشاربين وكانت يداه مستورتين بكفوف سوداء وعلى رأسه قبعة من الحرير الاسود وعلى جسمه لباس اسود وفي عنقه رباط من الحرير الابيض وكان بالاختصار مستكملاً لمظاهر الترف والثروة وعلو المنزلة وكان يقترب من باب كل مركبة من مركبات القطار ويلصق عليه اعلانًا مكتوبًا بخط يده فدنا باسارتو من الاعلان فقراهُ واليك ترجمته

انا الموقع على ذيل هذا الاعلان

المرسل وليام هتش اغتنم فرصة وجودي
في القطار المرقوم عليهِ عدد ٤٨ وانشرف
بان اعلن لحضرات المسافرين الكرام اني
عينت ساعة واحدة تبتدئ من الساعة
الحادية عشرة صباحًا وتنتهي في الظهر
لالقاء الدروس المقدسة في العربة المرقوم
عليها عدد ١١٧ وذلك في الديانة
المورمونية واشرح بالاسهاب افضال
القديسين الذين ظهروا في الايام الاخيرة
فاحث الركاب للحضور واني لهم من
الشاكرين الامضا

وليام هتش احد مرسلي
الديانة المورمونية

ولما قرأ باسارتو هذا الاعلان
قال في نفسه

ـــ لا مانع من ذهابي الى معتزلك
الدروس لاحضر تعاليم وليام الدينية
واعرف شيئًا من تقليدات هذه الديانة
التي من مبادئها الاولية اكثار الزوجات

وما دنت الساعة المعينة حتى ازدحمت
العربة (١١٧) بالحضور واجتمع فيها ما
ينيف عن الثلاثين شخصًا عدًا فقام فيهم
المرسل هتش خطيبًا وافتتح الكلام بصوتٍ
عالٍ فقال ·

اقول ولا اخشى في الحق تعنيفًا ان
(جون سميث) مات شهيدًا وهو الان
في جنة الابرار نعيم الاخيار واقول لكم ايضًا
ان اخاه هيرام مات شهيدًا ايضًا وهكذا
سيموت الشاب برايغم فمن منكم يتجرأ
ويقول بعكس ذلك لا اظن ان احدًا
يقدم على عكس هذا القول · واعلموا
جيدًا ان الايمان يتأيد في زمن الاضطهاد
وان الديانة تنمو في زمن الضيق انظروا
الى حكومة الولايات كيف انها لما استولت
على مقاطعة اوطاح سحقت جميع المورمون
وفي حملتهم الشاب برايغ وهم الان يقاسون
مرّ العذابات بفرح وسرور

ان الديانة المورمونية موجودة منذ
الازل وقد تلقاها من السماء نبيٌ من
سبط يوسف واودع وصاياها في كتابٍ
سلمه لولده مورمون وبعد قرون ترجم
الكتاب الى لغة المصريين حضرة الفاضل
يوسف جونيور الذي كان صيدليًا ورُفع
الى السماء عام ١٨٢٥ اه

وكان هذا المرسل يتوقد في كلامهِ
نطقًا ويلتهب حدةً ويذوب تصورًا

ويسيل رقةً مقلبًا اوجه الحديث متعسًا في ضروبه متنقلاً في اساليبه باسطاً للعلم بحيث يقال عنه هذا آية الدهاء والذكاء مظهرًا للجهل بحيث يقال هذا مثال السذاجة والبله ولكنه اطال الكلام حتى ضجر الحاضرون فاخذوا في الخروج من العربة ولم يبقَ منهم الا عشرة اشخاص لبثوا يسمعون حديثه حتى النهاية

وكان القطار اثناء ذلك سائرًا بسرعة لا مزيد عليها وما حان اوان الظهر حتى اقترب من بحيرة صالي التي تصب في اردن امركا ويدفق ماؤها على صخورٍ قائمة من حولها محدقة مسترسلة الى الارض التي يمد الربيع عليها بساطًا سندسيًا مدبجًا باللآلئ ازهار تنعش الافئدة بطيب شذاها اما البحيرة فطولها يبلغ سبعين ميلا بوجه التقريب وعرضها ينيف على الثلاثين ميلاً وهي تبعد عن البحر مسافة ثلاثة آلاف وثمانمائة قدم

وفي الساعة الثانية وصل القطار الى محطة اجدين ووقف فيها اربع ساعات متواليات فخرج المستر فوج في خلالها الى البر مصحوبًا برفقائهِ وساروا نحو مدينة (القديسين) قصد التفرج على ظرائفها ولطائفها وقد وصلوا اليها في الساعة الثالثة فطافوا شوارعها وطرقاتها وزاروا اجمل قصورها وابنيتها كدار الدوق وبلاط الملك والمسلحة وسائر ما تحتوي عليه من الآثار اما ابنية هذه المدينة فجميعها مبنية من الآجر المائل الى الزرقة وامامها ليوانات ومماشٍ وحولها بساتين فيها عرائس الرياحين واشجار النخل والخروب يتخللها النبات الاخضر ويكتنف هذه المدينة سورٌ مبنيٌ من الخزف منذ عام ١٨٥٣ ثم طافوا عدة شوارع بدون ان يلقوا في طريقهم اناسًا كأن المدينة دار بلقع لا تأهل سكانًا ولما وصلوا الى شارع الهيكل التقوا بسوقٍ كثيرات مارات بالطريق ورأوا الغنيات منهنَّ يلبسنَ وشاحًا من الحرير الاسود خاليًا من بهارج الزينة واستدل باسبارتو من كثرة عددهنَّ على انهنَّ مورمونيات وهنا محال للقول ان عند بعض المورمون (لا جميعهم)

سة اكثار الزوجات حصوصًا عند اهالي مدينة اوطاح فانهم يكرون على البنات العذارى النقاء في العزوبة ويسوقونهنّ الى الزواج قسرًا كالنعاج

وعند الساعة الرابعة عاد المتفرجون الى المحطة ونزلوا الى محلاتهم في عربات القطار وعندما صفر القطار دلالةً على السير واخذت المحلات تكر على القضبان الحديدية علا في الحوصوت ينادي السائق ان قف ولا تسر

وبما ان قانون السكة الحديدية لا يرخص لمهندسي القطارات في الوقوف متى سارت ظلّ القطار لذلك سائرًا بينما كان ذلك الصوت ينادي السائق ان اقف المسير: وبعد ثانية من الزمن رؤي صاحب الصوت راكضًا ثم لاحقًا فسحة المحطة ومنها انطلق عدوًا الى الرصيف فقفز منهُ الى سلم اخر عربة من القطار وكان هذا الرجل من اهل الديانة المورمونية

وكان ناسبارتو مشاهدًا لذلك الحادث فاعجبهُ من المورمون خفتهم في القماص وسرعتهم في السير ولكنهُ كان جاهلاً للباعث الذي اخر هذا الرجل عن ركوب القطار وللداعي الذي اضطره الى هذا السفر المعجل وما علم ان المورموني كان هاربًا من الزواج

وبعد ان وصل المورموني الى القطار واستراح اقترب منهُ ناسبارتو وسألهُ بقوله

— كم لك من النساء

فاجابهُ المورموني رافعًا ذراعيه الى السماء

— واحدة فقط وهي حسبي وكفى

الفصل الثامن والعشرون

في ان ناسبارتو اخفى على مولاه امرًا ذا بال

وبعد مبارحة القطار لمحطة البحيرة (صالي) ولمحطة (احدني) سار ساعة طويلة نحو الشمال الى ان وصل الى نهر • فيبر • وكان قد قطع تقريبًا تسعمائة ميل من حين قيامه من محطة سان فرنسيسكو

وبعد قيامه من نقطة نهر: فيبر سار في مضيق جبال: واحساتش : في بقعة فاصلة بين هذه الجبال وبين

حال روشير حيث عالى المهندسون الامركان مر يد التعب في تخطيط السكة الحديدية وعقدوا مع الحكومة اتفاقًا على احرة تبلغ ٤٨ الف ريال عن كل ميل في الحال مع ان احرة الميل في السهول ستة عشر الف ريال فقط

وعند الساعة السادسة مساء وقف القطار في محطة «فور برايدجير» وبعد برهةٍ وجيزة بارحها وما اجتاز عشرين ميلا حتى بلغ ارض ولاية «رومينج» وسار في وادي «حون بيتر» وفي صباح سابع ديسمبر وقف القطار في محطة حرين ريفر نحوا من ربع ساعة كان الثلج في خلالها يتساقط كثيفًا مما بعث الركاب على الخوف من ان يكون سببًا في وقوف القطار ولكن لحسن الطالع امسكت السماء قليلا ثم امطرت غيثًا مدرارًا فاذاب الثلج

وقد اضطرب باسبارتو لذلك وكلما احدق في الارض ويشاهد فوقها الثلوج تلالا كان يحا لها تميد به في الطول والعرض ثم يقول في نفسه اما كان الاحدر بمولاي ان يختار زمن الصيف لهذه الرحلة تحفيفًا للمصاعب التي يصادفها في زمن الشتاء ومحاذرةً للموانع التي يلقاها في طريقه حينًا بعد حين من غير انقطاع

وفي اثناء وقوف القطار نزل منهُ بعض الركاب الى رصيف المحطة لتمضية الوقت ومن جملتهم الكولونل ستامب بروكتور وكانت الفتاة عائدة وقتئذٍ متربعة في عربتها منقبضة الصدر مشتتة البال قلقة الفكر من جراء الموانع التي كان يصادفها المستر فوج في رحلته ودفعًا للغم دنت من نافذة العربة واحدقت بصرها فيما خارجها فرأَت اناسًا يخطرون على الرصيف وبينهم الكولونل ستامب الذي اساء معاملة المستر فوج في مدينة سان فرنسيسكو فتوعده بالاقتصاص منه ايما قصاص ولما نظرتهُ الفتاة ارتدت عن النافذة لئلا يراها فيعرفها فجلست مستسلمةً لتباريح القلق ضاربةً في وهاد الاضطراب خارعةً من فكر مشاهدة المستر فوج لهذا الكولونل فيشتبك معهُ بقتال تسوء عاقبته سواء ظفر فوج او لم يظفر فانهُ يؤخره عن اطراد السفر

وبعد قيام القطار من المحطة اغتنمت عائدة رقاد المستر فوج واحضرت فيكس وباسبارتو بوجود الكولونل بروكتور في القطار واطلعتهما على سؤ العاقبة اذا التقى بالمستر فوج فقال لها فيكس

ـ ان هذا اللئيم ساءني جدًّا وسينال جزاءهُ مني

وقال باسبارتو

ـ ساخذ عنه هذا الامر على عاتقي

فقالت لهما الفتاة

ـ ان شهامة المستر فوج تأبى ان تأخذ بثأره وهو رجل شديد الساعد قوي البنية ونحن الان في حالة يجب ان نكتم فيها الامر على المستر فوج والّا ندع لهُ فرصة يخرج بها من القطار حتى يصل الى نيويورك فلربما لا يشاهد عدوهُ في القطار ومتى بلغنا نيويورك لا نعدم طريقة اخرى لملافاة الامر

فوقع كلامها في الاذان موقع الاستحسان وبعدها استيقظ المستر فوج فقطعوا الكلام وبعد التزامه السكوت مدة لم يفه في خلالها احد بكلمة اقترب باسبارتو من فيكس فهمس في اذنه قائلاً لهُ

ـ الصحيح ما تقول من انك تدافع عن مولاي

ـ اجل فاني افرغ جعبة جهدي في سبيل سوقه الى اوربا سالمًا

فهاج عامل الغضب في فواد باسبارتو من هذا الجواب ثم صرف باسنانهِ ولزم الصمت وبعد ذلك التفت فيكس الى المستر فوج وساق اليهِ الكلام فقال

ـ ان الساعات التي تصرفها قطارات السكك الحديدية في السفر لطويلة وقد كنت يا مولاي تقتل الاوقات على السفن الجارية في لعب «الويست» فالسيدة عائدة تتقن هذا اللعب وانا ايضًا اعرف بعض ضروبه وفي القطار يباع هذا الورق فاذا شئت مضينا الوقت في اللعب تخلصًا من الضجر المستحوذ علينا فاجابهُ فوج

ـ لا مانع من قبلي

فتوجه باسبارتو وابتاع ورق اللعب واحضره الى مولاه قائلاً في نفسه الحمد لله فقد تمكنا من حصر المستر فوج فيما داخل القطار وذلك لانهُ كان يخشى ان يخرج منهُ ويعرض نفسه لبعض اسباب الاعتداء

وعند الظهر مد سماط الطعام في احدى عربات القطار للستر فوج ورفقائه فاكلوا وشربوا حتى اكتفوا ثم نهضوا واستأنفوا اللعب وبينما هم يلعبون اذ سمعوا صفيرًا شديدًا خارجًا من آلة القطار فهرع باسبارتو الى الباب ونظر الى الامام فلم يرى شيئًا مانعًا من المسير ثم نزل الى الارض ليتحقق الخبر فرأى نحو اربعين راكبًا نازلين من القطار وفي جملتهم الكولونل ستامب بروكتور وكان القطار قد وقف امام علامة حمراء فنزل منهُ السائق والمهندس فوجدا وكيل محطة «بو» القريبة من تلك النقطة واقفًا فسألاه عن سبب ايقاف القطار فاجابهما ان هذا القطار متقل بالركاب ولا يتحمل ثقله جسر «بو» فلما سمع الكولونل بروكتور هذا الجواب قال للسائق اومل الا تغادرونا هنا عرضةً للبرد والثلج فاجابه السائق ان قد طلب من محطة (اوماحا) قطار صغير لنقل الركاب وسيحضر بعد ست ساعات فصرخ باسبارتو مرددًا قول السائق (بعد ست ساعات) فقال لهُ السائق نعم وارى الاحسن لك ان تصرف المدة في الذهاب مشيًا الى المحطة التي لا تبعد سوى مسافة ميل لو لم تكن في الصفة الشمالية من النهر الذي لا يمكن اجتيازه بواسطة الزوارق لان المياه متجمدة فيهِ

وبعد ان علم باسبارتو جميع ذلك عاد ليطلع مولاه على الاسباب التي الجأت الى وقوف القطار في تلك النقطة وفيما كان سائرًا سمع صوتًا قائلاً : ايها السادة الركاب يمكنا ان نعبر الجسر على هذا القطار ولي ملء الامل في اتمام المسير بدون حدوث ادنى ضرر للقطارات والركاب والطريقة الوحيدة لذلك هي ان يسير القطار سيرًا سريعًا يحاكي وميض البرق مارًّا فوق ذلك الجسر المنهدم فيعبره عابرًا سالمًا وكان صاحب هذا الصوت مهندس القطار

فصح لهذا الرأي جميع الوقوف باصوات الاستحسان وعادوا الى محلاتهم في القطارات ثم عاد باسبارتو بدون ان يخبر مولاه بشيء وما جلس في مكانه حتى صفر القطار وتأخر الى الوراء مسافة ميل ثم تقدم الى الامام سائرًا بسرعةٍ لا يعبر عنها

لسان ويعبر الجسر باسرع من البصر وبعد عبوره باقل من رمشة عين اندك الجسر دكًا وسقط سقوطًا مرعبًا

الفصل التاسع والعشرون

في مقاتلة المستر فوج مع الكولونل ستامب بروكتور

وقضى القطار الليلة برمتها سائرًا حتى قطع صحارى « صودير » واجتاز ممر « صيان » ووصل الى ممر « ايغان » حيث يبعد الخط الحديدي عن ساحل الاوقيانوس مسافة ثمانية الاف واحدى وتسعين قدمًا كان القطار يجتازها بكرات متواصلة ولم يقف الا في محطة الاتلانتيك الكائنة في وسط فدفد مبسط شاسع تلتقي فيه الخطوط الحديدية الممتدة الى مدينة دنفر وهي اعظم مدن الكولورادو وفيها معادن كثيرة ذهبية وفضية وتأهل من السكان نيفًا وخمسين الفًا

اما القطار فكان قد قضى الى ذلك الوقت من يوم قيامه من محطة سان فرنسيسكو مدة ثلثة ايام قطع في غضونها مسافة الف وثلثمائة وواحدًا وثمانين ميلاً والقطارات تصرف عادةً مدة اربعة ايام فقط من سان فرنسيسكو الى نيويورك

وفي الساعة الحادية عشرة من الليلة نفسها دخل القطار ارض نيبراسكا ومر بالقرب من سيدجويك وعرج على جوليسبورج الكائنة عند فرع الخط الجنوبي من نهر بلات الذي كان النقطة الرئيسية لاتحاد السكة باسيفيك رود . ففي ٢٣ اوكتوبر من عام ١٨٧٦ حضر الى شاطئ النهر المهندس الشهير الجنرال دودج بتسعة قطارات تقل قومًا كرامًا وكان بينهم المستر توما والمستر دوران الشهيران ليحضروا افتتاح السكة ومدت لهم الموائد وأقيمت لهم الالعاب النارية عند شاطئ ذلك النهر

وفي الساعة الثامنة من صباح الغد هب الركاب من الرقاد وافترقوا من النوافذ طلبًا لاستنشاق الهواء وكان القطار سائقًا في الضفة الشمالية من نهر « بلات » وعند الساعة التاسعة بلغ بهم المدينة العظيمة « اوماها » الكائنة بين نهرين يحاطان بها احاطة الاسوار بالمعصم ويمتزج ماؤها بماء « نهر » ميسوري

وعاد المستر فوج ورفيقاه الى لعب (الويست) فقصوا الوقت من غير ضجر وملل من طول الطريق وقد لقي المستر فوج في هذه المرة ما يحسد عليه من حسن الحظ فكان الورق طوع رغائبه يأتيه حسب مرامه وبينما كان على وشك ان ينثر ورقة «البيك» اذا به سمع صوتاً خارجاً من قرب باب العربة فحانت منهُ التفاتة نحو مخرج الصوت فشاهد الكولونل (ستامب بروكتور) واقفاً بالقرب منهُ يقول لهُ

ـ تروم ايها الانكليزي ان تلعب بيك؛ ولا تعرف هذا اللعب ايها الغبير فالعب (كارو) اذا اردت

فاجابهُ فوج برصانة

ـ ومن يتقن هذا اللعب مثلي

ثم رمى بعشرة الديناري الى الارض واحتفز للقيام

فاضطربت وحتنا الفتاة عائدة خوفاً على مقعدها وامسكت بذراعيه منعاً لهُ من القيام لملاكمة الكولونل فدفع يدها برقة ولطف دفعاً خفيفاً وكان باسبارتو اذ ذاك على وشك الوثوب على بروكتور لولا اشارة مولاه اليه بالعدول عن الهجوم عليه . وكان فيكس ايضاً قد نهض وخاطب الكولونل بقوله

ـ هل ذهب عنك انك اسأتني ولكنني . فقال فوج

ـ اصغ اليَّ سمعاً يافكس فان الكولونل قد اهانني وحدي الان بقوله ان ليس لي الحق بلعب «البيك» ومن مقتضيات شرفي ان اقتص منه على هذه الفحة

فاجابه الكولونل

ـ اين ومتى تروم استرجاع شرفك

فلما سمع المستر فوج هذه الكلمات نهض على الفور بالرغم عن محاوله عائدة لمنعه من مصادمة الكولونل وخرج الى ما خارج العربة مع الكولونل وقال لهُ

ـ لولا قصر الوقت وما تقضي عليَّ بهِ اشغالي من العود الى اوربا عاجلاً لكنت نزلت معك ميدان القتال وعندما صدرت منك ضدي تلك الاهانة في مدينة سان فرنسيسكو عزمت على العود للقائك متى وفرت عندي الفرص وسمحت لي اشغالي بالعود اليك

وسيكون ذلك عاجلاً ان شاء الله بحيث لا يمضي ستة شهور حتى تراني عائداً الحت عليك

فقال الكولونل

— ولماذا لا تقضي اليوم ما عزمت على تأجيل قضائه الى حين وتكتفي مؤنة التعب في العود الى ديارنا فنحن الان مقبلون على محطة (بلوم كريك) فعندما يقف القطار فيها ننزل الى الارض ونتبادل اطلاق الغدارات فينتهي كل امرٍ بيننا

فاجابهُ فوج

— اصبت . قال هذا وعاد الى عربته على مقتضى عادتهِ من السكينة والهدو ثم هدأ بال الفتاة واستأنف اللعب . وبعد الساعة الحادية عشرة اقترب القطار من محطة (بلوم كريك) فنهض المستر فوج وتقلد روحاً من الغدارات واصطحب فيكس كشاهدٍ وانطلق كلاهما الى درج القطار فالتقيا بالكولونل وشاهده وبعد ذلك هم الجميع على النزول الى الارض فمنعهم سائق القطار من النزول بقوله ان القطار لا يقف في هذه المحطة حسب عادتهِ لاننا اتلينا بتأخير عشرين دقيقة يجب علينا ان نعوضها واذا كنتم مضطرين الى النزال فما الذي يمنعكم من القتال في قلب القطار حال مسيره فانهُ يوجد في مؤخر القطار عربة فسيحة الجوانب اخليها لكم لتكمرولوا فيها عن سيآتكم ثم مشى امامهم حتى اوصلهم الى العربة المعهودة وادخلهم اليها قائلاً

— من هذه العربة لا يخرج احد منكم وتركهم وراح يسوق القطار

فوقف المستر فوج في العربة وفيكس الى جانبه بصفة شاهد ووقف قبالته الكولونل بروكتور والى جانبه شاهده ثم اتفق الكولونل والمستر فوج على الشروع في اطلاق الغدارات حال تصفير القطار

وما ازف الوقت المعلوم حتى علت في الخوصوصاء يتخللها قرقعة سلاح ودوي بنادق وصراخ هائل فارتعدت فرائص الكولونيل فخرج الى ما خارج العربة وتبعه المستر فوج وفيكس فرأوا قوماً منتشرين كالجراد على الخط الحديدي مدججين بالسلاح معتقلين البنادق والمراوي يهجمون على درجات القطار ويصعدون

اليها وقد صعد رئيسهم الى حيث المهندس فاوسعهُ ضربًا واثخنهُ جراحًا وقبض على مفتاح الآلة محاول ايقافها ثم حرك المفتاح على غير دراية فطار القطار وسار سير البرق

وهولاء الاشقياء يعرفون بقوم (سيوس) وقد جعلوا حرفتهم منذ نشأة السكة الحديدية في بلادهم ان ينهبوا القطارات ويحطموا المحلات ويذبحوا الركاب ويرجموهم

واستمر ذلك القتال نحو عشر دقائق كان الركاب في خلالها يدافعون عن انفسهم بكل بسالة وثبات ولا سيما السيدة عائدة فانها كانت قابضة بيدها البيضاء على غدارة ذات ست طلقات تطلقها على الاعداء حتى جدلت منهم نيفًا وعشرين قتيلاً ما عدا الذين جرحتهم وقد اصيب بعض الركاب بجراح بليغة تنذر بالخطر

وبينما كانت الحالة على ما تقدم عليه الكلام قال السائق للمستر فوج

ــ اذا لم يقف القطار قبل خمس دقائق هلكنا جميعًا لا محالة

ــ ولماذا

ــ لان (السيوس) ضاربون بين حصن كيرني والمحطة الآتية وهناك يوقفون القطار ويهلكوننا جميعًا

فعند ذلك همّ فوج على الوثوب من القطار فلما رأى باسارتو ذلك قال لمولاه قف وقفز على الارض ثم سار بالقرب من محلات القطار والسيوس يرمونهُ برصاص بنادقهم حتى وصل الى اول عربة مرتبطة بالآلة فحل الزنجير الذي يربطها بالآلة فلبثت الآلة سائرة وبعد بعض كرات وقف القطار على بعد مائة خطوة من محطة كيرني

وقد شعرت حامية الحصون بدوي البنادق فاتت لاغاثة الركاب . امــــا السيوس فقبل وقوف القطار شعروا بقدوم الحامية فولوا الادبار

وبعد وقوف القطار في المحطة نزل الركاب الى الرصيف واخذ وكيل المحطة يعدهم ليعرف من فقد منهم . وباستدعائه لكل باسمه علم ان عددًا كثيرًا قد فقد منهم وفي الجملة الشاب الفرنسوي باسارتو الذي كان السبب في نجاة الجميع

الفصل الثلاثون

في ان فيلاس قام بحق الواجب

وقد كان غياب باسارتو داعيًا للغم والحزن عند المستر فوج والسيدة عائدة وقد تبادلا الاراء في شأن البحث عنه وكيفية الوصول الى افراج كرته اذا كان اسيرًا

اما الذين اصيبوا بجراح البمة من الركاب فكانوا كثيرين وفي جملتهم الكولونل بركتور فانهُ اصيب برصاصةٍ في فخذه فخر على الارض صريعًا فنقل كباقي الجرحى الى المحطة لمداركة جروحهم قبل ان يتعسر شفاؤها

واما السيدة عائدة وفيلاس فوج فكانا سليمين لم يصابا بخدش ظفرٍ مع انهما قاتلا كالاسود الكاسرة بشجاعة وبأس وبسالة وثبات

وكانت قارعة الطريق وجسر الخط الحديدي ملطخين بالدماء وعليهما جثث القتلى المشوشة الوجوه مجدلة تحوم عليها عقبان الغاب ووحوش الفلاة

وقد شق على المستر فوج فقد خادمه باسارتو وعظم عليه هذا الخطب حتى هان عليه اخفاق الرحلة وفقد ثروته فاطرق في الارض مفكرًا يحاول اخفاء ما به عن الفتاة عائدة لئلا تتوسم فيه قلقًا فتكابد من حرائه عناء مرًّا وبينما هو على هذه الحالة قبضت الفتاة على يديه وجذبتهما الى صدرها وغسلتهما بماء مقلتيها وقالت لهُ

— وما بك جعلت فداك فاجابها

— ليس لي صبر على فراق باسارتو الذي بذل حياته في سبيل انقاذنا جميعًا من مخالب اولئك القوم الاشقياء وقد اخلص لي الخدمة في كل المدة التي قضاها معي فلا بد من افراج كرته والسعي في انقاذه اذا كان عند السيوس اسيرًا

وبعد ان فرغ من كلامه تقدم الى قائد حامية كيرني الذي كان قد اتى لنجدتهم بمائة جندي وقال له ان ثلاثة ما اسرهم السيوس وعار علينا ان نتركهم بين انياب هولاء الوحوش يتقلبون على شوك القتاد ويتجرعون كأس الذل والخسف فالشرف والمروءة يقضيان علينا بانقاذهم مهما ترتب على ذلك من اراقة الدماء وضياع الرجال والاموال وان انقاذهم فرضٌ لا بد من وفائه ودين

لا مناص لصاحب المروءة من قضائه ولاسيما ان الشاب باسارتو بينهم وهو الفتى الذي انقذنا جميعا من الهلاك

فقال له القائد

— ليس لدينا قوة كافية للهجوم وليس من الحكمة ان تراق دماء خمسين رجلاً في سبيل انقاذ ثلثة فقط

فحينئذٍ التفت فوج الى الحضور وقال لهم

— انيٌ حرٌ افضل الموت على العار ولا ادع انصاره في حالتي اليأس والخمول فيلحق بي لنجي رفقاءنا الذين لاشك انه قد مرَّ عليهم الى الآن من العذاب ما هو جدير بان يكتب بالابر على اماق البصر

وما اتم كلامه حتى اضطرمت في رأس القائد شعلة المروءة فالتفت الى جنوده وقال لهم

— من منكم يدافع عن الانسانية بحياته

فلباه خمسون جنديًا بصوتٍ واحد فاختار منهم ثلاثين وامرهم بالذهاب مع المستر فوج بقيادة قائدٍ طاعن في السن ولكنهُ مدرَّب مروض الجسم في ميادين القتال

وطلب فيكس من المستر فوج ان يلحق به ايضًا فشكره وكلفه بان يبقى مرافقًا للفتاة عائدة وان يعتني بشأنها اذا مات شهيدًا في سبيل الدفاع عن الانسانية فشق على فيكس ان يفارق فوج لص البنك الذي تأثره من السويس ولكنه اجاب طلبه مضطرا واطرق في الارض مصفرَّ الوجه من الخوف على حياته اذ يكون تعبه قد راح سدىً

ثم تقدم فوج الى الفتاة عائدة وسلمها جعبة السفر التي تحتوي على السفاتج وهز يدها هزة الوداع الى حين الاجتماع وسار بحملته الى حيث اراد ان ينقذ باسارتو وكان قد سبق فوعد الجنود اللاحقة به ان يعطيهم جائزة الف ليرة اذا انقذوا الاشخاص المراد انقاذهم

وبعد ذهابه انفردت الفتاة عائدة في حجرةٍ بالمحطة واستسلمت للغم منقادةً للعذاب شأن الواقع في البلاء الجسيم والخطب العظيم وكانت تفتكر بالمستر فوج وما طبع عليه من الشهامة وكرم النفس فيزداد حبها فيه وشغفها به ثم تنتقل

من ذلك الى افتراض ان يفتك السيوس به فتنفذ النار في مهجتها وتظلم الدنيا في عينيها وتزداد غمًّا وعذابًا على غمها وعذابها

وعند الساعة الثانية بعد ظهر اليوم بينما كان الثلج يتساقط على الارض اذ سمع الركاب عن بعدٍ صفير آلةٍ بخارية فوجهوا الاذن نحو مصدر الصفير ثم احالوا ابصارهم في الفضاء فابصروا عن بعدٍ آلة بخارية تشق البيداء قادمةً اليهم على عجل فوقفت على بعد عشرين ميلاً من محطة كيرني

وحدث انهُ عندما استولى السيوس على القطار كما تقدم الكلام وقبض رئيسهم على الآلة التي تقود القطارات كان المهندس والوقاد قد وقعا في مكانهما غائبي الرشد من شدة الضرب الذي ذاقاه ولما فصل باسارتو الآلة عن القطارات على ما مرَّ بنا من الكلام ارتد السيوس الى الوراء ونزل من كان منهم على الآلة الى الارض لاحقين برفقائهم ولما انطفئت النار في الحلقين وقفت الآلة في وسط الصحارى ثم انهُ عندما افاق مهندسها ووقادها من غشوتهما عادا بها الى محطة كيرني وعندما تبين الركاب ذلك فرحوا وابتهجوا وسروا سرورًا لا مزيد عليه

وعند الساعة الثانية بعد ظهر اليوم دنت الآلة البخارية من القطار فارتبطت بها واخذت في التأهب لجرّه فلاحظت ذلك السيدة عائدة واقبلت على السائق تسألهُ

— متى يسافر القطار

— في الحال يا مولاتي

— اتسمح لك شهامتك بترك المستر فوج مع حملته في هذه القفار

— ان واجباتي تقضي عليّ بالسفر ولا سيما بعد ان تأخر القطار ثلاث ساعات عن ميعاده المعين

— ومتى يمر من هنا غير هذا القطار

— في مساء الغد فتفضلي يا سيدتي واركبي القطار اذا كنتِ مسافرة

— لا لا اسافر لا اسافر

وكان فيكس مصغيًا لهذه المحاورة وبعد ان كان شديد الرغبة في السفر شعر بمحرك مجهول يدفعهُ نحو ركوب القطار ويمنعهُ من التقدم والخروج من مكانه

وبعد ان نقلت الجرحى الى عربات القطار وفي جملتهم الكولونل بركتور سار القطار ماسرع من لمح البصر وعادت السيدة عائدة الى الحجرة المعدة لها بالمحطة فوقفت امام نافذتها الزجاجية تنظر الى ما يمر بها وتحسب كل من تراه فيلاس فوج ولما اقبل الليل ولم يعد اشتد فيها عامل الاسى والاسف فاسترسلت للبكاء حتى تقرحت منها الجفون ومن شدة ما استولى عليها من الاضطراب سقطت على متكأ مكتئبة وبدلت شدة الحزن هيئتها وغيرت محاسن خلقها وقد لبثت صامتة تصغي الى جلجلة الرعود وحركة تساقط الثلوج حتى بزغ الصباح فخرجت الى رصيف المحطة تنظر يمنةً وشمالاً ولما لم تنظر المستر فوج عادت الى حالتها من القلق والاكتئاب والخوف والاضطراب

ويا عجبًا كيف لا تذوب اسى على منقذ حياتها من الموت ومنتشلها من افواه الهلاك

اما فيكس فبعد مبارحة القطار للمحطة جلس على متكاء فيها لا يبدي حراكًا فاقد الرشد غائبًا عن الحواس لا يشعر بالبرد القارس ولا بتساقط الثلوج وقد لبث في مكانه حتى صباح اليوم التالي

وكان قائد حامية كيرني قلقًا مضطربًا على عدم اياب السرية التي ارسلها مع المستر فوج وقد حار فيما يجريه : هل يشفعها بشرذمةٍ اخرى من جنوده لتبحث عنها ام يلبث منتظرًا ثم انه لما فرغ صبره آمر ضابط القلعة باستكشاف ناحية الجنوب وبعد وقتٍ يسير حضر الضابط من موقع الاستكشاف واخبر ان فوج عائد بالظفر والغنيمة

وبعد برهةٍ يسيرة من الزمان وصل فوج الى المحطة مصحوبًا بالشاب باسبارتو والاثنين الاخرين الذين اسرهم السيوس وكانت الجيوش من حوله تثني على بسالته وحسن تدربه في الفنون العسكرية وقد نقدهم الجائزة حسب وعده

ولما بلغ فوج رصيف المحطة تقدمت السيدة عائدة لاستقباله راقصةً فرحًا لا تدري كيف تعلن سرورها وتفصح عن سعادتها ولما وضعت يدها في يده وبادلته التحية رأى منها ما كاد ينطقها بلسان القائل

وحياتكم وحياتكم قسمًا وفي
عمري بغير حياتكم لم احلفِ
لوان روحي في يدي ووهبتها
لمبشري بقدومكم لم اسرفِ

الفصل الحادي والثلثون
في اهتمام اللصاص فيكس بشأن
المستر فيلاس فوج

وكان وصول المستر فوج الى المحطة بعد قيام القطار منها بعشرين ساعة صرفها في انقاذ باسارتو من اسره وبينما كان يبحث على وسيلةٍ يتمكن بواسطتها من استئناف السير ومتابعة السفر وتعويض الوقت الذي فقده اقترب منهُ فيكس وحملق في وجهه ثم سأله قائلاً

ــ من اللازم ان تبلغ نيويورك في ١١ الجاري لتركب الباخرة المسافرة من مرفائها الى ليفربول في الساعة التاسعة مساءً

ــ ومن يمكنني من ذلك وقد صار لديَّ ضربًا مستحيلاً

ــ ان احد الامركان المدعو مورج عرض عليَّ بالامس آلة نقل تحملني الى حيث اريد وبما انني كنت في انتظارك فما وقفت على كيفية سير تلك الآلة فاكتفيت بان اجيب ذاك الامركاني بقولي له ان يحضر اليَّ في هذا اليوم وهو يقطن كوخًا لا يبعد من هنا اكثر من عشرين خطوة

ــ واين كوخه

ــ بالقرب من حصن كيرني

فتوجه المستر فوج الى حيث الكوخ ورأى الآلة فوجدها غاية في الاتقان والانتظام فاكتراها من صاحبها بقدرٍ معلوم من الدنانير

وما ادراك ما هي هذه الآلة في بلاد الامركان

هي مركبة ليس لها عجلات تسع من ثمانية الى تسعة اشخاص تسير فوق الثلوج بقوةِ الرياح باسرع من سير قطار الاكسبرس . يقوم في مقدمها صارٍ طويل مشدود بحبال معدنية ومعرر بدعائم حديدية وفوقه قلع كبير مربع وفي مؤخرها دفة على شبه المجذاف تستعمل لتسيير المركبة في الطريق المقصودة وفي جوفها مناقب لحرق الثلوج وكثيرًا ما تستعمل في تلك الديار لنقل الركاب عندما يمنع

بكاثف الثلوج القطار من المسير

وقبل ان تسير المركبة في وسط تلك القفار الشاسعة اراد المستر فوج ان يترك السيدة عائدة تحت ملاحظة باسارتو فيقودها الى اوربا بدون ان تقاسي المشاق التي يقاسيها هو فأبت الفتاة الافتراق عنهُ ولومها عانت من المصاعب والاهوال فسر باسارتو باباءتها لذلك وعظمت في عينيه

وعند الساعة الثامنة كانت المركبة مستعدة للمسير فركبها المسافرون وجلس سائقها امام الدفة وبعد فترة نشر لهما قلعين فقط فسارت بهما سير البرق على صفحات الافاق تقطع في الساعة مسافة اربعين ميلاً وإذا استمرت الريح تخدمها ولم يطرأ عليها حادث غير منتظر بلغت لامحالة محطة اوماحا قبل قيام القطار منها الى شيكاكو

وقد كان لصاحبها همة وفية في تسييرها ورغبة شديدة في البلوغ بها الى اوماحا في الاجل الذي ضربه لهُ فوج حتى ينال الجائزة التي وُعد بها علاوة على الاجرة ولا عجب لذلك اذا رأيناه باشرًا جميع قلوعها بقصد الاسراع في المسير ولبثت الريح تخدم سير المركبة وتدفع قلوعها الكثيرة بشدةٍ حتى جعلت لمسيرها سرعة يعجز عن وصفها اليراع ولا تضاهيها سرعة البخار وقد قطعت البيد والقفار باسرع من لمح البصر حتى انهُ من فرط سرعتها وشدة اهتزازها لم يستطع الركاب اثناء الطريق ان يفوهوا ببنت شفة وبعد الظهر اقتربت من نهر بلات المتجمد الذي لا يبعد عنه محطة اوماحا سوى عشرين ميلاً

وكان السائق قد علم بقرب الوصول الى اوماحا ولكنهُ كتم ذلك عن الركاب بقصد ان يباغتهم السرور

وما حلت الساعة الواحدة بعد الظهر حتى طوى السائق القلوع واوقف مسير المركبة وهرول الى الركاب فقال لهم — بشراكم بشراكم قد بلغتم المراد ووصلتم الى محطة اوماحا وها القطار على اهبة المسير فاسرعوا بالنزول

فضج الجميع باصوات السرور ونقد المستر فوج السائق اجرته والجائزة التي وعده بها وانطلقوا جميعًا الى القطار وما

ركبوه حتى قام وطار يطوي السهول ويعد المستر فوج ورفقاءه سلوع المأمول كأنهُ عالم بالضرورة القاضية على المستر فوج بسرعة الوصول الى نيويورك

اما القطار فوصل في الساعة الرابعة من مساء اليوم التالي اي عاشر دسمبر الى محطة «شيكاكو» التي تبعد عن نيويورك مسافة تسعمائة ميل وقد قام بعد برهةٍ من هذه المحطة فسار نحو نيويورك ووصل اليها في حادي عشر الشهر المذكور عند الساعة الحادية عشرة وربع من المساء اي بعد قيام الباخرة شاينا الى ليفربول بخمس واربعين دقيقة

الفصل الثاني والثلثون

مثل الغريق نجا ووافى ساحلاً
فاذا الاسود روابضٌ بجوارهِ

في كل يوم حادث جديد يلقي في سبيل المستر فوج عقبات التأخير كأن الايام أبت الا ان تضرب عليهِ حجابًا من الموانع كثيفًا او كأنها آلت على نفسها ان تجعل لهُ اليأس حليفًا فهو لا يداوي جرحًا حتى تسيل جروح ولا يذلل مصاعب حتى تدهمه اخرى كأنه هو وحده في الارض عدو للزمان

ولم تُبقِ فيه سفر الباخرة شاينا ولم يدر فقد ذهب ببقية امله وقطع رجاءه من نجاح رحلته بعد ان كابد من اجلها المشاق والاتعاب ولما بلغ هذه الدرجة من سوء الطالع عول على مكافحة نحسه بثبات لعله يظفر به فواعجباه ممن يضيقون ذرعًا ويفزع صبرهم عند وقوعهم في احدى النكبات ولا يستطيعون التخلص منها كأنهم لا يجدون لهم مخرجًا منها وهو داب الجبناء الاغبياء

واخذ المستر فوج يخطر على رصيف الما ويسأل كل من وجده عن ميعاد سفر البواخر الى ليفربول رأسًا في تلك الليلة فلم يأته احد بالنبأ الشافي لغليل فؤاده فانهُ لم يكن في المرفاء بواخر برسم السفر رأسًا الى ليفربول وانما كان فيه سفينة فرنسوية من شركة الترانساتلانتيك على عزم ان تسافر في ١٤ دسمبر الى مياه الهافر لا رأسًا الى ليفربول ولوندرة وكان غيرها ايضًا سفن اخرى من شركات متعددة عازمة ان تسافر ايضًا في الميعاد

داته الى الهاور

وبعد ان سبر المستر فوج غور جميع البواخر العازمة على السفر ولم يجد بينها واحدة مسافرة على الفور قال في نفسه شرٌّ الصباح ولا خير المساء

دع التقادير تجري في اعنتها
ولا تنمنّ الا خاليَ البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها
يغير الله من حال الى حال

وقد اكترى مركبة احتملته بمن معه الى فندق الاديس نقولا . حيثما عدت لهم فيه المبايت فنام المستر فوج تلك الليلة ملء جفنيه شأن من ليس لديه شاغل يشغل افكاره فيقدح لاجله زناد فكرته اما السيدة عائدة والشاب باسارتو فقد صرفا الليلة تمامها يتقلبان على جمر الارق خافقي القلبين خامدي النفسين آسفين على اخفاق رحلة المستر فوج

واليوم التالي كان يوم ١٢ دسمبر فمن الساعة السابعة من صباحه حتى الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ من مساء اليوم الثاني والعشرين يبقى للمستر فوج تسعة ايام وثلاث عشرة ساعة و٤٥ دقيقة من ايام رحلته المعينة فلو سافر على الباخرة ثانيا لكان وصل الى لوندرة في الوقت المطلوب

وعند الصباح نهض المستر فوج من رقاده واستدعى اليه باسارتو واخبره بخروجه واوصاه بملاحظة الفتاة وايقاظها من النوم وخرج من الفندق سائرًا حتى وصل الى شاطئ هيدسون فرأى السفن والبواخر راسية في مياه هذا النهر بالقرب من الرصيف وبينها باخرة تجارية يتصاعد الدخان من مدخنتها اشارةً الى قرب سفرها فتوجه اليها المستر فوج بسرعةٍ لم يطلق بها احد من قبله وما وصل اليها حتى انفرد من ربانها وكان رجلاً قد ناهز الخمسين من سنيه واسمهُ القبودان اندراوس سبيدي دي كارديف واسم باخرته . هانريته . فسأله المستر فوج بقوله

— الى اين انت مسافر بالباخرة

— الى بوردو

— كم ميل تقطع هذه الباخرة في الساعة

— من ١١ الى ١٢ ميلاً

— اتريد ان تؤجرني اياها الى ليفربول

— ليس ذلك بامكاني لاني مسافر الى بوردو

— ولو مهما دفعت لك من الاجرة

— نعم

— اذا لم ترد ان تؤجرها فاني اشتريها منك

— كيف ابيعها وهي باب رزقي

فحار المستر فوج في امره ولم ينفعه الاسراف في هذه المرة ولا الدرهم الوضاح كما نفعهُ في كون كون فاكترى به السفينة تانكادير

ثم قدح زناد فكرته في ايجاد الطريقة التي تمكنهُ من استئجار الباخرة من ربانها فخطر بباله ان يطلب من الربان ان ينقله مع رفقائه الى بوردو فطلب ذلك من الربان فاجابه بقوله

— ان باخرتي لا تحمل ركابًا ولو تدفع الراكب مائتي ريال

فقال فوج

— اني ادفع لك الفي ريال عن كل راكب اي عبارة عن ١٠٠٠٠ فرنك

فقال الربان

— وكم يبلغ عددكم

— اربعة اشخاص

فلما سمع الربان لفظة الفي ريال عن كل راكب هاج فيه عامل الطمع وأمرَّ يده على جبينه شأن المتروي في الامر ولما تبين جسامة الاكتساب بدون ان يلحق سفره تغيير ما التفت الى المستر فوج وقال له

— استعد للسفر في الساعة التاسعة

وكانت الساعة اذ ذاك ٨½ فنزل المستر فوج الى البر وسار في مركبته الى فندق « القديس نقولا » فاحضر عليها الفتاة عائدة والشاب باسارتو والمصاص فيكس الذي بات رفيقًا لهم غير مفارق فوصلوا الى الباخرة في ميعاد سفرها

وعندما علم باسارتو بالاجرة التي نقدها مولاه عن كل راكب صعد زفير التحسر والتأسف على المبالغ التي بذلت بسببه ولكن فيكس كان يتميز غيظًا من اسراف المستر فوج وتبذيره حرصًا على مصلحة بنك انكلترة لان مصاريف فوج بلغت الى الان فوق سبعة الالاف ليرة استرلينية

الفصل الثالث والثلثون

وقد سافرت بالافاق حتى
رضيتُ من الغنيمة بالاياب

وبعد مرور ساعة من الزمان مرت الباخرة بالسفينة البحارية الراسية في مدخل البوغاز لارشاد البواخر والسفن الشراعية الى طريق المرور فيه وتحولت نحو نقطة « ساندي هول » الى ان اعتدلت ظهر اليم واتجهت نحو الشرق بعد ان اجتازت طول الجزيرة التي تقذف المواد النارية من براكينها وظلت سائرةً في عرض البحر تشق العباب وتخترق الامواج حتى اقبل ظهر الغد الواقع في ١٣ دسمبر وصعد الى سطحها رجل واستلم قيادتها فحول سيرها الى نقطةٍ يقصدها من سفره

وما ادراك من هو ذاك الرجل — هو المستر فيلاس فوج الذي يبتغي السفر الى ليفربول على ظهر الباخرة بأبريته وما مكنه رئيسها من مقصده فاستعمل الخديعة والدسيسة في مدة الثلاثين ساعة التي مضت على وجوده عليها حتى استمال اليه خواطر ملاحيها بالملايين وبذل الدينار فبذلوا طاعة ربانهم ظهريًا وغدوا لاوامره مطيعين طوع البنان فلما تبين الرئيس منهم التمرد والعصيان تمزق غيظًا وتركهم وشأنهم خوفًا من شرهم وانزوى في حجرته كئيبًا حزينًا فعند ذلك صعد المستر فوج الى ممشى الباخرة يسوقها الى ليفربول بالسرعة المطلوبة

وسارت الباخرة لازمة حد الاعتدال في سرعتها القانونية تقطع في الساعة من ١١ الى ١٢ ميلاً واذا لبثت الريح خادمة لها ولم يحدث في البحر انواء ولم تثر زوابع ورياح ولم يطرأ على الاتها تعطيل تصل بحول الله الى ليفربول في ٢١ دسمبر

ووقف باسبارتو على خديعة مولاه فغبطه على افلاح مسعاه وانطلق سعيدًا فرحًا يمشي على سطح السفينة مرحًا ويخطر بين نوتيتها مفعم القلب هناء وسرورًا فتحولت اليه انظارهم واباحوا له ان يتكلم معهم حتى امتزج بهم لامتزاج الارواح بالابدان وكان يقضي معظم الاوقات معهم بالضحك والمزاح فيقص عليهم النوادر الهزلية والقصص المضحكة مظهرًا لهم ما لديه من العلم وما فيه من الذكاء بافصح

لسان واعدب بيان وكان في بعض الاحيان يدير عليهم كؤوس المدام ويدعوهم بارق الالفاظ حتى استمالهم اليه بما فطر عليه من حسن الاخلاق وطلاقة الوجه ولين العريكة وقد كان الملاحون يبذلون ما في وسعهم في سبيل تسيير الباخرة بنشر القلوع وشد الحبال ابتغاء لمرضاة باسبارتو الذي تملك حبه قلوبهم اما فيكس فكان جاهلاً للامر لا يدري لقيادة فوج للباخرة سببًا ولا يعرف لا نقياد الملاحين لاوامره سرًّا والذي حيل له والحالة هذه هو ان المستر فوج كما تمكن من سرقة ٥٥ الف ليرة من بنك انكلترة تمكن الآن من سرقة الباخرة فاخذ يقودها الى حيث يشاء ويريد فلما خطر بباله هذا الفكر عض اصابع الندم على ركوبه فيها ولكن ماذا ينفع الندم وقد زلت القدم

ومرت الباخرة في ثالث عشر دسمبر بذيل كثيب من الرمال واقع في نقطة غير جيدة من البحر المحاط بالارض الجديدة يكثر فيها هياج الامواج وتكاثف الضباب خصوصًا في فصل الشتاء وقد سبق المستر فوج فعلم في الليلة الماضية من ميزان الهواء انهُ سيحدث تغيير في الجو وتبديلاً في الرياح التي ما لبثت ان هبت بين الشرق والجنوب وبناء عليهِ اشار الى الوتية بطي القلوع لئلا تلعب بها الرياح فتقود السفينة الى حيث تشاء

وعندما هبت الرياح وثارت الامواج فاشتد هياج في ذلك البحر العجاج وقع باسبارتو صريعًا يقاسي الم البحر والخوف من فقد الحيوة وتأخر الباخرة عن الوصول في اليوم المعين فيخفق مسعى مولاه ولا عجب اذا كان مكتئبًا حزينًا مضطرب البال منقبض الصدر منفعل النفس يروم للباخرة خروجًا من موقعها الحرج

وفي الواقع ان الباخرة كانت في خطر شديد من الغرق لان الرياح شددت عليها الوطأة والامواج ثارت عليها بشدة فكانت ترفعها وتخفضها وتندفع على سطحها وتقلبها تارةً يمينًا وطورًا شمالاً وقد ابدى المستر فوج شجاعةً كلية فانهُ اذ لم يكبُ لهُ جواد جهدٍ ولم يخفق لهُ قلب ولم يضطرب لهُ بال بل كان

واقفاً يلقي الاوامر الى مهندسي الآلة والايعارات الى ملاحي السفينة بدون ان يعباء بالخطر الذي يتوعده والشدة التي كان فيها وبدون ان يطلب من السماء تفريج الكربة الدهماء

واستمرت الحالة على ما تقدم الى ان اقبل اليوم السادس عشر من شهر دسمبر وكان هذا اليوم هو اليوم الخامس والسعون من مبارحة المستر فوج لمدينة لوندرة ففي غضونه صعد مهندس الباخرة الى ظهرها وتقابل مع المستر فوج ودار بينهما الحديث وطال فما وعى منهُ باسبارتو غير الكلام الآتي

فوج . هل تأكد لديك ان الباخرة تقدمت كثيراً في سيرها

المهندس . اني على يقين مما قلت لانا اوقدنا النار في جميع خلاقينها ولذلك فالفحم اوشك ان ينتهي لانهُ لم يكن في سابق علمنا ان الباخرة ستقلع الى ليفربول ومن ثمَّ لم ندخر لها المؤنة الكافية لاملاعها الى بوردو فقط

فوج . سأتدبر الامر

ولما عرف باسبارتو ان مؤنة السفينة من الفحم على وشك النفاد ضرب اخماساً لاسداس وانصرف عنهُ الالم الذي كان معترياً اياه ثم اخذ يفكر في الفحم والسفينة حتى تقابل مع فيكس فاطلعهُ على الامر فقال لهُ فيكس

— اتظن ان المستر فوج يسير الباخرة الى ليفربول

فاجابهُ باسبارتو

— لا محالة

فهز فيكس كتفيه وطوى عنه كشحاً بعد ان قال لهُ

— يا لك من ابلهٍ مغرور

(عودٌ الى فوج) اما المستر فوج فكان واقفاً على سطح الباخرة يفكر في الوصول الى طريقةٍ تضمن للسفينة اطراد السير وبعد استغراق بضع ساعاتٍ في التأمل استدعى بالمهندس الذي حالما امتثل بين يديه تلقى منهُ التعليمات اللازمة وعاد الى مكان الالة فاشعل الفحم في جميع خلاقينها فصعد من المدخنة دخان كثيف حجب وجه السماء عن الابصار وبعد مضي يومين سارت بها السفينة بسرعةٍ لا توصف نفد منها الفحم فاقبل المهندس على المستر

فوج يقول لهُ قد نفذ الفحم فما العمل
فاجابه . ضع ثقلاً على لولب الآلة ولا
تخفف النار بل انتظر امامها حتى يأتيك
ما توقده قال هذا واستدعى في الحال
بخادمه باسارتو وأشار اليه باحضار
الربان سيدي فذهب الى حجرة الربان
لاستدعائه رغماً عن ارادته لانه لم يكن
يجهل غيظه وحنقه على مولاه وفي الواقع
ان الربان كان مستشيطاً غيظاً فخرج
من حجرته لمقابلة المستر فوج كنمرٍ خارج
من مربضهِ اوكصاعقة قريبة الانفجار
ثم خاطب المستر فوج عن بعدٍ
بحدةٍ ومقت وقال له :
— اين نحن
فاجابه فوج
— نحن في نقطةٍ تبعد عن ليفربول
مسافة مائة وسبعين ميلاً
الربان . وماذا تريد مني اذا كان
لك دراية تامة في فن البحر ولماذا استدعيتني
اليك
فوج . اريد منك ان تبيعني هذه
الباخرة لاحرقها لان الفحم فرغ منا
الربان . يا للحسون استحلفك بملائكة
السماء وبابالسة الجحيم ان لا تكلمني في مثل
هذا الشأن فكيف اسمح لك باحراق
باخرتي وهي باب رزقي وقد كلفتني من
النفقات خمسين الف ريال
فوج . مد يدك فها ٦٠ الف ريال
(٣٠٠٠٠٠ فرنك) ثمنها وما عدا ذلك
فاني عندما اصل الى ليفربول اهبك
الآلة البخارية وحديد السفينة وسائر ما
ينجو فيها من الحريق ولا تحسبنَّ من
اسرافي فللضرورة احكام لا بد من الرضوخ
اليها والحالة تضطرني ان اكون في ٢١
دسمبر عند الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥
ليلاً في لوندره واذا اخطأت هذا الميعاد
اخسر مبلغ عشرين الف ليره
فتناول الامركاني السفاتج بيده وخمدت
في قلبه نار الغضب المستعرة وابتهج محياه
وابتسم ثغره وطفق يحسب قيم السفاتج
وبعد ذلك دسها في جيبه ولا تسل
عن الصاص فيكس فانهُ عندما رأى
الامركاني يعد قدراً عظيماً من السفاتج
اصبح كمن اصابته حمة وتأجج فؤاده بنار
الغضب والسخط على فوج الذي كان
يبذل الدينار من غير حساب

وبعد ان قبض الربان سبيدي ثمن باخرته صار المستر فوج حرًّا بان يتصرف فيها كيف شاء وشاء عليه امر تكسير اخشاب الغرف وسطح السفينة وتقديمها للنار فابتلعها اللهيب عاجلاً وفي تاسع عشر دسمبر قدموا للنار الصواري وخشب العابر وقوارب السفينة وكان الملاحون يوقدون الاخشاب باجتهاد وباسبارتو يكسر القطع الكبيرة الضخمة وفي العشرين من شهر دسمبر نفدت اخشاب السفينة وما بقي فيها سوى الصاج والحديد والآلة الا انها كانت قد اشرفت على مدينة كينستاون من اعمال ارلنده فساقها المستر فوج نحو المرفاء فدخلته سالمةً فخرج منها مع رفقائه الى البر وقد ودع الربان سبيدي ونقد النوتية والوقادين والمهندسين الجوائز التي وعدهم بها

وما نزل المستر فوج الى الارض مع رفقائه حتى اخذ فيكس يتدبر الحيلة في القبض عليهِ ولكنهُ استقبح ذلك بالنظر الى ما عامله بهِ فوج من المعروف والاحسان ثم ساروا جميعًا فركبوا القطار من كينستاون في الساعة الواحدة ونصف من الصباح فسار بهم الى دوبلين ومنها ركبوا باخرة صغيرة فوصلوا الى ليفربول في ٢١ دسمبر عند الظهر

وما وطئوا ارض ليفربول حتى تقدم فيكس الى المستر فوج ووضع يده على كتفه وقبض في يده الاخرى على الامر الذي تلقاه من لوندره بتوقيفه وقال لهُ

— انت المستر فوج شخصك

— نعم

— اني القي القبض عليك باسم جلالة الملكة

الفصل الرابع والثلاثون

وما زلت اقطع عرض البلا
دِ من المشرقين الى المغربينِ
وادرعُ الخوف تحت الدجى
واستصحب النسر والفرقدين
واطوي وانشر ثوب الهمو
م الى ان رجعت بخفي حنينِ

ولما قبض على المستر فوج ادخل الى احدى غرف سراي الجمرك في ليفربول على عزم ابقائه فيها مسجونًا الى ان ترد

الاوامر بنقله الى لوندره وعندما كان اللصاص فيكس يلقي القبض عليه هَمَّ باسارتو على الفتك به فردعه الشرط بالتهديد والوعيد اما السيدة عائدة فكانت واقفة موقف المذهل الحائر ولما اطلعها باسارتو على كنه الحالة تمزق فؤادها اسفًا على مفقدها المستر فوج ولما رأت نفسها عاجزة عن انقاده جعلت دأبها النوح والبكاء

وكان باسارتو يلوم نفسهُ اشد اللوم لكتمانه عن مولاه امر فيكس فكان يقول في نفسه لو انذرت مولاي بالامر وبحت لهُ بالسر لما عدم وسيلةً من اقناع اللصاص براءته وعلو مكانته وترفعه عن التهمة التي يوجهها عليه ولكن ماذا ينفع الندم وقد سبق السيف العدل

وجلس باسارتو مع السيدة عائدة على مقعدٍ تحت رواقٍ مستهدفٍ للريح الباردة والبرد القارس

وكان وصول فوج الى مدينة ليفربول في الساعة الحادية عشرة والدقيقة ٤٠ من يوم ٢١ دسمبر اي قبل انتهاء مدة رحلته تسع ساعات و٤٥ دقيقة يصرف منها ست ساعات في الذهاب من ليفربول الى لوندره ويستريح في داره الكائنة في شارع سافيل الى حلول الوقت الذي عينه لوجوده في القلوب وبعد ان اصبح على يقين من نجاح رحلته العجيبة التي شهد فيها الاهوال ولقي المصاعب وذلل العقبات امسى في حالة اليأس لان فشله يجلب عليه العار والشنار وخراب الدار فانهُ يفقد قيمة الرهان ويصير مضغة في فم الزمان ويذوق طعم الذل والهوان ويقاسي الم الفقر المدقع وبعد ان دخل الى سجنهِ جلس على متكاءٍ فيه ووضع ساعته على مائدة امامه ينظر الى حركة عقربها بدون ان يفوه ببنت شفة او تبدو على وجهه علائم القلق والاضطراب والغم والاكتئاب وبعد ان اغلق عليه باب سجنهِ انقبض منهُ الصدر وتأجج في فؤاده سعير الغضب فكان ينهض من مكانه ويمشي في الحجرة طالبًا لمخرج يهون لهُ سبيل الفرار فيلقى على النوافذ قضبانًا حديدية تحظر عليه الخروج ويلقى الباب متينًا لا يستطيع كسره فيعود ويجلس في مكانه ويخرج من جيبه دفتر رحلته

فيقرأ السطور الاتية
(٢١ دسمبر) . (السبت) (ليفربول)
(٨٠ يومًا) . (الساعة ١١) (والدقيقة
٤٠ صباحًا)

ثم اعلن جرس ساعة الكمرك ان الوقت بلغ الساعة الاولى من بعد ظهر النهار فنظر المستر فوج الى ساعتهِ فوجد فيها تأخيرًا بلغ زهاء الدقيقتين فافترض حينئذٍ انه اذا ركب الاكسبريس القائم في الساعة الثانية يصل الى لوندره ويلج غرفة الغلوب قبل الساعة الثامنة

وعند الساعة الثانية والدقيقة ٣٣ سمع ضوضاء ثم صرير ابواب تفتح ثم صوت باسارتو ثم صراح فيكس فنظر الى باب السجن فرآه مفتوحًا والسيدة عائدة داخلة منه ركضًا فاقتربت منه وقبضت على يديه ووراءها باسارتو فتوجه معها فوج الى الباب فرأى اللصاص فيكس مرخي شعور الرأس غائبًا عن الحواس فلما رأى فوج اطرق في الارض خجلاً منه وقال له بصوت متلجلج

عفوًا عفوًا يا مولاي .. فيك تشابه كلي . وقد قبض على اللص منذ ثلاثة ايام وانت مُطلق السبيل

فحملق فوج في وجههِ واندفع نحوه فلطمه لطمة كادت تكون القاضية فقال له باسارتو

ــ عافاك الله ياسيدي وحيَّاك لا شلت يداك ولا اشمت بك اعداك اوسع هذا اللئيم ضربًا فبالحقيقة يا مولاي

اذا انتَ اكرمت الكريم ملكتهُ
وان انت اكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندى في موضع السيف بالعلى
مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى

وبعد ذلك انطلق فوج بالسيدة عائدة والشاب باسارتو الى محطة ليفربول واستخبر عن ميعاد قيام الاكسبريس فقيل لهُ انهُ قام منذ ٣٥ دقيقة فطلب من وكيل المحطة قطارًا مخصوصًا فاعد له قطارًا عند الساعة الثالثة (بعد ان خلت السكة من القطارات الاعتيادية) فركبه مع رفيقيه (بعد ان انفرد بالمهندس ووعده بجائزة نقدية اذا طار بالقطار الى لوندرة) وسار بهم وفي ظرف خمس ساعات ونصف ساعة اوصلهم الى لوندرة

ولما خرج رجل الرحلة من العربة مع

السيدة عائدة وخادمه ووطئوا محطة لوندرة دقت الساعة ثماني دقات والدقيقة ٥٠ في انحاء لوندرة فكان تأخره عن الزمان الذي حدده في صك الرهان خمس دقائق فيكون اذن قد خسر الرهان

الفصل الخامس والثلثون

كيف ان باسارتو نفذ اوامر مولاه عاجلاً

لو علم سكان شارع سافيل باياب المستر فوج لاخذهم العجب وكيف يعلمون بذلك وما رأوا فوج وما تبينوا في منزله تغييرًا من حيث فتح الشبابيك والابواب

وعندما بارح المستر فوج محطة لوندرة اتجه نحو منزله بالسيدة عائدة وامر باسارتو بان يذهب الى السوق لابتياع بعض الحوائج واي يراع يمكنه ان يأتي بوصف حالة فوج بعد عودته الى منزلهِ فوان يكن لم تبدُ على وجههِ علائم القلق والاضطراب والغم والاكتئاب ولكنه كان عائدًا لا شك يخفي حنين لاخفاق مسعاه بعد ان جاب الافاق وذلل المصاعب واقتحم الاهوال واصطنع اثناء طريقهِ المبرات وبعد ان كان على وشك الوصول الى المرام فعاقه عن كل ذلك من احسن اليه وهو ذاك البصاص الذي قبض عليه بصفة لص مجرم

ومن يعلم ان المستر فوج اصبح فقيرًا ولا يتأسف عليهِ لان المبالغ التي احتملها معه في رحلته وكان قد انفقها لم يبقَ منها سوى النزر اليسير ومبلغ العشرين الف ليرة الموضوع في بنك بارين اخوان قد فقده الان وامسى ملكًا لرفاقه الذين عقد معهم صك الرهان على الطواف حول الارض في ثمانين يومًا

وقد تخصصت حجرة للسيدة عائدة في بيت سافيل فدخلتها حزينة وانزوت فيها مكتئبة قلقة البال على حالة المستر فوج الذي ربما جرّه القنوط كما جرّ غيره من ابناء جلدته الى ما لا تحمد عاقبته واما باسارتو فحالما صعد الى غرفته اطفأ نور الغاز الذي كان قد تركه موقدًا بعد ليلة الرحلة وقد وجد في صندوق الخطابات المعلق في حائط بيت سافيل بيان لثمن الغاز الموقود محرر من قبل شركة الغاز في لوندره

ومرَّ الليل عليهم جميعًا وهم على ارقٍ

وسهاد وعند الصباح قرع المستر فوج جرس الاستدعاء لخادمه باسارتو وامره باعداد الطعام للسيدة عائدة وان يعد لهُ كاسًا من الشاي وقطعة من اللحم وقضى النهار بتمامه وهو يشتغل بترتيب بعض اشغالهُ وعند المساء طلب من السيدة عائدة ان يتفاوض معها بعض دقائق وكان طلبه لها بواسطة باسبارتو

وقضى باسارتو النهار بطوله مستسلمًا للغم منقادًا للحزن شأن من عرف خطاءه فاقر بذنبه ثم عض اصابع الندم على عدم اخطار مولاه بمكنونات ضمير النصاص فيكس وما كان ينويه لهُ من الاذى والغدر بالقبض عليهِ متى سنحت لهُ الفرصة ومن عظم ما كان يبكته به ضميره هام في اودية التأمل ثم نهض وذهب الى حجرة مولاه وانطرح على قدميه قائلاً لهُ بصوتٍ متهدج

— مولاي مولاي انا السبب في عكك وكربتك وبلواك وحزنك و..

فاستوقفهُ المستر فوج عن الحدوث واجابه بملء الرصانة

— لا لوم عليك ولا تثريب فاذهب وانظر الى واجباتك

فخرج وانطلق الى حجرة السيدة عائدة فالفاها على حالةٍ من القلق والكمد لا توصف فقال لها

— مولاتي ادهي غير مأمورةٍ عند مولاي وانقذيه من عذاب الضجر واليأس تجلي لهُ في مظهر الجمال فانتِ بهجة الانظار وفتنة الافكار وانتِ لا تعدمين وسيلةً في تسلية خاطره وتفريج كربته

فاجابته عائدة بقولها

— وكيف اظهر لهُ بهيئة الغم والكمد العلهُ مرتاب في صدق ولائي وفرط ثنائي على ما عاملني بهِ من المعروف والاحسان واني ارى من الصواب ان ألبث متربصةً الى المساء فانهُ سيجتمع بي حسب قولك للمفاوضة معي

وكان يلوح في ذلك اليوم على بيت سافيل علائم الاستيحاش ومذ ان سكنه المستر فوج لم يلبث فيهِ محجوبًا عن اعين الناس النهار بطوله الا في ذلك اليوم ويا عجباه فالى اين يذهب . ألى الغلوب ان رفقاءهُ ليسوا بانتظاره لانهُ لم يحضر اليهم في الليلة المعينة حسب وعده

ام الى بنك بارين اخوان فان العشرين الف ليرة المطلوبة لهُ منهم قد فقدها بفقد الرهان فالاجدر بهِ والحالة هذه ان يلبث في منزله منتظرًا فرج الله العاجل

وكان باسارتو اثناء ذلك النهار يصعد السلم وينزلها مرة بعد اخرى ثم يذهب الى غرفة مولاه فيجدها معلقة فيعود الى حجرته ثم يخرج منها ذاهبًا الى غرفة مولاه ايضًا فينظر الى ما داخلها من ثقب قفل الباب ليرى مولاه كأنَّهُ تصور ان تلك الحالة ربما افضت بالمستر فوج الى القنوط من الحيوة وقد خطر لهُ ايضًا ان ينتقم من البصاص فيكس غير انهُ بعد التروي والامعان علم ان فيكس لم يجنِ عليهِ ذنبًا فانهُ قام بواجب وظيفته ولو انهُ اخطأً المرمى

وبعد الساعة السابعة ونصف من المساء استأذن فيلاس فوج الدخول الى غرفة السيدة عائدة فدخل حجرتهـا وجلس على كرسيٍ بالقرب منها وبعد سكوتٍ استمر مدة خمس دقائق قال لها

— ارعني السمع يا مولاتي قد اتيت بكِ هذه الديار الانكليزية على امل ان تعيشي بها ناعمة البال بما اضعهُ بين يديكِ من المال اما الان وقد اصبحت فقيرًا فاسمحي لي ان القي اليكِ ما بقي عندي من النقود الى ان يمن الله عليكِ بالفرج وقد بلغتِ الان ديارًا تأمنين فيها شر اولئك الهنود الذين كانوا عازمين ان يميتوكِ شر ميتة

فاجابتهُ عائدة بقولها

— صدقت يا مولاي فاني لا انكر لك فضلاً ولا اكفر باحسانك

فلاشكرنك ما حييت وان امت فلتشكرنك اعظمي تحت الثرى

ولكن يا مولاي قل لي ناشدتك الله ما سيؤول اليه امرك

— ساعيش بسرورٍ وهناء وسعادةٍ وصفاء

— اين اصدقاؤك واقرباؤك يفرحون كربتك

— ليس لي احد غير الله

— اي وخالق الحب والهوى وفالق الحب والنوى ان الموت لاهون عليَّ من الحيوة مبتعدةً عنك ولا يطيب لي العيش في بعدك فهلاً تجود عليَّ بامنية فوادي

وتتخذني روحة لك

فأ تر هذا الكلام في مواد المستر فوج ثم نظر الى وجهها نظرة المحب وقال لها بتأدبٍ واحتشام

— اني احبك حبًا فائق الوصف

ثم استدعى اليه بخادمه باسبارتو وكانت الفتاة قد قبضت على يديه وضمتها الى صدرها فنظر اليها نظر الواله ثملاً بخمرة الوجد وبينما هما على هذه الحالة اذ دخل عليهما باسبارتو ولما رآهما في حالة السرور استنار وجهه كالشمس حينما تبرع من دائرة الانقلاب فقال لهُ مولاه

— الم يفت الوقت على استدعاء الاب صاموئيل ويلسون من كنيسة السيدة

فتبسم باسبارتو وقال له

— لا لم يفت الوقت وما الساعة الان الا ٨ و٥ دقائق

فالاوفق ان تخطر القسيس مذ اليوم ليستعد للحضور باكرًا يوم الاثنين

فالتفت فوج الى الفتاة وقال لها

— موعد اللقاء بيننا غدًا . فقالت له

— اصبت

ثم خرج باسبارتو ليخطر حضرة الاب صاموئيل

الفصل السادس والثلثون

كيف ان سوق فيلاس فوج استأنف رواجه في لوندرة

واختلفت الاقوال وتباينت الاراء في شأن جامس ستراند الذي أُلقي القبض عليهِ في سابع عشر ديسمبر لارتكابه سرقة بنك انكلترة وقد ذاع خبر جنايتهِ في جميع الولايات المتحدة فرمتهُ الالسنة باسهم الملام وعنفتهُ بامرّ الكلام

وقد كان المستر فوج منذ ثلاثة ايام مأخوذًا بصفة لص مجرم يقتفي اثرهُ رجال الحكومة للقبض عليهِ واما الان فقد حصحص الحق وظهرت براءته وعلم انهُ كان يتم رحلته حول الارض باكمل دقة وضبط احدث اقلام ارباب الجرائد تخوض في بيان الامر حتى شغلت سكان لوندرة فاخذ القوم يستأنفون عقد الرهان بحيث انحصرت الاشغال في مسألة الطواف حول الارض

اما رفقاؤه الخمسة اعضاء العلوب

فقد قضوا الثلثة الايام التي مرت من تاريخ القبض على لص السلك جامس ستراند في قلق واضطراب وكانوا يتوقعون عود فيلاس فوج اليهم ساوـــد الصبر مسترسلين في الظنون والتخامين فيما اذا كان قد عدل عن عزمه ام مات في الطريق ام سيعود اليهم في الحادي والعشرين من دسمبر في الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ من المساء

ولما لم يقعوا له على اثر بعثوا بالرسائل البرقية الى امركا واسيا يستطلعون اخباره وكانوا يتفقدون صباحاً ومساءً منزله في شارع سافيل لعله يكون قد آب اليه و يحثون على القصاص فيكس الذي اخطأ المرمى فما وقعوا له على خبر

ولذلك دبت الايدي تعقد صكوك الرهان اعتقاداً ان المستر فوج فارس ذلك الميدان لا يصل الا في آخر دقيقة ولكن اوراقه انحطت الى عشرين وعشرة وخمسة غير ان الشيخ الكسيح اللورد البرمال كان يشتري اوراق فوج بقيمتها الاصلية

وما اقبل مساء السبت حتى تقاطرت الناس نحو الغلوب ينتظرون اياب المستر فوج حتى ضاقت بهم فسحات الطرقات وانصب بينهم ميزان الجدال وخصوصاً السماسرة منهم وقد احتدم بينهم الجدال حتى علت الضوضاء تشق كبد الفضاء وقد خيف بسبب الازدحام من حدوث امور مخلة بالراحة العمومية فتداخلت الشرطة وحاولت منع الازدحام فلم تفلح . وكانت الجماهير الغفيرة تزداد تجمعاً حول الغلوب كلما اشتد تداني الوقت المعين واجتمع في تلك الليلة منذ الساعة السادسة في قاعة الغلوب حضرات المتراهنين يوحنا جلليغان وصاموئيل فالنتين واندراوس ستوار وجونيه رالف (مدير السلك المسروق) وتوما فلاناجان وعندما بلغت ساعة الغلوب ان قد انقضت الساعة الثامنة والدقيقة ٢٥ قام اندراوس ستوار وقال

ـ سادتي لم يبقَ للمستر فوج الا ٢ دقيقة

فسأل توما فلاناجان عن الوقت الذي وصل فيه آخر قطار قام من ليفربول فاجابه جونيه رالف أن قد ورد قطار في الساعة السابعة والدقيقة ٢٣ وسيحضر قطار آخر بعد منتصف الليل

فقال ستوار . لو حضر المستر فوج على قطار الساعة السابعة والدقيقة ٢٣ لكان وصل اليا فوالحالة هذه صار يمكنا الان ان نوقن باكتساب الرهن فاجابه فالنتين ان صاحبنا محب للضبط فربما يهد علينا في الثانية الاخيرة من الوقت المعين فقال ستوار اني لا اصدق ولو نظرتهُ بعيني فقال فلاناجان في الواقع ان مهمة المستر فوج لا يقبلها عقل فهو وان كان محبًّا للضبط فلا يمكنه ان يتجنب تأخير يومين او ثلاثة وهذا يكفي لاحباط مسعاه فقال سيللعان ان الطريق التي سار فيها محتاطة بالاسلاك البرقية ومع ذلك لم يرد الينا منهُ اقل نبأ فاجاب ستوار بصوتٍ عالٍ قائلاً سادتي ان المستر فوج قد خسر الرهن واعلموا ان اسمهُ غير مرقوم في كشف الركاب الذين حضروا الى ليفربول على الباخرة شانيا واظن (لا بل اؤكد لكم) انهُ اذا ساعده الطالع يكون الان قد حضر الى امركا وسيكون تأخيره لا اقل من عشرين يومًا فبناء عليه نكون قد ربحنا خمسة الاف جنيه التي راهنا عليها اللورد البرمال وذلك علاوةً على العشرين الف جنيه فاجاب جوتيه رولف . لقد اصبت فيما قلت وما علينا سوى ان تقدم طرس الحوالة الكائن في يدنا للخواجات بارين اخوان وتقبض بمقتضاه العشرين الف جنيه

وما اتم كلامه حتى دقت الساعة ٨ والدقيقة ٤٠ فقال ستوار لم يبقَ للمستر فوج سوى خمس دقائق فتبادل حينئذٍ هولاء الاعضاء النظرات وكانت قلوبهم تخفق كأنها تنذرهم بخسارة الرهن . وقد عرض عليهم فالنتين ان يجلسوا ازاء مائدة ويلعبوا الويست . فقال ستوار وهو آخذ في الجلوس ازاء المائدة اني لا اتنازل من حصتي (٤٠٠٠ جنيه) عن بارةٍ واحدة وحينئذٍ اشارت الساعة الى الساعة ٨ والدقيقة ٤٢ فتناولوا الورق ثم اخذوا يتبادلون النظرات من آنٍ الى آنٍ وعند الساعة الثامنة والدقيقة ٤٣ قطع فاناجان الورق ودفعهُ الى رالف ولم يسد السكوت دقيقةً واحدة في قاعة الاجتماع حتى علت ضوضاء في الخارج وعند الساعة الثامنة والدقيقة ٤٤ صرخ هيلليمان باعلى صوته قائلاً لم يبقَ الا

دقيقة واحدة فامسك رفقاؤه عن اللعب وشخصوا الى عقرب الساعة . وعند الساعة الثامنة والدقيقة ٤٤ والثانية ٥٥ سمعوا اصوات ابتهاج ديما خارج . الغلوب . وتصفيق استحسان فنهض اللاعبون للوقوف على الحر ومادنت الساعة الثامنة والدقيقة ٤٥ حتى فتح باب القاعة ودخل منه فيلاس فوج قائلاً لهم بصوت هادٍ ها انا دا

العصل السابع والثلاثون

كيف ان فيلاس فوج لم يكسب من الرهن سوى الشرف

مر بنا الكلام على وصول المستر فوج الى مدينة لوندرة وكيف انه استدعى بخادمه باسارتو (بعد ان صرف في منزله بشارع سافيل نحوًا من خمس وعشرين ساعة) وامره بالتوجه الى منزل الاب صاموئيل ويلسون ليحضر اليه في الغد ويكتب له عقد الزواج على السيدة عائدة . فذهب باسارتو الى منزل الاب المذكور قرير العين مسرورًا وبعد ان انتظره في منزله نحوًا من عشرين دقيقة تفاوض معه قليلا

ثم خرج من لدنه فرحًا مكشوف الرأس وسار في الطريق مسرعًا ينهب الارض ركضًا حتى انه عاد في برهة ثلاث دقائق الى مولاه ضنكًا من التعب لا يستطيع كلامًا فسقط الى الارض امامه فقال له فوج

— مادا الَّم بك

فاجابه متلجلجًا بقوله

— مولاي . الزفاف غير ممكن ..

— ولمادا

— لان يوم الغد هو يوم الاحد لا الاثنين فقم . قم . واسرع .

— الاحد . . اصدقني وافهم ما تقول

— أجل الاحد . . يا مولاي . انت على غلطٍ في يوم واحد فانا وصلنا الى هنا قبل الميعاد المعين باربع وعشرين ساعة وناشدتك الله بان تقوم وتذهب الى الغلوب اد ليس لديك من وقتٍ للجدال والاستفهام فادهب غير مأمور الى قاعة الغلوب فانهُ لم يبقَ لك سوى عشر دقائق

فنهض فيلاس لساعتهِ وخرج من منزله فاستدعى باحد ساقة العربات

ووعده بجائزة قدرها ١٠٠ ليرة اذا اوصله الى الغلوب في مدى عشر دقائق فاطلق السائق للخيول العنان فطارت بالعربة الى الغلوب واوصلت المستر فوج اليهِ في الاجل الذي ضربه للسائق والدقيقة التي يروم الوصول بها الى القاعة وبناء عليه كسب الرهن وهنا محل للعجب كيف ان هذا الرجل المحب للضبط المتروي في الامور يرتكب خطاء بحساب يوم واحد ولا يميز بين ايام الاسبوع بحيث لا يفرق بين الخميس والجمعة وبين السبت والاحد

على اننا اذا نظرنا الى هذا الخطاء عرفنا الاسباب التي نشأ عنها وهي في حد نفسها بسيطة جدًا

فمن المعلوم لدينا ان المستر فوج شرع في الطواف حول الارض من جهة الشرق سائرًا امام الشمس ومن المعلوم ايضًا ان للكرة الارضية ثلثمائة وستين درجة وفي اختيار كل درجة ينقص من ساعات النهار اربع دقائق واذا ضربنا الثلثمائة والستين درجة في اربع دقائق كان الحاصل اربعًا وعشرين ساعة وهذه صورة العمل

٤٦ درجة
٤ دقائق
١٤٤٠ الحاصل

محاصل الدقائق ١٤٤٠ وهاك تحويلهم الى ساعات

ساعات		دقائق
	٦٠	١٤٤٠
٢٤	٢٤	١٢
		٢٤
		٢٤

محاصل القسمة ٢٤ ساعة

اما المستر فوج في سيره نحو الشرق فقد رأى الشمس مرت ثمانين مرةً في دائرة النصف مع ان رفقاءهُ في لوندرة رأوها مرت في تلك المدة تسعًا وسبعين مرة فمن هنا نجح للمستر فوج ربح يوم واحد وهو اليوم الذي نحن في صدده وبعكس ذلك لو طاف حول الارض من الغرب لحصل لديه زيادة يوم واحد على الثمانين يومًا

وقد كسب المستر فوج بذلك قيمة

الرهن ولكنه كان قد تكبد من النفقات اثناء الطريق مبلغ تسعة عشر الف ليرة وبما انهُ كان يقصد بطوافهِ نيل الشرف لا اكتساب المال فقد وزع الالف ليرة الباقية على خادمه باسارتو والمنكود الحظ فيكس ومن اخلاقه الشاذة وطباعه الغريبة انهُ خصم من حصة باسارتو ثمن الغاز الذي بقي موقدًا في غرفته ايام الرحلة

وبعد ان عاد من الغلوب فائزًا بامنيته حاصلاً على بغيته باكتساب الرهن انفرد بالسيدة عائدة وقال لها

— هل انتِ مستمرة على عزمك من حيث الزواج

فاجابتهُ عائدة

— مولاي كان الاجدر بي ان اوجه اليك هذا السؤال الذي وجهته اليَّ لانك عندما قبلت ان تقترن بي كنت فقيرًا اما الان فقد صرت بحمد الله غنيًا

فقال لها فوج

— صدقتِ ايتهـا الحبيبة المفداة بالروح ولكن انتِ التي انقذتني من الفقر المدقع ساعة حدثتني بامر الزواج فارسلت خادمي الى الاب صاموئيل فعاد وراح الحجاب عن خطائي فلما سمعت عائدة هذا الكلام اخذت تدعوه بالطف اسماء المحبين وهو يجيبها باعذب الفاظ العاشقين كيف لا وقد عزما ان يرتبطا برابطة الزواج بعد ثماني واربعين ساعة ويكون باسارتو شاهدًا عليهما لانهُ هو الذي انقذ الفتاة من الحريق ومولاه من الفقر والاعواز

وفي غلس اليوم التالي نهض باسارتو من رقاده واتى حجرة المستر فوج فايقظهُ من نومه وقال لهُ

— مولاي قد اكتشفت الان على امرٍ مهم

— وما هو

— هو انهُ في امكاننا ان نطوف حول الارض في تسعة وسبعين يومًا فقط

— نعم يا بني ولكن اذا لم نقطع صحارى الهند ولو لم نقطعها لما كنا انقذنا السيدة عائدة من الهلاك ولما صارت زوجةً لي

قال هذا واغلق عليه باب حجرته بكل هدوءٍ وسكينة

وخلاصة القول ان المستر فيلاس فوج طاف حول الارض في ثمانين يومًا ولم يقف على وسيلةٍ الا استخدمها في تذليل،

العوائق وتسهيل سبل الانتقال من
مكانٍ الى مكان فقد ركب البحار على اجنحة
البخار وقطع الفيافي والقفار على القطارات
الحديدية والمركبات والعربات والافيال
واظهر كل ما فطر عليه من غرائب
الاخلاق وشدة التأني واحكام الدقة
والضبط ومع ذلك فما الذي ربحه في
رحلته وما هي الفائدة التي عادت عليه
بعد تلك الاتعاب انهُ لم يكتسب شيئًا
غير الشرف ولم يربح الاَّ فتاةً بديعة الجمال
يسلو بوجودها ما كابده من المشاق وقاساه
من العناء فقد ملكت قلبه وسحرت لبه

ملكتكِ القلب فرفقًا بهِ
ما احسن الاحسان ممن ملك
استغفر الله فما انتِ من
هذا الملا ما انتِ الا ملك

وفي الواقع ان الارض لا تطاف في
اقل من المدة التي قضاها المستر فيلاس
فوج في ذلك الطواف

(تمــت)